السيرة النبوية

لابن هشام
"المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ"

محمد بن حسين بن خالد الخطيب

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور
عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الثالث

الناشر
دار الكتاب العربي



الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E. ٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان



السيرة النبوية


Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بني سُلَيم بالكُدْر[1]

قال ابن إسحاق: فلما قدِم رسولُ الله ﷺ لم يُقِم بها[2] إلّا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه، يريد بني سُليم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عُرفُطة الغِفاريّ[3]، أو ابن أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: فبلغ ماءً من مياههم؛ يقال له: الكُدْر[4]، فأقام عليه

---

(١) وتُعرف بغزوة «قرقرة الكُدْر» (الطبقات الكبرى ٢/ج٣١)، أو «قرارة الكُدْر» (المغازي للواقدي ١٨٢/١) وانظر عنها في: أنساب الأشراف ٣١٠/١ رقم ٦٧٩، وتاريخ الطبري ٤٨٢/٢ و٤٨٣، والكامل في التاريخ ١٣٩/٢، ونهاية الأرب ٧١/١٧، ٧٢، والروض الأنف ١٤٢/٣، وعيون الأثر ٢٩٤/١، وسيرة ابن كثير ٥٣٩/٢، وعيون التواريخ ١٤٢/١، وتاريخ الاسلام (المغازي)، وتاريخ خليفة ٥٨، والبدء والتاريخ ١٩٦/٤، والمحبّر ١١١

قال السهيلي: «القرقرة: أرض ملساء، والكُدْر: طيرفي ألوانها كُدر، عُرف بها ذلك الموضع، وقد كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يذكر مسيره مع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، فقال لعمران بن سوادة حين قال له: إن رعيّتك تشكو منك عنف السياق، وقهر الرعية، فدقر على الدّرّة، وجعل يمسح سيورها، ثم قال: قد كنت زميل رسول الله ﷺ في قرقرة الكُدْر، فكنت أرتع فأشبع وأسقي فأروى، وأكثر الزجر، وأُقلّ الضرب، وأرد العَنُود، وأزجر العروض، وأضمّ اللغوت، وأشهر العصا، وأضرب باليد، ولولا ذلك لأعذرت أي: لضيّعت فتركت، يُذكر حسن سياسته، فيما ولي من ذلك» (الروض الأنف ١٤٢/٣).

(٢) أي لم يُقم بالمدينة لما قدم من بدر.

(٣) ويقال له الكناني. حدّث عنه أبو هريرة. (الإصابة ١٣/٢).

(٤) الكُدْر: قال الواقدي: بناحية المعدن قريبة من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد. وقال غيره: ماء لبني سُليم. (معجم البلدان ٤٤١/٤).

ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلّ الأسارى من قريش.

غزوة السَّويق[1]

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق[2] في ذي الحجّة، وولي تلك الحجّة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، ويزيد بن رُومان، ومَن لا أتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجع فَلُّ[3] قريش من بدر، نَذَر أن لا يمسّ رأسه ماء من جنابة[4] حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مئتي راكب من قريش، ليبرّ يمينه، فسلك النجديّة، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب[5]، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل، حتى أتى بني النّضير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أخطب، فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سَلام بن مِشكم، وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كَنزهم. فاستأذن عليه، فأذِن له، فقَرَاه وسقاه وبَطَنَ[6] له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلة حتى أتى أصحابَه. فبعث

---

(١) أنظر عنها في: تاريخ خليفة ٥٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٠، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٣ - ٤٨٥، والمغازي للواقدي ١/ ١٨١، ١٨٢، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/ ٤٣٣، وأنساب الأشراف ١/ ٣١٠ رقم ٦٧٨، والكامل في التاريخ ٢/ ١٣٩، ١٤٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/ ٧٠، ٧١، وعيون التواريخ ١/ ١٤٢، ١٤٣، وسيرة ابن كثير ٢/ ٥٤٠، ٥٤١، وعيون الأثر ١/ ٢٩٦، والمغازي لعروة ١٦١، والدرر ١٤٧، والبدء والتاريخ ٤/ ١٩٦، والمحبّر ١١١.

(٢) السَّويق: هو الحنطة أو الشعير المحمّص المطحون والممزوج بالعسل والسمن.

(٣) الفَلّ: المنهزمون.

(٤) كان الغُسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية. أنظر: الروض الأنف ٣/ ١٤٢.

(٥) أثبته محقّق تاريخ الطبري ٢/ ٤٨٤ «تَيْت». وانظر عيون الأثر ١/ ٢٩٦.

(٦) بطن له خبر الناس: أطلعه على سرّهم.

رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها، يقال لها: العُرَيْض[1] فحرّقوا في أصوار[2] من نخلٍ بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرْث لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس. فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وهو أبو لُبابة، فيما قال ابن هشام، حتى بلغ قَرْقَرَة الكُدْر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرْث يتخفّفون منها للنّجاء، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسولُ الله ـ ﷺ : يا رسولَ الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم».

قال ابن هشام: وإنّما سُمّيت غزوة السّويق، فيما حدّثني أبو عُبيدة: أنّ أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السّويق، فهجم المسلمون على سَوِيق كثير فسُمّيت غزوة السّويق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن حرب عند مُنصرفه، لما صنع به سلام بن مِشْكم:

وإنّي تخيّرتُ المدينةَ[3] واحداً ... لِحلْفٍ فلم أندمْ ولم أتلَوّم
سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامَةً[4] ... على عَجَل مِنّي سلامُ بن مِشْكَم
ولما تولّى الجيشُ قلتُ ولم أكن ... لأُفْرِحَهُ: أبْشِرْ بعزٍّ ومَغْنَم
تأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنّهم ... صريحُ لُؤَيّ لا شَماطِيطُ جُرْهُم[5]
وما كان إلّا بعضَ ليلةِ راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خَلّة مُعدِمِ[6]

---

(1) العُرَيض: واد بالمدينة، كأنه على صيغة التصغير من عرض أو عرض، والعرض كل واد فيه شجر. وقيل كل واد فيه قرى ومياه. وأعراض المدينة بطون سوادها أو قراها التي في أوديتها، ويقال للرساتيق بأرض الحجاز الأعراض. (معجم البلدان ٤/ ١١٤).

(2) أصوار: مفردها صَوْر. وهو جماعة النخل الصغار، ويقال لغير النخل من الشجر صَوْر وصيران. (تاج العروس ١٢/ ٣٦٢).

(3) المدينة: أراد من المدينة.

(4) الكميت: اسم من أسماء الخمر. (نظام الغريب ٥٩).

(5) السرّ والصريح: الخالص. والشماطيط: المختلطون.

(6) ورد البيت الثاني في المغازي للواقدي ١/ ١٨٢ وأنساب الأشراف ١/ ٣١٠ وأضافا بيتاً آخر =

غزوة ذي أمَر[1]

فلما رجع رسولُ الله ﷺ من غزوة السَّويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجّة أو قريباً منها، ثم غزا نجْداً، يريد غَطَفان، وهي غزوة ذي أمَر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجْد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً. فلبِث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلاّ قليلاً منه.

غزوة الفُرْع من بُحْران[2]

ثم غزا رسولُ الله ﷺ «يريد قريشاً، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحْران[3]، معدناً بالحجاز من ناحية الفُرْع[4]، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

= ليس هنا:

وذاك ابو عمرو يجود وداره بيثرب مأوى كلّ أبيض خِضْرم

(١) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ١/١٩٣ ـ ١٩٦، وتاريخ خليفة ٦٥، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٧، والطبقات الكبرى ٢/٣٤، ٣٥، ونهاية الأرب ١٧/٧٧ ـ ٧٩، وتاريخ الاسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٣/٣، ٤، وعيون التواريخ ١/١٤٧، ١٤٨، وعيون الأثر ١/٣٠٣، ٣٠٤، والبدء والتاريخ ٤/١٩٧، ١٩٨، والمحبّر ١١٢، وكانت في أول السنة الثالثة للهجرة.

(٢) أنظر عن الغزوة في: تاريخ خليفة ٦٥، ٦٦، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٧، والمغازي للواقدي ١/١٩٦، ١٩٧، وأنساب الأشراف ١/٣١١ رقم ٦٨١، والكامل في التاريخ ٢/١٤٢، ونهاية الأرب ١٧/٧٩، وتاريخ الاسلام (المغازي)، والروض الأنف ٣/١٤٢، وعيون الأثر ١/٣٠٤، وسيرة ابن كثير ٣/٤، ٥، وعيون التواريخ ١/١٤٨، والمحبّر ١١٢.

(٣) بُحران: بالضم، موضع بناحية الفُرْع. قال الواقدي: بين الفُرْع والمدينة ثمانية بُرُد. وقال ابن اسحاق: هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع. وضبطه بعضهم بالفتح (بَحران) (معجم البلدان ١/٣٤١).

(٤) الفُرْع: بالسكون، بين مكة والمدينة. وقال السهيلي في الروض الأنف ٣/١٤٣: الفُرُع بضمّتين. وهي أول قرية مارت اسماعيل وأمّه التمر بمكة.

أمر بني قَيْنُقاع[1]

قال: وقد كان فيما بين ذلك، من غزو رسول الله ـ ﷺ ـ أمر بني قَيْنُقاع، كان من حديث بني قينقاع أنّ رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قَيْنُقاع، ثم قال: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلِموا، فإنّكم قد عرفتم أنّي نبيّ مُرْسَل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم»؛ قالوا: يا محمد، إنّك ترى أنّا قومك؟! لا يغرنّك أنّك لقيت قوماً لا عِلم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس.

قال ابن إسحاق: فحدّثني مولًى لآل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبير، أو عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلاّ فيهم: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾**: أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ، وقريش **﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾**[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنَّ بني قَيْنُقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد.

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَخْرَمَة، عن أبي عَوْن، قال: كان من أمر بني قَيْنُقَاع أنّ امرأةً من العرب قدِمت بجَلَبٍ[3] لها،

---

(١) أنظر عنهم في: الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨ ـ ٣٠، والمغازي للواقدي ١/ ١٧٦ ـ ١٨٠، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٧٩، ٤٨١، والبدء والتاريخ ٤/ ١٩٥، ١٩٦، وأنساب الأشراف ١/ ٣٠٨، ٣٠٩ رقم ٦٧٧، والكامل في التاريخ ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩، ونهاية الأرب ١٧/ ٦٧ ـ ٧٠، والروض الأنف ٣/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/ ١٤٠، ١٤١، وعيون الأثر ١/ ٢٩٤، ٢٩٥، وسيرة ابن كثير ٣/ ٥ ـ ٧، والمحبّر ١١٢، وتاريخ خليفة ٦٦.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٢ و١٣.

(٣) الجلب: البضائع التي توضع في الأسواق للبيع.

فباعته بسوق بني قَيْنُقَاع، وجلست إلى صائغٍ بها، فجعلوا يريدونها على كَشْف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت، انكشفت سَوْءَتُها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديّاً، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قَيْنُقَاع.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: فحاصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حُكمه، فقام إليه عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول، حين أمكنه منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مَواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج: قال: فأبطأ عليه رسولُ الله ﷺ؛ فقال: يا محمد أحسِن في مواليّ، قال: فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسولُ الله ﷺ: «أرسِلْني»، وغضب رسولُ الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلا[1]، ثم قال: «وَيْحَك! أرْسِلْني»؛ قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربعمائة حاسر[2] وثلاثمائة دارع[3] قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إنّي والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «هم لَكَ»[4].

قال ابن هشام: واستعمل رسولُ الله ﷺ على المدينة في محاصرته إيَّاهم بشيرَ بنَ عبد المنذر، وكانت محاصرته إيَّاهم خمس عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن عُبادة بن الوليد بن

---

(١) الظلل: جمع ظللة، واستعاره هنا لتغيّر الوجه وتجهّمه.

(٢) الحاسر: من لا درع له.

(٣) الدارع من عليه درع.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٨٠، المغازي للواقدي ١/١٧٧، ١٧٨، الطبقات الكبرى ٢/٢٩، البدء والتاريخ ٤/١٩٥، ١٩٦، أنساب الأشراف ١/٣١١، نهاية الأرب ١٧/٦٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

عُبادة بن الصَّامت قال: لما حاربت بنو قَيْنُقَاع رسول الله ﷺ، تشبّث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ بن سَلول وقام دونهم. ومشى عُبادة بن الصَّامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرّأ إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولّى الله ورسولَهُ ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبيّ نزلت هذه القصّة من المائدة ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ. فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[1] أي لعبد الله بن أُبيّ وقوله: إنّي أخشى الدوائر ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ، وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[2]، ثم القصّة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا، ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3]. وذكر لتولّي عُبادة بن الصَّامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرّئه من بني قَيْنُقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ﴾[4].

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة[5]

قال ابن إسحاق: وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسولُ الله ﷺ فيها، حين أصاب عِير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب، على القَرَدَة[6]، ماء من

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية ٥١ ـ الى ٥٢.

(٢) سورة المائدة ـ الآية **٥٢-٥٣**

(٣) سورة المائدة ـ الآية ٥٦ .

(٤) انظر عنها في: المغازي للواقدي ١/١٩٧، ١٩٨، والطبقات الكبرى ٢/٣٦، وتاريخ الطبري ٢/٤٩٢، والبدء والتاريخ ٤/١٩٨، والكامل في التاريخ ٢/١٤٥، ونهاية الأرب ١٧/٨٠، وعيون الأثر ١/٣٠٤، ٣٠٥، وعيون التواريخ ١/١٥١، وسيرة ابن كثير ٣/٨، ٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والروض الأنف ٣/١٤٣.

(٥) القَرَدَة: بالتحريك. كما في معجم البلدان ٤/٣٢٢ وأثبتها ابن الأثير (الفردة) بالفاء=

مياه نجد. وكان من حديثها: أنَّ قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجّار، فيهم: أبو سفيان بن حرب، ومعه فضة كثيرة، وهي عُظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له: فرات بن حيّان يدلّهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فرات بن حيّان، من بني عجْل، حليف لبني سهم.

قال ابن إسحاق: وبعث رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة فلقِيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العِير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدِم بها على رسول الله ﷺ.

فقال حسّان بن ثابت بعد أُحُد في غزوة بدر الآخرة يؤنّب قريشاً لأخذهم تلك الطريق:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشامِ قد حال دونها ... جِلادٌ كأفْواه المَخاض الأوارِكِ[1]
بأيديْ رجالٍ هاجروا نحو ربّهم ... وأنصارِه حقّاً وأيْدي الملائِك
إذا سَلَكَتْ للغَوْر من بَطْن عالجٍ[2] ... فقُولا لها ليس الطريقُ هنالك

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات لحسّان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله في موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف[3]

قال ابن إسحاق: وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب

= المفتوحة والراء الساكنة، ماء بنجد، مات به زيد الخيل، ويرد ذِكره، وضبطه ابن الفرات في غير موضع قَرَدة بالقاف. (الكامل ٢/١٤٥).

(١) الفَلَجات: العيون الجارية. والمخاض: حوامل الإبل: والأوارك: التي ترعى شجر الأراك الذي تُتّخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الغَوْر: ما انخفض من الأرض. وبطن عالج: مكان.

(٣) أنظر عنه في: المغازي للواقدي ١/١٨٤ وما بعدها، والمغازي لعروة ١٦٢، ١٦٣، =

بدر، وقدِم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرَيْن، بعثهما رسولُ الله ﷺ إلى مَن بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه، وقتْل مَن قتل من المشركين، كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة الظَفريّ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وصالح بن أبي أُمامة بن سهل، كلٌّ قد حدّثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيّء، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمّه من بني النضير، حين بلغه الخبر: أحقّ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمّي هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لَبَطْنُ الأرض خير من ظهرها.

فلما تيقّن عدوّ الله الخبرَ، خرج حتى قدِم مكة، فنزل على المطّلب بن أبي وداعة بن ضُبيرة السّهميّ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرّض على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القَلِيب من قريش، الذين أصيبوا ببدر، فقال:

طَحنَتْ رحى بدرٍ لمَهْلك أهله ... ولِمثل بدرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ
قُتِلَتْ سَراةُ النَّاس حول حِياضِهم ... لا تَبْعَدوا إنَّ الملوك تُصرَّعُ
كم قد أُصيب به من أبيضَ ماجدٍ ... ذي بهجة يأوي إليه الضُّيَّعُ
طَلْقِ اليدين إذا الكواكبُ أخلفتْ ... حمّالِ أثقالٍ يَسُود ويَرْبَعُ[1]

= والطبقات الكبرى ٢/٣١ - ٣٤، وتاريخ الطبري ٢/٤٨٩، ٤٩٠، وأنساب الأشراف ١/٣٨٤، والبدء والتاريخ ٤/١٩٧، والكامل في التاريخ ٢/١٤٣، ١٤٤، وعيون الأثر ١/٢٩٩، ٣٠٠، وفتح الباري ٧/٣٣٧ - ٣٤٠، وصحيح مسلم في الجهاد (١٢١)، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٧٢ - ٧٧، وشرح المواهب ٢/١٥، وعيون التواريخ ١/١٤٨ - ١٥٠، وسيرة ابن كثير ٣/٩ - ١٧، والروض الأنف ٣/١٤٥ - ١٤٧، والمحبّر لابن حبيب ١١٧ و٢٨٢ و٣٩٠، والأغاني ١٩/١٠٦ طبعة بولاق، وشرح السير الكبير ١/٢٧٠/٢٧٧.

(١) يربَع: أي يأخذ المرباع أي ربع الغنيمة وهو من نصيب الرؤساء في الجاهلية.

ويقـول أقـوامٌ أُسَـرٌ[1] بسُخْـطهم | إنّ ابنَ الأشـرف ظـلّ كعبـاً يَجْـزَع
صـدقـوا فليتَ الأرض سـاعـةَ قُتِّلوا | ظلّت تَسُـوخُ بـأهـلهـا وتُصـدَّع
صار الـذي أثَـرَ الحـديثَ بـطَعْنـة | أو عـاش أعمى مـرعَشـاً لا يسمـعُ
نُـبِّئْت أنّ بـنـي الـمُـغـيـرة كـلَّهـم | خشعوا لقتْل أبي الحكيم وجُدِّعوا[2]
وابنـا ربيـعـة عنـده ومُـنَـبِّـهٌ | مـا نـال مِثـل المُـهْلَكِين وتُـبَّـع
نُبِّئْتُ أنّ الحـارث بن هشـامهم | في النـاس يبني الصالحـات ويَجْمع
ليَـزُورَ يثـرِب بـالجُمـوع وإنّمـا | يحمي على الحَسَب الكريمُ الأَرْوع[3]

قال ابن هشام: قوله «تُبَّع»، «وأسر بسخطهم». عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

أَبَكَى لِكَعْبٍ ثم عُـلَّ[4] بعَبْـرة | منـه وعـاش مُجَـدَّعـاً لا يَسمـعُ
ولـقـد رأيتُ ببـطن بـدرٍ منـهـمُ | قَتْلى تسُـحّ لهـا العيـونُ وتَـدْمَـع
فـابكي فقـد أبكيتَ عبـداً راضعـاً | شِبـه الكُعليْب إلى الكُعليْبة يَتْبَـع
ولقـد شَفَى الـرحمنُ منّـا سيّـداً | وأعـانَ قـومـاً قـاتلوه وصُـرِّعُـوا
ونـجـا وأُفْلِت منـهُـم مـن قلبُـه | شَغَفٌ[5] يـظَلّ لخـوفـه يتصـدّع[6]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان. وقوله «أَبَكَى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) في المغازي للواقدي «أذلّ»، وفي أنساب الأشراف: «ويقول أقوام غويّ أمرهم».

(٢) التجديع: قطع الأنوف، وهو هنا كنايةٌ عن الذلّ.

(٣) في أنساب الأشراف «يسعى على الحسب القديم الأروع». والأروع: من يبهرك حسنه.

وقد وردت ثمانية أبيات في المغازي للواقدي ١/١٨٥، ١٨٦ مع تقديم وتأخير. وفي أنساب الأشراف ١/٢٨٤ ستة أبيات. وكذلك في تاريخ الإسلام (المغازي)، وفي نسب قريش بيتان فقط هما الأخيران باختلاف الألفاظ. وفي شرح السير الكبير ١/٢٧٠ البيت الأول فقط.

(٤) العلل: الشرب بعد الشرب واستعاره هنا لمداومة البكاء.

(٥) الشغف: من تقطع شغاف قلبه حزناً.

(٦) الأبيات في المغازي للواقدي ١/١٨٦ بزيادة بيت في آخرها:

ونـجـا وأفـلـت مـنـهـمُ مـتـسرّعـاً | فَـلٌّ قَـلِـيـلٌ هـاربٌ يـتـهـزّعُ

أنظر الروض الأنف ٣/١٤٥ وتاريخ الطبري ٢/٤٨٨، وتاريخ الاسلام (المغازي).

قال ابن إسحاق: وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْد، بطن من بَلِيّ، كانوا حلفاء في بني أُميّة بن زيد؛ يقال لهم: الجَعادرة، تجيب كعباً - قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكر هذه الأبيات لها، ويُنكر نقيضتها لكعب بن الأشرف:

تحنَّن هذا العبدُ كلَّ تَحنُّن ... يُبَكّي على قتْلى وليس بناصبِ
بكتْ عينُ من يبكي لبدر وأهله ... وعُلَّت بمثليها لُؤَيّ بن غالب
فليتَ الذين ضُرِّجوا بدِمائهم ... يَرى ما بهم من كان بين الأخاشب[1]
فيعلم حقاً عن يقين ويُبْصِروا ... مَجَرَّهُمْ فوق اللَحى والحَواجب

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال:

ألا فازجُرُوا منكم سفيهاً لتَسْلَموا ... عن القول يأتي منه غير مُقارِبِ
أتشتُمني أن كنتُ أبكي بعَبْرة ... لقوم أتاني وُدُّهم غيرُ كاذب
فإنّي لباكٍ ما بقيتُ وذاكِر ... مآثر قوم مَجْدُهم بالجباجب[2]
لعَمْري لقد كان مُرَيْدٌ بمَعْزل ... عن الشرّ فاختالت وُجوهَ الثعالب
فحُقّ مُرَيْدٌ أن تُجَدّ أُنوفُهم ... بشَتْمهمُ حَيَّيْ لُؤَيّ بن غالب
وهَبْتُ نصيبي من مُرَيد لجَعْدَر ... وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم[3]. فقال رسولُ الله ﷺ، كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدَة: «من لي بابن الأشرف»؟ فقال له محمد بن مَسلمة؛ أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله؛ قال: «فافعل إنْ قدرت على ذلك»[4]. فرجع

---

(١) الأخاشب: جبال مكة.

(٢) الجباجب: منازل مكة.

(٣) يُروى أنه شبّب بأم الفضل زوج العباس بن عبدالمطّلب فقال أبياتاً مطلعها:
أراحل أنت لم ترحل لمنقبته ... وتارك أنت أم الفضل بالحرم

(٤) فيه من الفقه: وجوب قتل من سبّ النبيّ - ﷺ - وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمّي في مثل هذا، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه في مخلاة الى المدينة، فقيل: إنه أول رأس حُمل في الإسلام. (الروض الأنف ٣/١٤٥).

محمد بن مَسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلاّ ما يُعْلق به نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه، فقال له: «لِم تركت الطعام والشراب»؟ فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا؟ فقال: «إنَّما عليك بالجهد»؛ فقال: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا من أن نقول؛ قال: «قولوا ما بدالكم، فأنتم في حلٍّ من ذلك». فاجتمع في قتله محمد بن مَسلمة، وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش، وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعبّاد بن بشر بن وقش، أحد بني عبد الأشهلْ، والحارث بن أوس بن مُعاذ، أحد بني عبد الأشهل، وأبو عبْس بن جبْر، أحد بني حارثة، ثم قدَّموا إلى عدوّ الله كعب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سِلكان بن سلامة، أبا نائلة، فجاءه فتحدّث معه ساعة، وتناشدوا شعراً، وكان أبو نائلة يقول الشِعر ثم قال: ويحك يابن الأشرف! إنّي قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك، فاكتم عنّي، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادَتْنا به العرب، ورمتْنا عن قوس واحدة، وقطعت عنّا السُبُل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أنّ الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلكان: إنّي قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونُوثِقَ لك، ونُحسِن في ذلك؛ فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا إنّ معي أصحاباً على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة[1] ما فيه وفاء، وأراد سِلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها؛ قال: إنّ في الحلقة لوفاء؛ قال: فرجع سِلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ويقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا، وأنت أشبّ أهل يثرِب وأعطرهم؛ قال: أترهنوني أبناءكم؟

---

(١) الحلقة: الدروع.

قال ابن إسحاق: فحدّثني ثور بن زيد، عن عِكرمة، عن ابن عباس. قال:

مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقِيع الغَرْقَد، ثم وجّههم، فقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعِنْهم، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعُرس، فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها، وقالت: إنك امرءٌ محارَب، وإنّ أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة. قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً لما أيقظني؛ فقالت: والله إنّي لأعرف في صوته الشرّ؛ قال: يقول لها كعب: لو يُدعى الفتى لطعنةٍ لأجاب. فنزل فتحدّث معهم ساعة، وتحدّثوا معه، ثم قال: هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شِعب العجوز[1]، فنتحدّث به بقيّة ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إنّ نائلة شام[2] يده في فود رأسه، ثم شمّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طِيباً أعطر قطّ، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفود رأسه، ثم قال: اضربوا عدوّ الله، فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مِغْولاً[3] في سيفي، حين رأيت أسيافنا لا تُغني شئاً، فأخذته وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلّا وقد أوقدت عليه نار قال: فوضعته في ثنته[4] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدوّ الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بن مُعاذ، فجُرح في رأسه أو في رِجْله، أصابه بعض أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أُميَّة بن زيد، ثم على بني قُريظةَ، ثم على بُعاث حتى أسندنا[5] في حَرَّة[6]

---

(١) مكان خارج المدينة. وفي شرح السير الكبير ١/٢٧٤ «شرح العجوز».

(٢) شام: أدخل.

(٣) المغول: حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافاً.

(٤) الثنة: ما بين السُّرَّة والعانة. وفي شرح السير «فوضعته في سرّته».

(٥) أسندنا: ارتفعنا.

(٦) الحَرّة: الأرض ذات الحجارة السود.

العُرَيض[1]، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلّي، فسلّمنا عليه فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، وتفل على جرح صاحبنا، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدوّ الله، فليس بها يهوديّ إلاّ وهو يخاف على نفسه[2].

قال ابن إسحاق: فقال كعب بن مالك:

فغودر منهمُ كعبٌ صريعاً ... فَذَلَّتْ بعد مَصْرَعه النَّضِيرُ
على الكفَّيْنِ ثمّ وقد عَلَتْهُ ... بأيْدِينا مشهَّرة ذكُور.
بأمر محمد إذْ دسَّ ليلاً ... إلى كَعْب أخا كعب يَسِير
فماكَرَهُ فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخو ثِقة جَسُور[3]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير، سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحُقَيق:

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيتُهُمْ ... يابنَ الحُقَيق وأنتَ يابنَ الأشرفِ
يَسْرُون بالبيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحاً[4] كأسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِف[5]
حتى أتوكم في مَحلّ بِلادكم ... فسَقَوكم حتْفاً بِبيضٍ ذفَف[6]

---

(1) العُرَيض: وادي المدينة.
(2) الخبر رواه البخاري بلفظ آخر في كتاب المغازي (٥/١١٥) باب قتل كعب بن الأشرف. وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٢/١٣٨) باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.
(3) الأبيات في سيرة ابن كثير ٣/١٥، وفي البدء والتاريخ ٤/١٩٧ بيت واحد.
(4) في تاريخ الطبري «بطراً».
(5) المغرف: الملتف الشجر.
(6) البيض الذُّفف: السيوف سريعة القتل.

مُسْتَنْصـرين[1] لنَصْـر دين نبيِّهم   مستَصْغرين[2] لكُل أمرٍ مُجْحِف[3]

قال ابن هشام: وسأذكر قتـل سلام بن أبي الحُقَيْق في موضعه إن شـاء الله.

وقوله: «ذفَّف»، عن غير ابن إسحاق.

أمر مُحَيِّصة وحُوَيِّصة[4]

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ: «من ظفـرتم به من رجـال يهود فاقتلوه»، فوثب مُحَيِّصة بن مسعود ـ قال ابن هشام: محيِّصة ويقال: مُحَيِّصة بن مسعـود بن كعب بن عـامـر بن عـديّ بن مجدعـة بن حـارثـة بن الحـارث بن الخـزرج بن عمرو بن مـالـك بن الأوس ـ على ابن سُنينـة ـ قـال ابن هشـام: ويقـال شُنَينة ـ رجـل من تجـار يهـود، كـان يـلابسهم ويبـايعهم فقتله، وكـان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِم، وكان أسنّ من مُحَيِّصـة، فلما قتله جعـل حُوَيِّصة يضربه، ويقول: أي عدوَّ الله، أقتلته، أما والله لربَّ شحمٍ في بطنك من مـاله. قـال: مُحَيِّصة؛ فقلت: والله لقـد أمرني بقتله من لـو أمرني بقتلك لضربت عنقك؛ قال فوالله إنْ كـان لأول إسلام حُـوَيِّصة قـال: آولله لو أمـرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها! قـال: والله إنّ ديناً بلغ بك هذا لَعَجَب، فأسلم حُوَيِّصة[5].

قـال ابن إسحاق: حـدثني هذا الحديث مولى لبني حـارثـة، عن ابنـة مُحيِّصة، عن أبيها محيصة.

---

(١) في تاريخ الطبري «مستبصرين».

(٢) في تاريخ الطبري «مستضعفين».

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري ٢/٤٩٧ وديوان حسّان ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) انـظر عنهما في تـاريخ الـطبـري ٢/٤٩١، والمحبّـر ١٢١، والمغـازي للواقـدي ١/١٩٢، والكامل في التـاريخ ٢/١٤٤، تـاريخ الاسـلام (المغازي)، وسيـرة ابن كثير ٣/١٥، ١٦، وعيون الأثر ١/٣٠١، ٣٠٢. وشرح السير الكبير ١/٢٧٦.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٤٩١، تاريخ الإسلام (المغازي).

قال محيِّصة في ذلك:

يلومُ ابنُ أمّي لو أُمرتُ بقَتْله ... لطبَّقْتُ ذِفْراه بأبيض قاضبِ[1]
حُسام كَلَونِ المِلْح أُخْلِص صَقْله ... متى ما أُصوِّبْهُ فليس بكاذب
ما سَرَّني أنّي قتلتُكَ طائعاً ... وأنْ لنا ما بين بُصْرَى ومأْرِب[2]

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة، عن أبي عمرو المدني، قال: لما ظفر رسولُ الله ﷺ ببني قُرَيْظة أخذ منهم نحواً من أربعمائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج، فأمر رسول الله ﷺ بأن تُضرب أعناقهم، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم، ويسرّهم ذلك، فنظر رسول الله ﷺ إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة، ونظر إلى الأوس فلم يرَ ذلك فيهم، فظنّ أنّ ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قُريظة، ولم يكن بقي من بني قُريظة إلّا اثنا عشر رجلاً، فدفعهم الى الأوس، فدفع الى كل رجلين من الأوس رجلاً من بني قُريظة وقال: «لِيُضرب فلان ولْيُذفّف فلان»، فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا، وكان عظيماً في بني قُريظة، فدفعه إلى مُحَيِّصة بن مسعود، وإلى أبي بُرْدةٍ بن نيار ـ وأبو بُرْدة الذي رخّص له رسول الله ﷺ في أن يذبح جذعاً من المعز في الأضحى ـ وقال: «ليضربه مُحَيِّصة ولْيُذفّف عليه أبو بُردة، فضربه ضربة لم تقطع، وذفّف أبو بُردة فأجهز عليه. فقال حُوَيِّصة وكان كافراً، لأخيه مُحَيِّصة: أقتلت كعب بن يهوذا؟ قال: نعم، فقال حُوَيِّصة: أما والله لربّ شحمٍ قد نبت في بطنك من ماله، إنك للئيم يا محيِّصة، فقال له محيِّصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجّباً. فذكروا أنه جعل يتيقّظ من الليل: فيعجب من قول أخيه مُحَيِّصة. حتى أصبح وهو يقول: والله إنّ هذا لدِين. ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقال محيِّصة في ذلك أبياتاً قد كتبناها.

---

(١) طبقت: قطعت: والذفران: عظمان ناتئان خلف الأذنين، والأبيض: يريد به السيف، والقاضب: القاطع. (شرح أبي ذر ٢١٦).

(٢) الأبيات في المغازي للواقدي ١/١٩٢، وسيرة ابن كثير ٣/١٦، وعيون الأثر ١/٣٠٢. وشرح السير الكبير ١/٢٧٦.

قال ابن إسحاق: وكانت إقامة رسول الله ﷺ، بعد قدومه من نجران، جُمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان، وغزته قريش غزوة أُحُد في شوال سنة ثلاث.




Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

غزوة أُحُد[1]

وكان من حديث أُحُد، كما حدّثني محمد بن مسلم الزُّهْريّ، ومحمد بن يحيى بن حبّان، وعاصم بن عمر بن قَتادة، والحُصَيْن بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدّث بعض الحديث عن يوم أُحُد، وقد اجتمع حديثهم كلّه فيما سُقت من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا، أو من قاله منهم.

لما أصيب يوم بدر من كُفّار قريش أصحاب القَليب، ورجع فَلّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعِيرِه، مشى عبدالله بن أبي ربيعة، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُميَّة في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العِير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إنّ محمداً قد وتركم، وقتل

---

(١) أنظر عنها في: المغازي لعروة ١٦٨ ـ ١٧٣، والمغازي للواقدي ١/١٩٩ ـ ٣٠٠، والسير والمغازي ٣٢٢ ـ ٣٣٦، والطبقات الكبرى ٢/٣٦ ـ ٤٨، وتاريخ خليفة ٦٧، ٦٨، والمحبّر ١١٢، ١١٣، وتاريخ الطبري ٢/٤٩٩ ـ ٥٣٣، وأنساب الأشراف ١/٣١١ ـ ٣٣٨، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٧، ٢٥٨، والدرر في المغازي والسير ١٥٣ وما بعدها، وجوامع السيرة ٥١٦، والكامل في التاريخ ٢/١٤٨ ـ ١٦٣، ونهاية الأرب ١٧/٨١ ـ ١٢٥، والبدء والتاريخ ٤/١٩٨ ـ ٢٠٨، وسيرة ابن كثير ٣/١٨ ـ ٩٦، وعيون الأثر ٢/٢ ـ ٣٧، وعيون التواريخ ١/١٥٣ ـ ١٦٧، والروض الأنف ٣/١٥٨ ـ ١٨٠، ومرآة الجنان ١/٧، ٨.

خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منّا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذَكر لي بعض أهل العلم، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[1].

اجتماع قريش للحرب: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العِير بأحابيشها[2]، ومن أطاعها من قبائل كِنانة، وأهل تِهامة. وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد منَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، وكان في الأسارى فقال: إنّي فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن عليّ صلّى الله عليك وسلّم، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ. فقال له صفوان بن أُميّة: يا أبا عزّة إنّك امرؤ شاعر، فأعِنّا بلسانك، فاخرج معنا؛ فقال: إنّ محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أُظاهِر عليه؛ قال: بلى فأعِنّا بنفسك، فلك الله عليّ إنْ رجعت أن أُغنيك، وإنْ أُصبت أن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر ويُسْر، فخرج أبو عَزّة في تِهامة، ويدعو بني كِنانة ويقول:

إيها بني عبد مَناة الرُّزَّام ... أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ[3]
لا تَعِدُوني نَصْرَكم بعد العام ... لا تُسْلموني لا يَحِلُّ إسْلامْ[4]

وخرج مسافع بن عبد مَناف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كِنانة، يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فقال:

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٣٦.

(٢) الأحابيش من انضموا إليهم وليسوا منهم.

(٣) الرُّزام: من يثبتون في مكانهم لا يبرحونه: يذكر أنهم ثابتون في الحرب. (شرح أبي ذر ٢١٦).

(٤) أنظر: المغازي للواقدي ١/٢٠١، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٣، وأنساب الأشراف ١/٣١٢، وطبقات الشعراء لابن سلام ٢١٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والسيرة لابن كثير ٣/٢٠ مع اختلاف في الترتيب والألفاظ وزيادة.

يا مالِ، مالَ الحَسَب المُقدَّمِ أنْشُد ذا القُربى وذا التذمُّم[1]
مَن كان ذا رُحم ومن لم يَرْحَم الحِلْفَ وسْط البلد المُحَرَّمِ
عند حطيمِ الكعبةِ المعظَّم[2]

ودعا جُبير بن مطعِم غلاماً له حبشيّاً يقال له: وحْشيّ، يقذف بحربة له قذْف الحبشة، قلّما يخطيء بها، فقال له: اخرُج مع الناس، فإنْ أنت قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعَيمة بن عدِيّ، فأنت عتيق.

فخرجت قريش بحدّها وجدّها وحديدها وأحابيشها، ومن تابَعَها من بني كِنانة، وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظعن[3]؟ التماس الحفيظة، وألاّ يفرّوا. فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، بهند بنت عُتبة، وخرج عِكرِمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة، بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أُميَّة ببَرْزة بنت مسعود بن عمر بن عُمير الثقفيّة، وهي أمّ عبد الله بن صفوان بن أُميَّة[4].

قال ابن هشام: ويقال: رُقيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص برَيْطَة بنت مُنَبّه بن الحَجّاج وهي أمّ عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهي أمّ بني طلحة: مُسافع والجُلاس وكِلاب، قُتلوا يومئذٍ هم وأبوهم، وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسْل مع ابنها أبي عزيز بن عُمَير، وهي أمّ مُصْعَب بن عُمير، وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة. وكانت هند بنت عُتبة كلما مرّت

(١) يامال: أراد يا مالك فرخّمه. وذو التذمّم: الذي له ذمام، والذمام: العهد.
(٢) سيرة ابن كثير ٣/٢٠.
(٣) الظعن: النساء في الهوادج.
(٤) السير والمغازي ٣٢٣.

بوحشيّ أو مرّ بها، قالت: وَيْهاً[1] أبا دَسْمة، اشْفِ واستَشْفِ، وكان وحشيّ يُكَنّى بأبي دَسْمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين[2]، بجبل ببطن السَّبْخة من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة.

رؤيا رسول الله ﷺ ومشاورته القوم: قال فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إنّي قد رأيت والله خيراً، رأيت بقراً ورأيت في ذباب سيفي ثَلْماً، ورأيت أنّي أدخلت يدي في درع حصينة فأوّلتها[3] المدينة».

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ رسول الله ﷺ قال: «رأيت بقراً لي تُذْبح»؟ قال: «فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثَّلْم الذي رأيت في ذباب سيفي، فهو رجل من أهل بيتي يُقتل».

قال ابن إسحاق: «فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا: فإنْ أقاموا أقاموا بشرّ مُقام، وإنْ هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها[4]»، وكان رأيُ عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع رأيِ رسول الله ﷺ، يرى رأيه في ذلك، وألّا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُد وغيره، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا؟ فقال عبد الله بن أُبيّ بن سلول: يا رسول الله، أقِم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطّ إلّا أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلّا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإنْ رجعوا رجعوا

---

(١) كلمة تقال للتحضيض.

(٢) ويقال «عينان». وهو هضبة جبل أحد، ويقال اسم لجبلين عند أحد.

(٣) في السير والمغازي ٣٢٤ «فتأوّلتها المدينة، فإن رأيتم ان تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا، فإن أقاموا...».

(٤) في السير والمغازي زيادة: «ونزلت قريش منزلها بأحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس ويوم الجمعة، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشعب من أُحد، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال سنة ثلاث». وانظر: الأغاني ١٥/١٨٢.

خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسولِ الله ﷺ الذين كان من أمرهم حبّ لقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له؛ مالك بن عمرو، أحد بني النجّار، فصلّى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسولَ الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله: استكر هناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلّى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمَتَه أن يضعها حتى يقاتل»[1]، فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه.

قال ابن هشام: واستعمل ابنَ أمّ مكتوم على الصلاة بالناس.

انخذال المنافقين: قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأُحُد، انخذْل عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول بثُلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرام، أخو بني سَلِمة، يقول: يا قوم، أذكّركم الله ألاّ تخذلوا قومكم ونبيّكم عندما حضر من عدوّهم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلاّ الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيّه.

قال ابن هشام: وذكر غير زياد، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهْريّ: أنّ الأنصار يوم أُحُد، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: «لا حاجة لنا فيهم».

---

(١) أخرج البخاري حديثاً طويلاً في كتاب الاعتصام ١٦٢/٨ باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم، بلفظ: «وشاور النبيّ ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم. فلم يمل اليهم بعد العزم وقال: لا ينبغي لنبيّ يلبس لُأمته فيضعها حتى يحكم الله..». وأخرج مثله الدارمي في الرؤيا، الباب ١٣، وأحمد في المسند ٢٥١/٣، وانظر المغازي لعروة ١٦٨، ١٦٩.

قال زياد: حدّثني محمد بن إسحاق، قال: ومضى رسـول الله ﷺ حتى سلك في حَرَّة بني حارثة، فذبّ فرس بذنبه، فأصاب كُلّاب سيفٍ[1] فاستلّه.

قال ابن هشام: ويقال: كِلاب سيف.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ، وكان يحبّ الفأل ولا يعتـاف[2]، لصاحب السيف: شِمْ سيفَك[3]، فإنّي أرى السيوف ستُسلّ[4] اليوم.

ما كان من مِرْبَع المنافق حين سلك المسلمون حائطه: ثم قـال رسول الله ﷺ لأصحابه: «مَن رجل يخرج بنا على القـوم من كثب: أي من قُرب، من طريق لا يمرّ بنا عليهم»؟ فقـال أبو خيثمـة أخـو بني حـارثـة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حَرّة بني حارثـة، وبين أموالهم، حتى سلك في مال لِمِرْبع بن قَيْظي[5]، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يحثي في وجوههم التراب. ويقول: إنْ كنت رسول الله فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل حائطي. وقد ذُكـر لي أنـه أخذ حفْنـةً من ترابٍ في يـده، ثم قـال: والله لو أعلم أنّي لا أصيب بهـا غيرك يـا محمد لضـربت بهـا وجهـك. فـابتـدره القـوم ليقتلوه، فقـال رسـول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصـر». وقد بدر إليه سعد بن زيد، أخـو بني عبد الأشهـل، قبل نهي رسـول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس في رأسه، فشجّه[6].

نزول الرسول بأُحُد: قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِعْب من أُحُد، في عُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وقال: لا

---

(١) الكُلاب: مسمار في قائم السيف.
(٢) اعتاف: تطيّر.
(٣) شم سيفك: اغْمِدْه.
(٤) في الأغاني ١٥/١٨٥ «ستستلّ».
(٥) في السير والمغازي ٣٢٥ «لربعي بن قيظي». وفي الأغاني «المربع».
(٦) السير والمغازي ٣٢٥، تـاريخ الـطبري ٢/٥٠٦، الأغـاني ١٥/١٨٥، أنسـاب الأشراف ١/٣١٥.

يقاتلنّ أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سرَّحت قريش الظهـر والكُراع[1] في زروع كانت بالصمغة[2]، من قناة للمسلمين؛ فقال رجل من الأنصار حين نهى رسـول الله ﷺ عن القتـال: أتـرعى زروع بني قَيلـة[3] ولمّـا نُضـارب! وتعبّى رسول الله ﷺ للقتال، وهـو في سبعمائـة رجل، وأمَّـر على الرُّمـاة عبدَ الله بنَ جُبير، أخا بني عمرو بن عوف وهو معلَّم يومئذ بثياب بِيض، والرُّماة خمسـون رجلاً، فقال: انضح[4] الخيل عنّا بالنَّبْل، لا يأتونا من خلفنـا، إن كانت لنـا أو علينا، فاثبت مكانك لا نُؤتَيَنَّ من قبلك. وظاهر رسـول الله ﷺ بين دِرعين[5]، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمَير، أخي بني عبد الدّار.

الـرسول يجيـز من هم في الخـامسـة عشـرة: قـال ابن هشـام: وأجـاز رسـول الله ﷺ يومئـذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزَاريّ، ورافـع بن خَديج ، أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقيل لـه: يا رسـول الله إنّ رافعاً رام، فأجازه؛ فلما أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإنّ سَمُرَة يصرع رافعـاً، فأجـازه. وردّ رسـول الله: أسـامـة بن زيـد، وعبـد الله بن عمـر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، أحد بني مالك بن النجّار، والبَراء بن عـازب، أحد بني حـارثة، وعمـرو بن حَزم، أحـد بني مالـك بن النجّار، وأُسَيْـد بن ظُهَير، أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.

قال ابن إسحاق: وتعبّأت قريش، وهم ثـلاثة آلاف رجـل، ومعهم مئتا فرس قد جنّبوها[6]، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسـرتها عِكرِمة بن أبي جهل.

أبو دُجانة وشجاعته: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقّه؟

---

(١) الظهر: الإبل. والكراع: الخيل.
(٢) الصمغة: مكان قرب أُحُد.
(٣) قيلة: أم الأوس والخزرج وينسبون اليها.
(٤) انضح: ادفع.
(٥) أي لبس درعاً فوق درع.
(٦) جنبوها: جعلوها الى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة.

فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدوّ حتى ينحني»، قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقّه[1]، فأعطاه إيّاه. وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، إذا كانت، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها علِم الناس أنه سيقاتل؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصَّفَّين.

قال ابن إسحاق: فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمر بن الخطّاب، عن رجل من الأنصار من بني سَلِمة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر: «إنّها لمِشْية يبغضها الله، إلاّ في مثل هذا الموطن»[2].

أبو عامر الفاسق: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ أبا عامر، عبد عمرو بن صَيفيّ بن مالك بن النعمان، أحد بني ضُبَيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعِداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلاً، وكان يَعِد قريشاً أنْ لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان: فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. وكان أبو عامر يُسمّى في الجاهلية: الراهب، فسمّاه رسول الله ﷺ: الفاسق ـ فلما سمع ردّهم عليه

---

(١) أخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٠) باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه، من طريق ثابت، عن أنس، ان رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد، فقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم. كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: فمن يأخذه بحقّه؟» قال: فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة أبو دُجانة: آنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

(٢) تاريخ الطبري ٥١١/٢، السير والمغازي ٣٢٦، تاريخ الاسلام (المغازي)، الأغاني ١٨٩/١٥، الطبقات الكبرى ١٠١/٣، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٠٩/٦ ونسبه الى الطبراني.

قال: أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم[1] بالحجارة[2].

أبو سفيان وامرأته يحرّضان قريشاً: قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدّار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنّكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتى الناس من قِبَل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه؛ فهمُّوا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلّم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عُتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرّضْنهم، فقالت هند فيما تقول:

وَيْهاً بني عبد الدّار ... وَيْهاً حُماةَ الأدبار

ضرْباً بكلّ بتّار[3]

وتقول:

إن تُقْبِلوا نُعَانِقْ. ... ونفرش النّمارِق[4]

أو تُدْبِروا نُفارقْ ... فِراقَ غيرِ وامِقْ[5]

---

(1) راضخهم: راماهم.

(2) تاريخ الطبري ٢/٥١٢، الأغاني ١٥/١٨٩، ١٩٠، السير والمغازي ٣٢٧ وفيه «أضمخهم بالحجارة».

(3) تاريخ الطبري ٢/٥١٢، الأغاني ١٥/١٩٠، نهاية الأرب ١٧/٩٠، الكامل في التاريخ ٢/١٥٣، المغازي للواقدي ١/٢٢٧، سيرة ابن كثير ٣/٣١، عيون التواريخ ١/١٥٩.

(4) النمارق: الوسائد الصغيرة وكل ما يجلس عليه.

(5) الوامق: المُحبّ.

والقول في: السير والمغازي ٣٢٧، والطبقات الكبرى ٢/٤٠، وتاريخ الطبري ٢/٥١٠، وأنساب الأشراف ١/٣١٧، والأغاني ١٥/١٩٠، والكامل في التاريخ ٢/١٥٣، ونهاية الأرب ١٧/٩٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/٢٥، والروض الأنف ٣/١٦١، والمغازي للواقدي ١/٢٢٥، وسيرة ابن كثير ٣/٣١، وعيون التواريخ ١/١٥٨، وثمار القلوب للثعالبي ٢٩٧، والاستيعاب ٤/٤٢٥، والبدء والتاريخ ٤/٢٠١، وسنن سعيد بن منصور ق ٢ مجلد ٣/ رقم ٢٧٨٥، وأسد الغابة ٥/٥٦٢، والبداية والنهاية ٤/١٦. مع اختلاف في الألفاظ والترتيب.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد: أَمِتْ، أَمِتْ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس.

قال ابن هشام: حدّثني غير واحد، من أهل العلم، أنّ الزُّبير بن العوّام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجانة، وقلت: أنا ابن صفيّة عمّته، ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إيّاه قبله، فأعطاه إيّاه وتركني، والله لأنظرنّ ما يصنع؛ فاتّبعته، فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسَّفْح لدى النَّخيلِ
ألّا أقومَ للدهر في الكَيُول[1] ... أضرب بسيف الله والرسول[2]

قال ابن هشام: ويُروَى في الكُبُول[3]

قال ابن إسحاق: فجعل لا يلقى أحداً إلّا قتله. وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلّا ذفّف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه. فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشركُ أبا دُجانة، فاتّقاه بدَرَقَته، فعضّت بسيفه، وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرِق رأس هند بنت عُتبة، ثم عدل السيف عنها. قال الزُّبير فقلتُ: الله ورسوله أعلم.

---

(١) قال أبو عبيدة: الكيول آخر الصفوف، قال: ولم يُسمع إلا في هذا الحديث، وقال الهَرَوي مثل ما قال أبو عبيد، وزاد في الشرح، وقال: سُمّي بكيول الزَّنْد، وهي سواد ودخان يخرج منه آخراً، بعد القدح إذا لم يور ناراً، وذلك شيء لا غناء فيه، ويقال منه كال الزند، يكول، فالكيول فيعول من هذا، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب، ولا يزكيها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة الدينوري نحواً من هذا إلا أنه قال: كال الزند يكيل بالياء لا غير. (عن الروض الأنف ١٦٢/٣).

(٢) نهاية الأرب ٨٨/١٧، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/١.

(٣) الكبول: القيد.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة: رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولْوَل، فإذا امرأة، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن اضرب به امرأة.

استشهاد حمزة: وقاتل حمزة بن عبد المطّلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرّ به سِباع بن عبد العُزّى الغُبْشانيّ، وكان يُكنَّى بأبي نِيار، فقال له حمزة: هلُمّ إليّ يا بن مقطّعة البظُور ـ وكان أمّه أم أنمار مولاة شَرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفيّ.

قال ابن هشام: شَرِيق بن الأخنس بن شَرِيق. وكانت ختّانةً بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحشيّ، غلام جُبير بن مُطعِم: والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهد[1] الناس بسيفه ما يليق[2] به شيئاً، مثل الجمل الأورق[3]، إذ تقدّمني إليه سِباع بن عبد العُزّى، فقال له حمزة: هلُمَّ إليّ يابن مقطّعة البُظُور، فضربه ضربة، فكأنّ ما أخطأ رأسه، وهززْت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته[4] حتى خرجت من بين رِجْليه، فأقبل نحوي، فغلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحّيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث، عن سليمان بن يَسار، عن جعفر بن عمرو بن أُميّة الضمريّ قال: خرجت أنا وعُبيد الله بن عديّ بن الخيار أخو بني نوفل بن عبد مَناف، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدربنا[6] مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص ـ

(١) يهدّ: يهلك.
(٢) ما يليق: ما يبقى.
(٣) الأورق: مغبرّ اللون.
(٤) الثنة: ما بين أسفل البطن الى العانة.
(٥) السير والمغازي ٣٢٩، الأغاني ١٥/١٩٤، تاريخ الطبري ٢/٥١٦، ٥١٧، نهاية الأرب ١٧/٨٨، ٨٩.
(٦) أدربْنا: اجتزنا الدروب.

وكان وحشيّ، مولى جُبير بن مطعِم، قـد سكنها، وأقـام بها ـ فلما قدِمْنـاها، قال لي عُبيد الله بن عدِيّ: هل لك في أن نأتي وحشياً فنسألـه عن قتل حمـزة كيف قتله؟ قـال: قلت له: إن شئت. فخـرجنا نسـأل عنه بحمص، فقـال لنا رجل، ونحن نسأل عنه: إنّكما ستجدانه بفِناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً، وتجـدا عنده بعض ما تريـدان، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض مـا يكون به، فانصرِفا عنه ودعاه، قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه، فـإذا هو بفِنـاء داره على طْنفسة[1] له، فإذا شيخ كبير مثل البغاث.

قال ابن هشام: البغاث: ضرْب من الطير إلى السواد.

فإذا هو صاحٍ لا بأس بـه. قال: فلمـا انتهينا إليه سلّمنا عليـه، فرفـع رأسه إلى عُبيد الله بن عـدِيّ، فقال: ابنٌ لعَـدِيّ بن الخيار أنت؟ قـال: نعم؛ قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمّك السعدية التي أرضعتـك بذي طُـوَى، فإنّي ناولتكها وهي على بعيرها، فأخذتك بعُرْضَيْك[2] فلمعتْ لي قـدماك حين رفعتك إليها، فوالله ما هـو إلاّ أن وقفتَ عليّ فعرفتهمـا. قال: فجلسنـا إليه، فقلنـا لـه: جئنـاك لتحدّثنـا عن قتْلك حمـزة، كيف قتلتـه؟ فقـال: أمـا إنّي سـأحدّثكمـا كما حـدّثت رسول الله ﷺ حين سـألني عن ذلـك، كنت غـلامـاً لجُبير بن مُطعِم، وكان عمّه طُعَيمة بن عدِيّ قد أصيب يوم بـدر؛ فلمّا سـارت قـريش إلى أُحُد قـال لي جُبير: إنْ قتلت حمـزة عمّ محمد بعمّي فـأنت عتيق قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشيّاً أقذف بالحـربة قـذْف الحبشة، قلّما أخطيء بها شيئاً؛ فلمـا التقى الناس خـرجت أنظر حمـزة وأتبصّره، حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق، يهدّ الناس بسيفه هدّاً، ما يقوم له شيء، فـوالله إنّي لأتهيّأ لـه، أريده وأستتـر منه بشجـرة أو حجر ليـدنو منّي إذ تقـدّمني إليه سبـاع بن عبد العُـزّى؛ فلما رآه حمزة قـال لـه: هلُمَّ إليَّ يـابن

---

(١) الطنفسة: كل ما يُجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب.

(٢) بعُرضَيك: بجانبيك.

مقطّعة البُظُور[1]. قال: فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حرْبتي، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثنته[2]، حتى خرجت من بين رِجْليه، وذهب لينوء[3] نحوي، فغُلب، وتركته وإيّاها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثُم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنّما قتلته لأُعْتَق. فلما قدِمت مكة أعتِقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليُسْلِموا تَعَيّت عليّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام، أو باليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إنّي لفي ذلك من همّي إذ قال لي رجل: ويْحك إنه والله ما يُقتل أحد من الناس دخل في دينه، وتشهّد شهادته.

فلما قال لي ذلك، خرجت حتى قدِمتُ على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يُرعْه إلاّ بي قائماً على رأسه أتشهّد بشهادة الحقّ؛ فلما رآني قال: أَوَحْشيّ؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: اقعد فحدّثْني كيف قتلت حمزة، قال: فحدّثته كما حدّثتكما، فلما فرغت من حديثي: قال: «ويْحك! غيّب عنّي وجهك. فلا أرينّك». قال: فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان لئلاّ يراني، حتى قبضه الله ﷺ[4].

فلما خرج المسلمون إلى مُسيلِمة الكذّاب صاحب اليَمامة خرجت معهم، وأخذت حرْبتي التي قتلت بها حمزة؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذّاب قائماً في يده السيف، وما أعرفه، فتهيّأت له، وتهيّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده، فهززت حرْبتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشدّ عليه الأنصاريّ فضربه بالسيف، فربّك

---

(١) البُظور: بضم الباء. مفردها بظر، ما بين أسكتي المرأة. (تاج العروس ١٠/٢١٦).

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٥١٧ «لبّته». والمثبت يتفق مع تاريخ الخميس ١/٤٧٩، والسير والمغازي ٣٢٩.

(٣) ينوء ينهض متعباً.

(٤) روى البخاري في صحيحه حديث قتل وحشيّ لحمزه في كتاب المغازي (١٢٨/٥) باب قتل حمزة رضي الله عنه. وانظر تاريخ الاسلام (المغازي)، واسد الغابة ٨٤/٥، وأنساب الأشراف ٢٩٢/٣.

أعلم أيّنا قتله، فإنْ كنت قتلته؛ فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلت شرَّ الناس[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يَسار، عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان قد شهِد اليمامة، قال: سمعت يومئذ صارخاً يقول: قتله العبد الأسود[2].

قال ابن هشام: فبلغني أنّ وحشيّاً لم يزل يُحدّ في الخمرِ حتى خُلع من الديوان، فكان عمر بن الخطّاب يقول: قد علمت أنّ الله تعالى لم يكن ليدع قاتلَ حمزة.

استشهاد مُصعب: قال ابن إسحاق: وقاتل مُصْعب بن عُمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، وكان الذي قتله ابنه قمئة اللّيثيّ، وهو يظنّ أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً. فلما قُتل مُصْعب بن عُمير أعطى رسول لله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب، وقاتل عليّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين[3].

قال ابن هشام: وحدّثني مَسْلمة بن علقمة المازنيّ، قال: لما اشتدّ القتال يوم أُحُد جلس رسول لله ﷺ تحت راية الأنصار؛ وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قدِّم الراية. فتقدّم عليّ، فقال: أنا أبو الفُصم[4]، ويقال: أبو القِصَم، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سعد بن

---

(١) الاستيعاب ٣/٦٤٥، انساب الأشراف، رقم ٣/٢٩٣.

(٢) أخرجه البخاري من طريق سليمان بن يسار، عن جعفر بن أميّة الضمري. في المغازي ٥/١٢٨.

(٣) السير والمغازي ٣٢٩، الطبري ٢/٥١٦.

(٤) أبو الفُصم أو أبو القُصم بالقاف، كما قال ابن هشام، وهو أصحّ، وإنما قال علي ـ عليه السلام أنا أبو القُصم من يبارزني، فالقُصم: جمع قُصمة، وهي المعضلة المُهلكة، ويجوز أن يكون جمع القُصمى، أي الداهية التي تقصم. والدواهي القِصم على وزن الكبر، وهذا المعنى أصحّ؛ لأنه لا يعرف قصمة ولكنه لما قال أبو سعد ـ وسيأتي حديثه بعد قليل أنا قاصم، قال عليّ: أنا أقصم منك، بل أنا أبو القصم، أي أبو المعضلات القصم والدواهي العظم، والقِصم كسر ببينونة، والفصم: كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه، وفي التنزيل: ﴿وكم قصمنا من قرية﴾ وفيه ﴿لا انفصام لَها﴾. (الروض الأنف ٣/١٦٣).

أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرز بين الصَّفَّين، فاختلفا ضربتين فضربه عليّ فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجْهز عليه؛ فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعَوْرته، فعطفتني عنه الرَّحِم[1]، وعرفت أنّ الله عزّ وجلّ قد قتله.

ويقال: إنّ أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصَّفَّين، فنادى: أنا قاصم من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحد. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أنّ قتلاكم في الجنة، وأنّ قتلانا في النار كذبتم واللات! ولو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين، فضربه عليّ فقتله.

خبر عاصم بن ثابت: وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقتل مُسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهماً[2]، فيأتي أمّه سُلافة، فيضع رأسه في حجْرها فتقول: يا بنيّ، من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح. فنذرت إنْ أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً، ولا يمسّه مُشرك[3].

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

---

(١) وذكر ابن إسحاق أيضاً هذا في غير رواية ابن هشام، وقول عليّ إنه اتّقاني بعورته، فأذكرني الرحم أو فعطفتني عليه الرحم، وقد فعلها عليّ مرة أخرى يوم صفّين، حمل على بُسْر بن أرطاة فلمّا رأى أنه مقتول كشف عن عورته، فانصرف عنه. ويُروى أيضاً مثل ذلك عن عمرو بن العاص، مع عليّ - رضي الله عنه - يوم صفّين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهميّ، رواه ابن الكلبيّ وغيره:

أفي كل يوم فارس غير منته ... وعورته وسط العجاجة بادية
يكفّ لها عنه عليّ سنانه ... ويضحك منه في الخلاء معاوية

(الروض الأنف ٣/١٦٣).

(٢) يشعره سهماً: أي يصيبه به.

(٣) السير والمغازي ٣٢٩، ٣٣٠، الأغاني ١٥/١٩٥.

إنّ علـى أهـل الـلواء حـقّـاً ... أن يخضِبوا الصَّعدةَ[1] أو تَنْدَقا[2]

فقتله حمزة بن عبد المطّلب.

حنظلة غسيل الملائكة: والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شدّاد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: «إنّ صاحبكم، يعني حنظلة لتغسّله الملائكة». فسألوا أهله ما شأنه؟ فسُئلت صاحبته عنه. فقالت: خرج وهو جُنب حين سمع الهاتفة[3].

قال ابن هشام: ويقال: الهائعة. وجاء في الحديث: «خير الناس رجل مُمْسِك بعنان فرسه، كلما سمع هَيْعة[4] طار إليها»[5].

قال الطرمّاح بن حكيم الطائيّ، والطُّرمّاح: الطويل من الرجال:

أنا ابنُ حُماةِ المجد من آل مالكٍ ... إذا جعلتْ خَورُ[6] الرجالِ تَهيعُ

والهيعة: الصيحة التي فيها الفزع.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة».

شِعر الأسود وأبي سفيان في قتل حنظلة: **قال ابن إسحاق:** وقال شدّاد بن الأسود في قتْله حنظلة:

---

(١) الصعدة: القناة.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٤١، نهاية الأرب ١٧/٩١، المغازي للواقدي ١/٢٢٦.

(٣) السير والمغازي ٣٣٢، ٣٣٣، تاريخ الطبري ٢/٥٢٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) الهَيْعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من العدو.

(٥) روى مسلم في كتاب الإمارة (١٢٥/١٨٨٩) باب فضل الجهاد والرباط، عن يحيى بن يحيى التميمي، حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن بعجة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه. يبتغي القتل والموت مظانّه، أو رجل في غُنيمة في رأس شَعَفَة من هذه الشعف. أو بطن وادٍ من هذه الأودية. يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربّه حتى يأتيه اليقين. ليس من الناس إلاّ في خيره». وأخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن (٣٩٧٧) باب العزلة، وأحمد في المسند ٢/٤٤٣

(٦) الخور: مفرده أخور، وهو الرجل الضعيف.

لأحْمِيَنَّ صاحبيْ ونفسي ... بطعنةٍ مثلَ شُعاعِ الشّمسِ[1]

وقال أبو سفيان بن حرب، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم، ومعاونة ابن شَعوب إيّاه على حنظلة:

ولو شئتُ نجّتْني كُميتٌ طِمِرّةٌ[2] ... ولم أحْمِلِ النَّعْماء لابن شَعُوب
وما زال مُهْري مَزْجَر الكلب منهمُ ... لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى دنَتْ لغُروب[3]
أقاتلهم وأدّعي يالَغالِبٍ ... وأدفعهم عنّي بركُن صليب
فبكّي ولا ترْعَى مقالة عاذلٍ ... ولا تَسْأمي من عَبْرة ونَحِيب
أباكِ وإخواناً له قد تَتابعوا ... وحُقّ لهم من عَبرة بنصِيب
وسلّى الذي قد كان في النفس أنّني ... قتلتُ من النجّار كلّ نجيب
ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومُصْعباً ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنّني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجاً في القلب ذات نُدُوب
فآبوا وقد أوْدى الجلابيبُ[4] منهمُ ... بهم خَدَبٌ[5] من مُعْطِب[6] وكَئيب
أصابهمُ مَن لم يكن لدمائهم ... كِفاءً[7] ولا في خُطّة[8] بضَرِيب[9]

حسّان والحارث يردّان على أبي سفيان: فأجابه حسّان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام فقال:

ذكرت القُرُوم الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولسْتَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصيب

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٢٢.

(٢) الطِمِرّة: الفرس السريعة الوثب.

(٣) اي لم يبعد عنهم، إلا بمقدار الموضع الذي يُزجر إليه الكلب، والضمير المستتر في دنت، للشمس.

(٤) في تاريخ الطبري «الحلائب»، وهي الجماعات، أو أنصار الرجل من بني عمّه، والجلابيب: جمع جلباب. وهو في الأصل: الإزار الخشن. وكان المشركون يسمّون من أسلم «الجلابيب».

(٥) الخدب: الطعن النافذ.

(٦) في تاريخ الطبري «مُغبط».

(٧) في تاريخ الطبري «كفيّاً».

(٨) الخطّة: الخصلة الرفيعة. والضريب: الشبيه.

(٩) تاريخ الطبري ٢/٥٢٣، وفي أنساب الأشراف ١/٣٢١، ٣٢٢ ثلاثة أبيات منها. وهي في ديوان حسّان ٦٤.

أَتَعْجَبُ أنْ أقْصَدْتَ حمزةَ منهُمُ نجيباً وقد سمَّيْتَهُ بنَجيب
ألم يقتُلُوا عَمْراً وعُتبةَ وابنَهُ وشَيْبَةَ والحَجَّاجَ وابنَ حبيبِ
غَدَاة دعَا العاصي عَليّاً فراعَهُ بضَرْبَةِ عَضْبٍ بلّه بخَصِيب[1]

قال ابن إسحاق: وقال ابن شَعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دفاعِيَ يابن حَرْبٍ ومَشْهَدِي لألْفيتَ يوم النَّعْفِ[2] غيرَ مُجيب
ولولا مَكَرَّى المُهر بالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ[3] ضِباعٌ عليه أو ضِراءُ كَليب[4]

قال ابن هشام: قوله «عليه أو ضِراء» عن غير ابن إسحاق:

جزيتهمُ يوماً ببدْر كمثلِهِ على سابحٍ ذي مَيْعَةٍ وشَبِيبِ[5]
لَدَى صحن بدْرٍ أو أقمت نوائحا[6] عليك، ولم تَحْفِلْ مُصابَ حبيب
وإنَّك لو عَايَنْتَ ما كان منهُمُ لأبْتَ بقَلْبٍ ما بقيتَ نَخِيبِ[7]

قال ابن هشام: وإنّما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنّ أنه عرّض به في قوله:

وما زال مُهْرِي مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ

لفرار الحارث يوم بدر.

الزبير يذكر سبب الهزيمة: قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصَدَقَهم وعْدَه، فحسّوهم بالسيوف[8] حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها.

---

(١) ديوان حسّان ٦٥، ٦٦، تاريخ الطبري ٢/٥٢٣، ٥٢٤.

(٢) النّعف: اسفل الجبل.

(٣) قرقرت: اي أسرعت لنهشه.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٢٤

(٥) السابح: الفرس السريع. والمَيْعة: الخفّة. والشبيب: أن يرفع الفرس يديه جميعاً في الجري.

(٦) في تاريخ الطبري «لدى صحن بدر أو لقامت نوائح».

(٧) النخيب: الجبان. والأبيات في تاريخ الطبري ٢/٥٢٤ مختلفة الترتيب عمّا هنا.

(٨) حسّوهم: قتلوهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، عن عبد الله بن الزُبير، عن الزُبير، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عُتبة وصواحبها مشمّرات هوارب، ما دون أخذهنّ قليل ولا كثير إذا مالت الرماة إلى العسكر، حين كشفنا القوم عنه وخلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إنّ محمداً قد قُتل؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم[1].

قال ابن هشام: الصارخ أزبّ العَقَبة، يعني الشيطان.

حسّان يذكر شجاعة صؤاب: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني بعض أهل العلم؛ أنّ اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عَمرة بنت علقمة الحارثيّة، فرفعته لقريش، فلاثوا به[2]. وكان اللواء مع صؤاب، غلام لبني أبي طلحة، حَبَشيّ، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قُطعت يداه، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قُتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعزرت - يقول: أعذرت[3] - فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فَخَرْتُم باللّواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤاب
جعلتُم فخرَكُمْ فيه بعبدٍ ... وألأم من يطا عَفَر التُّراب[4]
ظَنَنْتُم، والسّفيهُ له ظنونٌ ... وما إنْ ذاك منْ أمر الصَّواب
بأنّ جِلادَنا يوم التقينا ... بمكّة بَيْعُكُمْ حُمْرَ العِياب[5]
أقرَّ العَيْنَ أنْ عُصِبَتْ يداهُ ... وما إنْ تُعصَبانِ على خضابِ[6]

---

(١) السير والمغازي ٣٢٧، الأغاني ١٥/١٩١.

(٢) لاثوا به: اجتمعوا عليه.

(٣) كان بلسانه لكنة يقلب الذال الى الزاي.

(٤) في تاريخ الطبري:

«جعلتم فخركم فيها لعبد ... من ألأمِ من وطي عفر التراب».

(٥) العياب: ما تضع فيه الناس حوائجهم.

(٦) ديوان حسّان ٦٢، تاريخ الطبري ٢/٥١٣، ٥١٤، الأغاني ١٥/١٩١.

قال ابن هشام: آخرها بيتاً يُروى لأبي خراش الهُذْلي، وأنشدنيه خَلَف الأحمر:

أقـرّ العيْن أنْ عُصِبتْ يَـدَاهـا   وَمَـا إنْ تُعْصَبـان على خضَـاب

فى أبيات له، يعني امرأته، في غير حديث أُحُد، وتُروى الأبيـات أيضاً لمعقل بن خُوَيلد الهُذْلي.

شِعْـر حسّان في شجاعـة عَمْـرة الحـارثيـة: قـال ابن إسحـاق: وقـال حسّان بن ثابت في شأن عَمرة بنت علقمة الحارثيّة ورفْعها اللواء:

إذا عَضَـلٌ سِيقَت إلينـا كـأنّهـا   جِـدَاية شِـرْكٍ مُعلَماتِ الحـواجِبِ[1]

أَقَمْنَـا لهم طَـعْنـاً مُـبِيـراً مُـنَكِّـلاً   وحُـزْنَاهُم بـالضَّرْبِ من كـلِّ جانب

فلَوْلاَ لِـواء الحـارثيَّـة أصبَحُـوا   يُباعون في الأسواق بيع الجَـلائِب[2]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له.

ما أصاب الرسول يوم أُحُد: قـال ابن إسحاق: وانكشف المسلمـون، فـأصاب فيهم العـدوّ، وكان يـوم بلاءٍ وتمحيص، أكـرم الله فيه مَن أكـرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدوّ إلى رسولِ الله ﷺ. فدُثّ بالحجارة حتى وقع لشقّه[3]، فأصيبت رَباعيّتـه، وشُجّ في وجهـه، وكُلِمتْ شَفَته، وكـان الذي أصابه عُتبة بن أبي وقّاص.

قال ابن إسحاق: فحَدثني حُمَيد الطَّويل، عن أنس بن مالك، قال:

كُسِرَت رباعيّة النّبيّ ﷺ يوم أُحُد، وشُجّ في وجهه، فجعـل الدم يسيـل على وجهـه، وجعل يمسـح الدم وهـو يقول: «كيف يُفلح قـوم خضَّبُـوا وجـه نبيّهم، وهو يدعوهم إلى ربّهم»؟! فأنـزل الله عزّ وجـلّ في ذلك ﴿لَيْسَ لَـكَ

(١) عَضَل: اسم قبيلة. والجداية: الصغير من ولد الظبي. وشِرْك: موضع.
(٢) الجلائب: ما يجلب الى الأسواق ليباع فيها.
(٣) الدّثّ: الرمي المقارب المؤلم. (تاج العروس ٢٤٧/٥) والشق: الجانب.

مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

قال ابن هشام: وذكر رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ: أنّ عُتبة بن أبي وقّاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رَباعِيَتَه اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأنّ عبد الله بن شهاب الزُّهْريّ شجّه في جبهته، وأنّ ابن قَمِئة جرح وجْنته، فدخلت حلقتان من حَلَق المِغْفَر[2] في وجْنته، ووقع رسولُ الله ﷺ في حُفرة من الحُفَر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائماً، ومصَّ مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخُدْرِيّ، الدمَ عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده؛ فقال رسولُ الله ﷺ «من مسّ دمي دَمَه لم تُصبْه النار»[3].

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوَرْديّ[4]: أنّ النبيّ ﷺ قال: «من أحبّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله»[5].

---

(1) سورة آل عمران ـ الآية ١٢٨. والخبر في الطبقات الكبرى ٢/٤٤، ٤٥، والسير والمغازي ٣٢٨، وتاريخ الطبري ٢/٥١٤، ٥١٥، والأغاني ١٥/١٩٢، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٤٥.

(2) المغفر: حلق يُجعل على الرأس يُتّقى به ضرب السلاح في الحرب.

(3) الحديث ليس في كتب الصحاح. ورُبيح بن عبد الرحمن رجل ليس بمعروف عند الإمام أحمد. وقال البخاري: منكر الحديث. وسرد له ابن عديّ أربعة أحاديث، وقال: أرجو انه لا بأس به. أنظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٣/١٠٣٢، ١٠٣٣، ميزان الاعتدال ٢/٣٨ رقم ٢٧٢٧، المغني في ضعفاء الرجال ١/٢٢٧ رقم ٢٠٨٥، تهذيب التهذيب ٣/٢٣٨، والحديث في البدء والتاريخ ٤/٢٠٣، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٤٧.

(4) صدوق من علماء المدينة، غيره أقوى منه. قال الإمام أحمد: إذا حدّث من حفظه يهمّ، ليس هو بشيء، وإذا حدّث من كتابه فنعم. وقال أيضاً: إذا حدّث من حفظه جاء ببواطيل. وقال ابن المديني: ثقة ثبت. وقال أبو حاتم: لا يُحتجّ به. وقال أبو زُرعة: سيّء الحفظ. وقال معن بن عيسى: يصلح الدراوردي أن يكون أمير المؤمنين. مات سنة ١٨٧ هـ. (ميزان الاعتدال ٢/٦٣٣، ٦٣٤ رقم ٥١٢٥).

(5) الحديث مرسَل، فضلاً عن ضعف الدراوردي كما مرّ. وقد أخرج الحديث ابن ماجه (١٢٥) من طريق: وكيع، عن الصلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر. وأخرجه الترمذي =

وذكر، يعني عبد العزيز الدراوَرْديّ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصِّدِّيق: أنّ أبا عُبيدة بن الجرّاح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثَنِيّته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيّته الأخرى، فكان ساقط الثنيّتين.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت لعُتبة بن أبي وقّاص:

إذا الله جازَى معشراً بفِعالهم ... وضَرّهم الرحمن ربّ المشارقِ
فأخزاك ربّي يا عُتَيْبَ بن مالك ... ولقّاك قبل الموتِ إحدى الصَّواعقِ
بَسَطْتَ يميناً ـ للنّبيّ تعمداً ... فأدميتَ فاهُ ـ قُطِّعَتْ بالبَوارِقِ[1]
فهلاّ ذكرتَ اللهَ والمنزِلَ الذي ... تصير إليه عند إحدى البوائِقِ[2]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما:

من شجاعة أصحاب الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله ﷺ، حين غشِيه القومِ: «مَن رجلٍ يشري لنا نفسَه»؟ كما حدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السكن في نفرٍ خمسة من الأنصار ـ وبعض الناس يقول: إنّما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن ـ فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم[3] عنه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أدنوه منّي»، فأدنوه منه فوسّده قَدَمَه، فمات وخدّه علَى قدم رسول الله ﷺ[4].

= (٣٧٤٠) من طريق: صالح بن موسى الطلحي، عن الصلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر. وصالح بن موسى متروك، وكذلك الصلت. وأخرجه الترمذي مرة أخرى (٣٧٤٢)، وله شاهد مرسل عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/١/١٥٦، وانظر تاريخ الإسلام (المغازي).

(١) البوارق: السيوف. وفي البدء والتاريخ «يا لبوائق».

(٢) ورد البيتان الثاني والثالث فقط في البدء والتاريخ ٤/٢٠٣ وهي كلها في تاريخ الإسلام (المغازي) وديوان حسان ٢٩١.

(٣) أجهضوهم: أزالوهم.

(٤) السير والمغازي ٣٢٨، الأغاني ١٥/١٩٣.

قال ابن هشام: وقاتلت أمُّ عُمارة، نُسيبة بنت كعب المازنية يوم أُحُد.

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاريّ: أنّ أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أمّ عُمارة، فقلت لها: يا خالة، أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه والدولة والريح[1] للمسلمين. فلما انهزم المسلمون، انحزْت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال، وأذبّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِئة أقمأه[2] الله! لما ولّى النّاس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نجوت إنْ نجا، فاعترضت له أنا ومُصعب بن عُمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان.

قال ابن إسحاق: وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره، وهو مُنْحنٍ عليه، حتى كثُر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقّاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول: «إرم، فِداك أبي وأمّي»[3]، حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل، فيقول: «ارم به»[4].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتادة؛ أنَّ رسول الله ﷺ: رمى عن قوسه حتى اندقّت سِيَتُها[5]، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قَتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته.

---

(١) يريد بالريح: إقبال النصر.

(٢) أقمأه الله: أذلّه الله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (١٢٤/٥) باب إذ همّت طائفتان منكم، وابن إسحاق في السير والمغازي ٣٢٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)، والمقدسي في البدء والتاريخ ٢٠٢/٤، ٢٠٣.

(٤) الأغاني ١٩٣/١٥، تاريخ الطبري ٥١٦/٢.

(٥) سِيَتُها: طرفها.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة. أنّ رسول الله ﷺ ردّها بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدِيّ بن النّجّار، قال: انتهى أنس بن النضْر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطّاب، وطلحة بن عُبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسولُ الله ﷺ ؛ قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل؛ وبه سُمّي أنس بن مالك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني حُمَيد الطّويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعين ضربة، فما عرفه إلّا أخته، عرفته ببَنَانِه[2].

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم: أنّ عبد الرحمن بن عَوف أصيب فُوه يومئذٍ فهُتم[3]، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رِجْله فعرج[4].

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ - كما ذكر لي ابن شهاب الزُّهْريّ - كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تُزهران[5] من تحت المِغْفَر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشِروا، هذا رسول الله ﷺ ؛ فأشار إليّ رسول الله ﷺ أنْ أنصِتْ.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥١٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، السير والمغازي ٣٢٨، ٣٢٩، الأغاني ١٥/١٩٣، ١٩٤.

(٢) السير والمغازي ٣٣٠ الأغاني ١٥/١٩٥، تاريخ الطبري ٢/٥١٧، ٥١٨.

(٣) هُتم: كُسرت ثنيّته.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٠٨، وفيه إحدى وعشرون جراحة، والطبراني في المعجم الكبير ١/١٢٨ رقم ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ١/٧٥.

(٥) تُزهران: تضيئان.

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشِعب، معه أبو بكر الصِّدِّيق، وعمرو بن الخطّاب، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بن أبي طالب، وطلحة بن عُبيد الله، والزُّبير بن العوّام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصِّمّة، ورهْط من المسلمين.

مقتل أُبَيّ بن خَلَف: قال: فلما أسند رسول الله ﷺ في الشِعْب أدركه أُبَيّ بن خَلَف وهو يقول: أي محمد، لانجوتُ إنْ نجوتَ، فقال القوم: يا رسولَ الله، أيعطِف عليه رجل منّا؟ فقال رسولُ الله ﷺ : «دعوه»؛ فلما دنا، تناول رسولُ الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمّة؛ يقول بعض القوم، فيما ذُكر لي: فلما أخذها رسولُ الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها، تطاير الشَّعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ـ قال ابن هشام: الشَّعْراء: ذُباب له لدغ ـ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها.

قال ابن هشام: تدأدأ، يقول: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج.

قال ابن إسحاق: وكان أُبَيّ بن خَلَف، كما حدّثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، يلقى رسولَ الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد إنّ عندي العُوذ، فرساً أعلفه كل يوم فَرْقاً[1] من ذُرَة، أقتُلُك عليه؛ فيقول رسولُ الله ﷺ : «بل أنا أقتلك إن شاء الله». فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنّ بك من بأس؛ قال: إنه قد كان قال لي بمكة: «أنا أقتلك»، فوالله لو بصق عليّ لقَتَلَني. فمات عدوّ الله بسَرِف[2] وهم قافلون به إلى مكة[3].

---

(١) الفَرْق: مكيال يسع اثني عشر رطلاً.

(٢) سَرِف: مكان على ستة أميال من مكة.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥١٨، ٥١٩، الأغاني ١٥/١٩٦، ١٩٧، وانظر الطبقات الكبرى ٢/٤٦، والمغازي للواقدي ١/٢٥٠، وأنساب الأشراف ١/٣١٩، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٧٤ (طبعة الهند)، والمغازي لعروة ١٧٠، والبداية والنهاية ٤/٣٢.

قال ابن إسحاق: فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

لقد ورث الضَّلالَة عن أبيه ... أُبَيٌّ يوم بارَزَه الرَّسولُ
أتيتَ إليه تَحْمِل رِمًّا[1] عَظْمٍ ... وتُوعِده وأنتَ به جَهُول
وقد قَتلتْ بنو النّجّار منكم ... أميَّة إذ يُغَوِّث[2]: يا عَقِيل
وتَبَّ ابنا ربيعة إذ أطاعا ... أبا جَهْل. لأمّهما الهُبول[3]
وأفْلَتَ حارثٌ لما شَغَلنا ... بأسر القَوْم، أسْرته فَليل[4]

قال ابن هشام: أسرته: قبيلته.

وقال حسّان بن ثابت أيضاً في ذلك:

ألا من مُبلغٌ عنّي أُبَيّاً ... لقد أُلقيت في سُحق السَّعِير
تمنّى بالضَّلالة من بَعيد ... وتُقسم أن قَدَرْت مع النُّذُور
تَمنّيك الأماني من بعيد ... وقولُ الكُفْر يَرْجع في غُرور
فقد لاقَتْك[5] طعنةُ ذي حفاظٍ[6] ... كريم البيت ليس بذي فُجور
له فَضْلٌ على الأَحْياء طُرًّا ... إذا نابتْ مُلِمّات الأمورِ

انتهاء الرسول إلى الشِّعب: قال: فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فم الشِّعْب خرج عليّ بن أبي طالب، حتى ملأ دَرَقَتَه ماء من المِهراس[7]، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافَه، فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصبّ على رأسه وهو يقول: اشتدّ غضب الله على من دمّى وجْهَ نبيّه[8].

---

(١) الرِّمّ: البالي.
(٢) يغوِّث: يقول واغوثاه.
(٣) الهُبُول: الهلك.
(٤) الفليل: المنهزمون.
(٥) في نهاية الأرب «لاقيت». (وفاء الوفا للمسهودي ٢/ ٣٧٩).
(٦) الحفاظ: الغضب.
(٧) المهْراس: ماء بأُحد.
(٨) تاريخ الطبري ٢/ ٥١٩، الأغاني ١٥/ ١٩٧، السير والمغازي ٣٣١ وفيه البيت الأول فقط =

سعد بن أبي وقّاص يحرص على قتل عُتْبة: قال ابن إسحاق: فحدّثني صالح بن كَيْسانَ عمّن حدّثه، عن سعد بن أبي وقّاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قطّ كحِرصي على قتل عُتْبة بن أبي وقّاص، وإنْ كان ما علمت لسيّء الخلق مبغَضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: «اشتدّ غضب الله على من دَمَّى وجْهَ رسوله»[1].

عمر يصعد إلى قريش الجبل: قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله ﷺ بالشِّعْب معه أولئك النفر من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قُريش الجبلَ.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنّه لا ينبغي لهم أن يعلُونا»[2]! فقاتل عمر بن الخطاب ورهْط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

معاونة طلحة للرسول: قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدَّن[3] رسول الله ﷺ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عُبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزُّبَير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول: «أوجب[4] طلحة حين صنع برسولِ الله ﷺ ما صنع»[5].

= من الأبيات الأولى، المغازي للواقدي ١/٢٤٩ و٢٥٠، ونهاية الأرب ١٧/٩٧ وفيه الأبيات كلها.

(١) تاريخ الإسلام (المغازي)، السير والمغازي ٣٣١، ٣٣٢، الأغاني ١٥/١٩٧، الطبري ٢/٥١٩.

(٢) السير والمغازي ٣٣٢، نهاية الأرب ١٧/٩٨، تاريخ الطبري ٢/٥٢١.

(٣) بدّن: ضعف.

(٤) أوجب: وجبت له الجنة.

(٥) أخرجه الترمذيّ وأورده في الرياض النضرة عن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، وأخرجه أحمد. قال الترمذيّ: حسن صحيح. (تاريخ الخميس ١/٤٩٢). وانظر تاريخ الإسلام (المغازي)، =

قال ابن هشام: وبلغني عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنيّة في الشِّعْب.

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى غفرة: أنّ النبيّ ﷺ صلّى الظُّهْر يوم أُحُد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلّى المسلمون خلفه قعوداً[1].

مقتل اليمَان وابن وقْش وابن حاطب: **قال ابن إسحاق**: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقّى[2]، دون الأعوص[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد، رفع حُسيل بن جابر، وهو اليَمَان أبو حُذَيفة بن اليمان، وثابت بن وقْش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان كبيران: ما أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله لا بقي لواحد منّا من عمره إلاّ ظِمء[4] حمار، إنّما نحن هامة[5] اليوم أو غداً، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ، ولعلّ الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقْش فقتله المشركون، وأما حُسيل بن جابر، فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه[6]، فقال حُذَيْفة: أبي، فقالوا: والله إنْ عرفناه. قال حُذَيْفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يدِيَه، فتصدّق حُذَيْفة بدِيَته على المسلمين؛ فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً.

= ونهاية الأرب ١٧/٩٨، والسير والمغازي ٣٣٢، وتاريخ الطبري ٢/٥٢١، ٥٢٢.

(١) نهاية الأرب ١٧/٩٨.

(٢) المنقّى: مكان بين أحد والمدينة. وبنقل ياقوت عن ابن إسحاق.

(٣) السير والمغازي ٣٣٢.

(٤) يُضرب لقُرب الأجل، فالظمء ما بين الشربتين، والحمار لا يصبر على العطش.

(٥) الهامة. كما تزعم العرب. طائر يخرج من رأس القتيل يصيح أسقوني اسقوني لا يسكت حتى يؤخذ بثأره.

(٦) أنظر عن ثابت بن وقش في الإصابة ١/١٩٦، ١٩٧ وعن حُسيل بن جابر ١/٣٣١ رقم ١٧٢٠، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والأغاني ١٥/٢٠٣، ٢٠٤.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ رجلاً منهم كان يُدْعَى حاطب بن أُميَّة بن رافع، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب، أصابته جراحة يوم أُحُد، فأُتي به إلى دار قومه وهو بالموت، فاجتمع إليه أهل الدار، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء: أبشِرْ يابن حاطب بالجنّة، قال: وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية، فنجم يومئذٍ نفاقه، فقال: بأيّ شيء تبشّرونه؟ بجنّة من حرمل[1]: غررتم والله هذا الغلام من نفسه[2].

مقتل قزمان منافقاً: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: كان فينا رجل أَتِيّ[3] لا يُدرَى ممّن هو، يقال له: قُزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول: إذا ذُكر له: «إنه لمن أهل النار»، قال: فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالاً شديداً. فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة. فاحتُمل إلى دار بني ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليْت اليوم يا قُزمان، فأبْشِر، قال: بماذا أُبشَّر؟ فوالله إن قاتلت إلّا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كِنانته، فقتل به نفسه[4].

قتل مُخَيْريق: **قال ابن إسحاق**: وكان ممن قُتل يوم أُحُد مُخَيْريق؛ وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون، قال: لما كان يوم أُحُد، قال: يا معشر يهود، والله لقد علِمتم أنّ نصر محمد عليكم لَحَقّ، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعُدَّته، وقال: إنْ أُصِبْتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ «مُخَيْرِيق خير يهود»[5].

الحارث بن سُويد: **قال ابن إسحاق**: وكان الحارث بن سُويد بن

---

(١) قال السهيلي: من حرمل، يريد الأرض التي دُفن فيها، وكانت تُنبت الحرمل، أي ليس له جنّة إلّا ذاك. (انظر الروض الأنف ٣/١٧٧).

(٢) أنساب الأشراف ١/٢٧٧، المغازي للواقدي ١/٢٦٣، تاريخ الطبري ٢/٥٣٠، ٥٣١.

(٣) أتيّ: غريب. لا يُدرى من اين أتى.

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي)، المغازي للواقدي ١/٢٦٤، الطبري ٢/٥٣١.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٣١، أنساب الأشراف ١/٣٢٥ رقم ٧٠٦ و١/٥١٨ رقم ١٠٤٢.

صامت منافقاً، فخرج يوم أُحُد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على المجذَّر بن ذياد البَلَوِيّ، وقيس بن زيد، أحد بني ضُبيعة، فقتلهما، ثم لحِق بمكة بقريش، وكان رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بعث إلى أخيه الجُلاس بن سُوَيد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني، عن ابن عباس: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ، وَٱللهُ لا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾[1] إلى آخر القصّة.

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به من أهل العلم: أنّ الحارث بن سُوَيد قتل المجذّر بن ذِياد ولم يقتل قيس بن زيد، والدليل على ذلك: أنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أُحُد، وإنّما قتل المجذّر، لأنّ المجذّر بن ذِياد كان قتل أباه سُوَيداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج[2]، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

فبينا رسول الله ﷺ، في نفر من أصحابه، إذ خرج الحارث بن سُويد من بعض حوائط المدينة، وعليه ثوبان مضرَّجان، فأمر به رسول الله ﷺ عثمان بن عفّان، فضرب عنقه، ويقال: بعض الأنصار.

قال ابن إسحاق: قتل سُويد بن الصامت مُعاذ بن عفراء غِيلةً، في غير حرب، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعاث.

أمر أُصَيْرِم: قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن أبي سفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هُريرة قال: كان يقول: حدّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصلّ قطّ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أُصَيْرِم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقْش. قال الحُصَين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأُصَيرم؟ قال: كان يأبَى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خرج

---

(١) سورة آل عمران - الآية ٨٦.

(٢) أنظر: أنساب الأشراف ٢٣٨/١ رقم ٥٦٣ و٥٦٤ و٢٧٥/١ رقم ٦٤٠ و٣٣١/١، ٣٣٢.

رسول الله ﷺ إلى أُحُد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. وقال: فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إنّ هذا للأُصَيْرِم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكِر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؛ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي، فغدوت مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنّه لمن أهل الجنّة»[1].

عمرو بن الجَمُوح ومقتله: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن أشياخ من بني سَلِمة: أنّ عمرو بن الجَمُوح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسْد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أُحُد أرادوا حبْسه، وقالوا له: إنّ الله عزّ وجلّ: قد عذرك، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: إنّ بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة»، فخرج معه فقُتل يوم أُحُد[2].

هند وتمثيلها بحمزة: قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عُتبة، كما حدّثني صالح بن كَيْسَان، والنّسْوة اللاّتي معها، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدّعن[3] الآذان والأُنف، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٢٥ رقم ٧٠٦، المغازي للواقدي ١/٢٦٢.

(٢) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال: اللّهم لا تردّني، فاستُشهد، فجعله بنوه على بعير، ليحملوه الى المدينة، فاستصعب عليهم البعير، فكان إذا وجّهوه الى كلّ جهة سارع إلاّ جهة المدينة، فكان يأبى الرجوع اليها، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله: اللّهم لا تردّني إليها، فدفنوه في مصرعه (انظر الروض ٣/١٧٧)، وأخرجه أحمد في المسند ٥/٢٩٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/٢٥٤، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والمغازي للواقدي ١/٢٦٤.

(٣) يجدعن: يقطعن.

وأُنفهم خَدَماً[1] وقلائد، وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقرطتها وحشيّاً، غلام جُبير بن مُطْعِم، وبقرت عن كبِد حمزة، فلاكَتْها فلم تستطع أن تسيغها؛ فلفظَتْها، ثم علت على صخرة مُشْرِفة، فصرخَت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جَزَيْناكُمْ بيوم بدرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعْرِ
ما كان عن عُتبةَ لِي من صبْرٍ ولا أخي وعمّه وبَكْري[2]
شفَيْتُ نفسي[3] وقَضَيْتُ نَذْرِي[4] شفيت وحْشيُّ غَليلَ صدْرِي[5]
فشُكْر وحْشيٍ عليّ عُمْري حتى ترمَّ أعظُمي في قبْري[6]

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطّلب. فقالت:

خَزِيتِ[7] في بدْرٍ وبعد بدْرِ يا بنتَ وقّاع[8] عظيم الكُفْر
صبَّحَكِ اللهُ غداةَ الفجْرِ ملهاشميّين الطِّوال الزُّهْر[9]
بكل قطّاعٍ حُسامٍ يَفْرِيْ حمزةُ لَيْثي وعليّ صَقْري
إذ رام شَيْبُ وأبوكَ غَدْري فخضَّبا منه ضواحي النَّحْر[10]

ونذركِ السُّوء فشرُّ نذرِ[11].

---

(1) الخدم: الخلاخيل.

(2) في البدء والتاريخ:

ما كان من عتبة لي من مُضر ولا أخيه لا ولا من صِهر

(3) في تاريخ الإسلام «صدري».

(4) في نهاية الأرب «وتري».

(5) في البدء والتاريخ «فشكر وحشيّ عليّ عمر».

(6) وردت الأبيات الثلاثة الأولى في: البدء والتاريخ ٤/٢٠٤، وتاريخ الإسلام (المغازي) وأسد الغابة ٥/٥٥٩، والاستيعاب ٤/٤٢٢ وهي كلها في نهاية الأرب ١٧/١٠١، وانظر السير والمغازي ٣٣٣.

(7) في البدء والتاريخ «جُزيت».

(8) الوقاع: كثير الوقوع في الدنيا.

(9) ملهاشميين: أرادت من الهاشميين، والزُهر: البيض.

(10) شيب: أرادت شيبة، فرخّمته بغير نداء، وهو قليل لضرورة الشِعْر. ضواحي النّحر: ما ظهر من أعلى الصدر.

(11) ورد البيت الأول فقط في البدء والتاريخ ٤/٢٠٤، والثلاثة الأولى في أسد الغابة ٥/٥٥٩، والاستيعاب ٤/٤٢٢، وهي كلها في نهاية الأرب ١٧/١٠١.

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عُتبة أيضاً:

شَفَيْتُ من حمزةَ نفسي بأُحدِ ... حتىً بقَرْتُ بطْنَه عن الكبدِ
أذْهَب عنّي ذَاكَ ما كنتُ أجدُ ... من لَذْعَةِ الحُزْنِ الشَّدِيد المُعْتَمِدِ
والحربُ تَعلُوكم بشُؤْبوب[1] بَرْدِ ... تَقدَّمُ إقداماً عليكُمُ كالأسدِ

قال ابن إسحاق: فحدَّثني صالح بن كَيْسان أنه حُدّث: أنّ عمر بن الخطّاب قال لِحسّان بن ثابت: يابن الفُرَيعة - قال ابن هشام: الفُرَيعة بنت خالد بن خُنَيس: ابن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج: لو سمعتَ ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسّان: والله إنّي لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارع - يعني أُطمة - فقلت: والله إنّ هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب، كأنها إنّما تهوي إلى حمزة ولا أدري، لكن أسمِعْني بعض قولها أكفكُموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطّاب بعض ما قالت، فقال حسّان بن ثابت:

أشِرَتْ لَكاعِ[2] وكان عادتُها ... لُؤماً إذا أشِرَتْ مع الكُفْرِ[3]

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له تركناها، وأبياتاً أيضاً له على الدّال: وأبياتاً أخر على الذّال، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحُلَيس بن زَبّان، أخو بنو الحارث بن عبد مَناة، وهو يومئذ سيِّد الأحابيش، قد مرّ بأبي سفيان، وهو يضرب في شدْق حمزة بن عبد المطّلب بزجّ الرمح ويقول ذُقْ: عُقَق[4]؛ فقال الحُلَيس:

---

(١) الشؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر.

(٢) لَكاع: كنّى بها عن هند، وامرأة لَكاع كقطام: لئيمة.

(٣) في الأغاني ١٥/١٩٨ «من الكفر»، والمثبت يتفق مع روايتي: ديوان حسّان ٢٢٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٢٥.

(٤) عُقَق: أي يا عاق.

يا بني كِنانة، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً؟ فقال: ويْحك! اكتمها عنّي، فإنها كانت زَلَّة[1].

أبو سفيان يشمت بالمسلمين: ثم إنّ أبا سفيان بن حرب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنعمَتْ فِعال[2]، وإنّ الحرب سجال، يوم بيوم، أُعْلُ هُبَل، أي أَظْهِر دِينَك؛ فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عمر فأجِبه، فقل الله أعلى وأجلّ، لاسواء[3]، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار». فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلُمّ إليّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائتِه فانظر ما شأنه»، فجاء، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللّهمّ لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمِئة وأَبرّ؛ لقول ابن قَمِئة لهم: إنّي قد قتلت محمداً[4].

قال ابن هشام: واسم ابن قَمِئة: عبد الله.

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مثل؛ والله ما رضيت، وما سخطت، وما نهيت، وما أمرت.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى: إنّ موعدكم بدر للعام القابل؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد»[5].

عليّ يخرج في آثار قريش: ثم بعث رسول الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإنْ

---

(١) الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، نهاية الأرب ١٧/١٠٢، تاريخ الطبري ٢/٥٢٧.

(٢) أي بالغنا في فعالنا.

(٣) أي لا نحن سواء، ولا يجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار، نحو لا زيد قائم، ولا عمرو خارج، ولكنه جاز في هذا الموضع، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل، أي لا يستوي كما جاز لا ندلك، أي: لا ينبغي لك. (الروض الأنف ٣/١٧٩)

(٤) السير والمغازي ٣٣٣، ٣٣٤، الأغاني ١٥/١٩٩، ٢٠٠، الطبري ٢/٥٢٦، ٥٢٧، المغازي للواقدي ١/٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) السير والمغازي ٣٣٤، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، الطبري ٢/٥٢٧.

كانوا قد جنّبوا الخيل[1]. وامتطوا الإبل، فإنّهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم لأناجزنّهم. قال عليّ: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجنّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجّهوا إلى مكة[2].

سعد بن الربيع: وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنيّ، أخو بني النّجّار: «مَن رجل ينظر لي مافعل سعد بن الربيع؟ في الأحياء هو أم في الأموات»؟ فقال رجل من الأنصار[3]: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رَمَق. قال: فقلت له: إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغْ رسول الله ﷺ عنّي السلام، وقل له: إنّ سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ما جزى نبيّاً عن أمّته، وأبلِغْ قومَك عنّي السلام وقل لهم: إنّ سعد بن الربيع يقول لكم: إنّه لا عُذْر لكم عند الله إنْ خلص إلى نبيّكم ﷺ ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات؛ قال: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره[4].

قال ابن هشام: وحدّثني أبو بكر الزُّبَيري: أنّ رجلاً دخل على أبي بكر

---

(١) جنّبوا الخيل: قادوها الى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة.

(٢) السير والمغازي ٣٣٤، تاريخ الطبري ٢/٥٢٧، ٥٢٨، الأغاني ١٥/٢٠١، نهاية الأرب ١٧/٩٩، ١٠٠، المغازي للواقدي ١/٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) الرجل: هو محمد بن مسلمة، ذكره الواقدي، وذكر أنه نادى في القتلى: يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة، فلم يُجبه أحد، قال: يا سعد إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أرسلني أنظر ما صنعت، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف، وذكر الحديث، وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة، فإنه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جدّه أنّ الرجل الذي التمس سعداً في القتلى هو: أُبيّ بن كعب. (الروض الأنف ١/١٧٨).

(٤) الخبر في: الاستيعاب ٤/١٤٥، أسد الغابة ٢/٣٤٨، الإصابة ٤/١٤٤، سير أعلام النبلاء ١/٣١٨، ٣١٩، الأغاني ١٥/٢٠٠، ٢٠١، تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، السير والمغازي ٣٣٤، ٣٣٥، نهاية الأرب ١٧/١٠٦، ١٠٧.

الصِّدِّيق، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبّلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير منّي، سعد بن الربيع، وكان من النقباء يوم العَقَبة، وشهد بدراً، واستُشهد يوم أُحُد.

الرسول يحزن على حمزة ويتوعّد المشركين بالمُثلة: قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطّلب، فوجده ببطن الوادي قد بقربطنه عن كبِده، ومُثّل به، فجُدع أنفه وأُذُناه[1].

فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَير: أنّ رسولُ الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفيّة، ويكون سُنّةً من بعدي لَتَركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم. فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلنّ بهم مُثْلة لم يمثّلها أحدمن العرب[2].

قتل ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا»! ثم قال: «جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطّلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبدالمطّلب، أسد الله، وأسد رسوله»[3].

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مَولاة لأبي لهب[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ وحدّثني من لا أتّهم، عن ابن عباس: أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

---

(٢) السير والمغازي ٣٣٥، تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، الأغاني ١٥/٢٠١.

(٢) السير والمغازي ٣٣٥ وفيه: «لم يمثّلها أحد من العرب بأحد قط» وكذا في تاريخ الطبري ٢/٥٢٨، ٥٢٩، والأغاني ١٥/٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١/١٧٩، ١٨٠.

(٣) نهاية الأرب ١٥/١٠٣.

(٤) هي ثُوَيبية.

﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[1]، فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المُثْلة[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني حُمَيد الطَّويل، عن الحسن، عن سَمُرة بن جُنْدب، قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قطّ ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المُثْلة[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسولُ الله ﷺ بحمزة فسُجِّي[4] ببُرْدة ثم صلَّى عليه، فكبّر سبْع تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلّى عليه ثِنتين وسبعين صلاة[5].

---

(١) سورة النحل ـ الآية ١٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٢٩، السير والمغازي ٣٣٥، الأغاني ١٥/٢٠١، نهاية الأرب ١٧/١٠٢.

(٣) والراوي هو حُميد بن تيرَوَيْه، ويقال: ابن نيري يُكنّى أبا حُمَيدة مولى طلحة الطّلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المُثْلة. فإن قيل. لقد مثّل رسول الله ـ ﷺ ـ بالعُرَنيّين فقطّع أيديهم وأرجلهم وسَمَل أعينهم، وتركهم بالحَرّة.

قلنا: في ذلك جوابان: أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسَمَلوا أعينهم، رُوي ذلك في حديث أنس، وقيل: إنّ ذلك قبل تحريم المُثْلة. فإن قيل: فقد تركهم يستسقون فلا يُسقون، حتى ماتوا عطشاً، قلنا عطّشهم لأنهم عطّشوا أهل بيت النبيّ ﷺ: تلك الليلة، رُوي في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن، قال: اللهم عطّش أهل بيت نبيّك. وقع هذا في شرح ابن بطّال، وقد خرّجه النّسويّ. (الروض الأنف ٣/١٧٨).

(٤) سُجّي: غُطّي.

(٥) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث، فإن ابن إسحاق قال: حدّثني من لا أتّهم، يعني: الحسن بن عمارة ـ فيما ذكروا ـ ولا خلاف في ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث، وأكثرهم لا يرونه شيئاً، وإن كان الذي قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم غير الحسن، فهو مجهول، والجهل يوبقه.

والوجه الثاني: أنه حديث لم يَصْحبه العمل، ولا يُروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه صلّى على شهيد في شيء من مغازيه إلّا هذه الرواية في غزوة أُحد، وكذلك في مدّة الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مُرْتَثّاً من المعركة. وأما ترك غُسْله، فقد أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في=

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغني، صفيّة بنت عبدالمطّلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمّها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزُّبَير بن العوّام: «الْقَها فأرجِعْها، لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أُمّه، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أنْ قد مُثّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: خلِّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلّت عليه، واسترجعت[1]، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدُفِن[2].

دفن الشهداء: قال: فزعم لي آل عُبَيد الله بن جحش ـ وكان لأُميمة بنت عبد المطّلب، حمزة خاله، وقد كان مُثّل به كما مُثّل بحمزة، إلاّ أنه لم يُبْقر عن كبِده ـ أنّ رسول الله ﷺ دفنه مع حمزة في قبره، ولم أسمع ذلك إلاّ عن أهله[3].

قال ابن إسحاق: وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى

= الصلاة إلا رواية شاذّة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك ـ والله أعلم ـ تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيل الله أمْواتاً﴾ الآية، مع أنّ في ترك غُسْله معنى آخر، وهو أنّ دمه أثر عبادة، وهو يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً وريحه ريح المسك، فكيف يُطهّر منه وهو طيب وأثر عبادة، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء، وهو قول الزهري، قال الزهري: وبلغني انه يوزن، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشيّ للصائم لئلاّ يذهب خَلوف فمه، وهو أثر عبادة؛ وجاء فيه ما جاء في دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك، ويُروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك. رواه مسلم باللفظين جميعاً، والمعنى واحد، وجاءت الكراهية للسواك بالعشيّ للصائم عن عليّ وأبي هريرة، ذكر ذلك الدارقطني. (الروض الأنف ٣/١٧٨، ١٧٩) والحديث في السير والمغازي ٣٣٥، وانظر مجمع الزوائد ٦/١٢٠).

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا اليه راجعون، فهو فعْل منحوت من الجملة. مثل: حَوْقل وبَسْمَل واستعاذ إلى أخر هذه الأفعال المنحوتة.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٢٩، الأغاني ١٥/٢٠٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٠٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٢٩، ٥٣٠.

المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك. وقال: «أدفنوهم حيث صُرِعوا»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم الزُّهْرِيّ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العُذْريّ، حليف بني زُهْرة: أنّ رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أُحُد، قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يُجرح في الله، إلاّ والله يبعثه يوم القيامة يَدْمي جَرْحُه، اللون لون دم والريح ريح مسك، أنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن؛ فاجعلوه أمام أصحابه في القبر» - وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد[2].

قال: وحدّثني عمّي موسى بن يَسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يُجرح في الله إلاّ والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمي، اللون لون دم، والريح ريح مسك»[3].

---

(1) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢، نهاية الأرب ١٠٣/١٧.

(2) تاريخ الإسلام (المغازي)، وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦) باب مقتل حمزة رضي الله عنه، عن كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ قال: «من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل: أعزّك الله انا رأيت مقتله، فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شُق بطنه وقد مُثّل به فقال: يا رسول الله قد مُثّل به، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ووقف بين ظهراني القتلى وقال: أنا شهيد على هؤلاء لفّوهم بدمائهم فإنه ليس مجروح يجرح في سبيل الله الا جاء جرحه يوم القيامة يدما لون الدم وريحه ريح المسك. قدّموا أكثرهم قرآناً واجعلوه في اللحد». رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(3) الحديث صحيح له شاهد في صحيح مسلم، كتاب الإمارة (١٠٥) باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، قال: حدّثنا عمرو الناقد وزهير بن حرب، قالا: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «لا يُكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكلم في سبيله، إلاّ جاء يوم القيامة وجُرحه يَثْعب، اللون لون دم والريح ريح مِسْك». وله حديث آخر بنحوه عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همّام بن منبّه، عن أبي هريرة (١٠٦)، وأخرج النسائي الحديث الأول مثل مسلم في كتاب الجهاد (٢٨/٦، ٢٩) باب من كُلم في سبيل الله عزّ وجلّ. وأخرج ابن ماجة حديثاً قريباً من رواية ابن هشام في كتاب الجهاد (٢٧٩٥) باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى، عن بشر بن آدم وأحمد بن ثابت الجحدري، قالا: حدثنا صفوان بن عيسى، حدّثنا محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مجروح يخرج في سبيل الله، والله يعلم بمن يُجرح في =

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن أشياخ من بني سَلِمة: أنّ رسول الله ﷺ، قال يومئذ، حين أمر بدفن القتلى: انظروا إلى عمرو بن الجَمُوح، وعبدالله بن عمرو بن حَرام، فإنّهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد[1].

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فلقِيَتْه حَمْنة بنت جحش، كما ذُكر لي، فلما لقيت الناس نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطّلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مُصعب بن عُمير، فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ : «إنّ زوج المرأة منها لبمكان»! لِما رأى من تثبّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها[2].

قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ بدارٍ من دُور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له»[3]! فلما رجع سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحزّمن، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ[4].

قال ابن إسحاق: حدّثني حُكَيم بن حُكَيم، عن عبّاد بن حُنَيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهنّ على

= سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جُرح. اللون لون دم، والريح ريح مسك». وهو في سنن الدارمي في كتاب الجهاد، باب (١٤)، كتاب الجهاد (صفحة ٣٠٦) رقم (٩١٢) باب الشهداء في سبيل الله، ومسند أحمد ٢٤٢/٢ و٣٩١ و٣٩٨ و٣٩٩ و٤٠٠ و٥١٢ و٥٢٠و ٥٣١ و٥٣٧ و٢٩٩/٣.

(١) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢.

(٣) رواه أبو يعلي بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، عن ابن عمر، وأنس بن مالك قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أُحُد سمع نساء الأنصار يبكين، فقال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال: يا ويحهنّ ما زلن يبكين منذ اليوم فليبكين ولا يبكين على هالك بعد اليوم».

(٤) تاريخ الطبري ٥٣٢/٢، المغازي لعروة ١٧١.

حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين عليه، فقال: «ارجعْن يرحمكنّ الله، فقد آسيتنّ[1] بأنفسكنّ»[2].

قال ابن هشام: ونهى يومئذ عن النَّوْح.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهنّ قال: «رحِم الله الأنصار! فإنّ المواساة منهم ما عَتَمَتْ لَقَديمة، مُرُوهنّ فلينصرفْن».

المرأة الدينارية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الواحد بن أبي عون، عن إسماعيل بن محمد، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: مرّ رسولُ الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبّين، قالت: كل مصيبة بعدك جَلَل! تريد صغيرة[3].

قال ابن هشام: الجَلَل: يكون من القليل، ومن الكثير، وهو هاهنا من القليل. قال امرؤ القيس في الجَلل القليل:

لقتلِ بني أسْد رَبَّهم[4] ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلل

قال ابن هشام: أي صغير قليل. قال ابن هشام: والجَلَل أيضاً العظيم: قال الشاعر، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْميّ:

ولئن عَفَوْتُ لأعْفونّ جَلَلاً ولئنْ سَطَوْت لأوْهِننّ عَظْمي

غسْل السيوف: قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: «اغسلي عن هذا دمه يابُنَيّة، فوالله لقد صدقني

---

(١) آسيتنّ: عزّيتنّ وعاونتنّ.
(٢) انظر: المغازي لعروة ١٧١.
(٣) تاريخ الطبري ٥٣٣/٢، البداية والنهاية ٤٧/٤، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) الرب: الملك.

اليوم»، وناولها عليّ بن أبي طالب سيفه، فقال: «وهذا أيضاً، فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم»، فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنيف وأبو دُجانة»[1].

قال ابن هشام: وكان يقال لسيف رسول الله ﷺ: ذو الفقَار[2].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ ابن أبي نَجيح قال: نادى مُنادٍ يوم أُحُد:

لا سيف إلاّ ذو الفِقار، ولا فتى إلاّ عليّ

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب: «لا يصيب المشركون منّا مثلها حتى يفتح الله علينا».

قال ابن إسحاق: وكان يوم أُحُد يوم السبت للنصف من شوال.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٣.

(٢) يقال له «ذو الفقار» لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهْر، صار إليه يوم بدر، وكان للعاص بن منبّه أخي نُبيه بن الحجّاج بن عامر السهمي، وكانت قبيعته، وقائمته، وحلقته، وذؤابته، وبكراته، ونصله، من فضّة، والقائمة هي الخشبة التي يُمسك بها، وهي القبضة.

وروى الترمذي من حديث هود بن عبدالله بن سعد بن مَزِيدة، عن جدّه مزيدة قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وعلى سيفه ذهب وفضّة. وهو ذو الفِقار ـ بالكسر، جمع فقْرة وبالفتح، جمع فقارة ـ سمّي بذلك لفقْرات كانت فيه، وهي حُفر كانت في متْنه حسنة (تاريخ الاسلام ـ السيرة ٥١٢).

غزوة حمراء الأَسَد[1]

قال: فلما كان الغد من يوم الأحد لستَّ عشرة ليلةً مضت من شوّال، أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ، فأذّن مؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحد إلّا أحد حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام؛ فقال: يا رسول الله، إنّ أبي كان خلّفني على أُخَوات لي سبع، وقال: يابُنيّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهنّ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلّف على أُخَواتك؛ فتخلّفْت عليهنّ. فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه. وإنّما خرج رسول الله ﷺ مُرْهِباً للعدوّ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنّوا به قوّة، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم»[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي

---

(1) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ١/٣٣٤ ـ ٣٤٠، تاريخ الطبري ٢/٥٣٤ ـ ٥٣٦، المغازي لعروة ١٧٤، الطبقات الكبرى ٢/٣٤، الدرر لابن عبد البر ١٦٧، جوامع السيرة ١٧٥، المحبّر ١١٣، أنساب الأشراف ١/٣٣٨ رقم ٧٢٤، الكامل في التاريخ ٢/١٦٤، ١٦٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، ١٢٧، البدء والتاريخ ٤/٢٠٥، الأغاني ١٥/٢٠٥، تاريخ الاسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/١٨٠، سيرة ابن كثير ٣/٩٧ ـ ١٠٣، عيون التواريخ ١/١٦٧ ـ ١٦٩، عيون الأثر ٢/٣٧، ٣٨، شرح المواهب ٢/٧٠ وما بعدها، تاريخ خليفة ٧٣.

(2) تاريخ الطبري ٢/٥٣٤، الأغاني ١٥/٢٠٤، ٢٠٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٦، الواقدي ١/٣٣٦.

السّائب مولى عائشة بنت عثمان: أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، من بني عبد الأشهل كان شهد أُحُداً مع رسول الله ﷺ، قال: شهدت أُحُداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله مالنا من دابّة نركبها، وما منّا إلاّ جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً، فكان إذا غلب حملته عُقْبة، ومشى عُقْبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون[1].

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأَسَد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام:

قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة[2].

قال: وقد مرّ به كما حدّثني عبد الله بن أبي بكر، مَعْبد بن أبي مَعْبد الخُزاعيّ، وكانت خُزاعة، مسلمهم ومشركهم عَيْبة نُصْح[3] لرسول الله ﷺ، بتهامة، صَفَقَتُهم[4] معه، لايُخفون عنه شيئاً كان بها، ومَعْبد يومئذٍ مُشرك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك، لوددْنا أنّ الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرَّوْحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لَنَكُرَّنَّ على بقيّتهم، فلَنَفْرُغَنَّ منهم، فلما رأى أبو سفيان مَعْبداً، قال: ما وراءك يامَعْبَد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمْعٍ لم أر مثله قطّ، يتحرّقون عليكم تحرُّقاً، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٤، ٥٣٥، الأغاني ١٥/٢٠٥، نهاية الأرب ١٧/١٢٧.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٣٥، الأغاني ١٥/٢٠٥، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٣) عيبة نُصْح الرجل: مكمن سرّه.
(٤) صَفَقَتُهم: اتفاقهم.

على ما صنعوا، فيهم من الحَنق عليكم شيء لم أرَ مثله قطّ؛ قال: ويْحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى[1] نواصي الخيل؛ قال: فوالله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم، لنستأصل بقيّتهم، قال: فإنّي أنهاك عن ذلك؛ قال: والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر؛ قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادتْ تُهدُّ من الأصوات راحِلتي ... إذا سالتِ الأرضُ بالجُرْد الأبابِيلِ[2]

تَردي بأسْدٍ كرام لا تنابلةٍ ... عند اللّقاء ولا ميْل معازيلِ[3]

فظَلتُ عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيسٍ غير مخذولِ

فقلتُ: ويْلَ ابنِ حرْبٍ من لقائِكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَتِ البطحاءُ بالجِيلِ[4]

إنّي نذيرٌ لأهل البَسْلِ ضاحيةً ... لكلّ ذي إرْبَةٍ منهم ومعقولِ[5]

من جَيْشِ أحمدَ لاوَخْشٍ[6] تنابِلُهُ[7] ... وليس يوصَفُ ما أنذَرْتُ بالقِيلِ[8]

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومرّ به ركْب من عبد القيس، فقال؛ أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال؛ ولِمَ؟ قالوا: نريد المِيرة؛ قال: فهل أنتم مبلّغون عنّي محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعُكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتموه فأخبِروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه

---

(١) في تاريخ الطبري «ترى» وكذا في تاريخ الإسلام.

(٢) الجرد: العتاق من الخيل. والأبابيل: الجماعات.

(٣) تَرْدي: تسرع. والتنابلة: القصار. والميل: الذين لا رماح معهم. والمعازيل: العزل من السلاح. وعند الطبري «ولا خرْقٍ معازيل».

(٤) تغطمطت: اهتزّت. والجيل: الصنف من الناس، أو الأمّة.

(٥) أهل البسل: قريش. والضاحية: الظاهرة للشمس. والإربة: العقل.

(٦) الوخش: رذلة الناس.

(٧) في تاريخ الطبري «قنابله». والقنبلة: الطائفة من الناس.

(٨) تاريخ الطبري ٢/٥٣٥، ٥٣٦، الأغاني ١٥/٢٠٦، ٢٠٧ وسقط فيه البيت الثاني، المغازي للواقدي ١/٣٣٩ وفيه ثلاثة أبيات، تاريخ الإسلام (المغازي) سيرة ابن كثير ٣/٩٩، ١٠٠.

لنستأصل بقيّتهم، فمرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأَسَد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان؛ فقال: حسبُنا الله ونعم الوكيل[1].

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عُبيدة: أنّ أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أُحُد، أراد الرجوع إلى المدينة، ليستأصل بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أُميَّة بن خَلَف، لا تفعلوا، فإنّ القوم قد حَرَبوا[2]، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فرجعوا. فقال النّبيّ ﷺ، وهو بحمراء الأَسَد، حين بلغه أنهم هَمُّوا بالرجعة: «والذي نفسي بيده، لقد سُوّمت[3] لهم حجارة، لو صُبِّحوا بها لَكانوا كأمس الذاهب»[4].

قال أبو عُبَيدة: وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، وهو جدّ عبد الملك بن مروان، أبو أمّه عائشة بنت معاوية، وأبا عزّة الجُمَحِيّ[5]، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر، ثم منَّ عليه؛ فقال: يا رسول الله، أقِلني؛ فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرّتين، اضرب عنقه يا زُبَير». فضرب عُنُقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيّب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن لايُلدغ من جُحْر مرَّتين[6]. اضرب عُنُقه يا عاصم ابن ثابت»، فضرب عنقه.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٣٦، الأغاني ١٥/٢٠٧، المغازي للواقدي ١/٣٤٠.

(٢) حَربوا: غضبوا. وفي المغازي للواقدي ١/٣٣٩ «حزنوا».

(٣) سُوّمت: عُلّمت.

(٤) المغازي للواقدي ١/٣٣٩.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٣٦.

(٦) أخرج البخاري عن قتيبة، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن ابن المسيّب، عن ابي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ أنه قال: لا يُلدغ المؤمن من جُحْر واحد مرتين». وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٦٣) باب لا يلدغ المؤمن من جُحْر مرتين، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٨٦٢) باب في الحذر من الناس، وابن ماجة في الفتن (٣٩٨٣) باب العزلة، والدارمي في الرقاق، باب ٦٥، وأحمد في المسند ٢/١١٥ و٣٧٩.

قال ابن هشام: ويقال: إنّ زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأَسَد، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمَّنه، على أنه إنْ وُجد بعد ثلاث قُتِل، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبيّ ﷺ، وقال: «إنّكما ستجدانه بموضع كذا وكذا»، فوجداه فقتلاه[1].

شأن عبدالله بن أُبَيّ بعد غزوة أُحُد: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، كما حدّثني ابن شهاب الزُّهْرِيّ، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكَر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيّها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزّكم به، فانصروه وعزِّزوه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحُد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدوَّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعت، فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنّما قلت بُجراً[2] أن قمت أشدُدُ أمرَه. فلقِيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: مالك؟ ويْلك! قال: قمت أشدُدُ أمرَه، فوثب عليّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنّفونني، لكأنّما قلت بَجَراً أن قمت أشدُد أمرَه؛ قال: ويْلك! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ؛ قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي[3].

تمحيص المؤمنين يوم أُحُد: قال ابن إسحاق: كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين، ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُسْتَخْفٍ بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٣٧.

(٢) البجر: الأمر العظيم. والبُجاري: الدواهي. (تاج العروس ١٠/١٠٦).

(٣) تاريخ الاسلام (المغازي).

ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائيّ، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال: فكان ممّا أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أُحُد من القرآن ستون آيةً من آل عمران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومُعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه ﷺ: **﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[1].

قال ابن هشام: تُبَوِّىء المؤمنين: تتّخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُمَيْت بن زيد:

لَيتني كنت قبله قد تبوَّأت مضْجَعا

وهذا البيت في أبياتٍ له.

أي سميعٌ بما تقولون، عليم بما تُخْفُون.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أي تتخاذلا، والطائفتان: بنو سَلِمة بن جُشَم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان يقول الله تعالى: **﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾**؛ أي المُدافِعُ عنهما ماهَمَّتا به من فَشَلِهما، وذلك أنه إنّما كان ذلك منهما عن ضَعْفٍ ووهن أصابهما غير شكّ في دِينهما، فتولّى دفعَ ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سلِمتا من وُهُونهما وضَعْفهما، ولحِقتا بنبيّهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدثني رجل من الأسْد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان. ما نحب أنّا لم نهمّ بما هَمَمْنا به، لتولّي الله إيّانا في ذلك.

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: **﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾**:

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٢١.

أي من كان به ضَعْف من المؤمنين فليتوكَّلْ عليّ، وليستعِنْ بي، أعِنْه على أمره، وأدافع عنه، حتى أبلغ عنه، وأقوّيه على نبيّه. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي فاتقوني، فإنه شكر نعمتي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنتم أقَل عدداً وأضعف قوّة ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[1]: أي إن تصبروا لعدوّي، وتطيعوا أمري، ويأتوكم من وجههم هذا، أمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين.

قال ابن هشام: مسوِّمين: معلِّمين. بَلَغَنا عن الحسن بن أبي الحَسَن البَصْري أنه قال: أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصُوف أبيض. فأما ابن إسحاق فقال: كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً. وقد ذكرت ذلك في حديث بدر. والسما: العلامة. وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2]: أي علامتهم. و﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً﴾[3] يقول: مُعلَّمة. بَلَغنا عن الحَسن بن أبي الحسن البَصْريّ أنه قال: عليها علامةٌ، أنها ليست من حجارة الدنيا، وأنّها من حجارة العذاب. قال رؤبة بن العَجّاج:

فالآنَ تُبْلَى بي الجِيادُ السُّهم[4] ... ولا تُجارِيني إذا ما سَوَّمُوا
وشَخَصَت أبصارُهم وأَجْذَموا[5]

وهذه الأبيات في أرجوزة له. والمسوَّمة أيضاً: المرعيّة، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾[6] و﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[7]. تقول العرب: سوَّم

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات من ١٢٢ ـ ١٢٥.
(٢) سورة الفتح ـ الآية ٢٩.
(٣) سورة هود ـ من الآيتين ٨٢ و٨٣.
(٤) الجياد: الخيل العتاق. والسهم: العابسة.
(٥) أجذموا: أسرعوا.
(٦) سورة آل عمران ـ الآية ١٤.
(٧) سورة النحل ـ الآية ١٠.

خيله وإبله، وأسامها: إذا رعاها. قال الكُمَيْت بن زيد:

راعياً كـان مُسْجِحـاً فـفَقـدنـا ... ه وفَـقـدُ المُسيم هُلْكُ السَّـوَام

قـال ابن هشـام: مُسجحـاً: سَلِس السيـاسـة مُحسن إلى الغنم. وهـذا البيت في قصيدة له.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وَمَا ٱلنَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾؛ أي ما سمَّيت لكم من سمَّيت من جنود ملائكتي إلاّ بُشرَى لَكُم، ولتطمئنَّ قلوبُكم به، لِمَا أعرف من ضَعْفكم، وما النصر إلاّ من عندي، لسلطاني وقدرتي، وذلك أنّ العزّ والحكم إليّ، لا إلى أحد من خَلْقِي. ثم قال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: أي ليقطع طَرَفاً من المشركين بقَتلٍ ينتقم به منهم، أو يردّهم خائبين: أي ويرجع من بقي منهم فَلاًّ خائبين، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

قال ابن هشام: يَكْبِتَهُم: يغمّهم أشدّ الغمّ، ويمنعهم ما أرادوا. قال ذو الرُّمَّة:

مـا أنْسَ من شَجَنٍ لا أنسَ مَوْقِفَنـا ... في حيـرةٍ بين مسـرورٍ ومَكْبـوتِ

ويكبتهم أيضاً: يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْءٌ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلاّ ما أمرتك به فيه، أو أتوب عليهم برحمتي، فإنْ شئت فعلت، أو أعذّبهم بذنوبهم فبحقّي ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيّاي ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]: أي يغفر الذنْب ويرحم العباد، على ما فيهم[2].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٢٦ ـ ١٢٩.
(٢) وفي الترمذي حديث مرفوع أنّ رسول الله ﷺ ـ كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن =

ثم قال: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذا أنتم على غيره، مما لا يحلّ لكم في دِينكم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي فأطيعوا الله لعلّكم تنجون مما حذّركم الله من عذابه، وتدركون ما رغّبكم الله فيه من ثوابه، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1]، أي التي جُعلت داراً لمن كفر بي.

ثم قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ مُعَاتبةً للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي داراً لمن أطاعني وأطاع رسولي. ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ، وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ، وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ، وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي وذلك هو الإحسان، وأنا أحبّ من عمل به، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي إنْ أتوا فاحشةً، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها، وما حرّم عليهم، فاستغفروه لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلّا هو. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي لم يقيموا على معصيتي كفِعْل من أشرك بي فيما غلَوْا به في كُفْرِهم، وهم يعلمون ما حرّمت عليهم من عبادة غيري. ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَنِعْمَ

= هشام وعمرو بن العاص، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، أو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: فتابوا وأسلموا، وحسُن اسلامهم، وهذا حديث ثابت في حُسن إسلام أبي سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حُسن إسلامه وفي موته شهيداً بالشام، وأما عمرو بن العاص، فقد قال فيه النبيّ عليه السلام: أسلم الناس وآمن عمرو، وقال في حديث جرى، ما كانت هجرتي للمال، وإنما كانت لله ورسوله، فقال النبيّ - ﷺ - نِعمّا بالمال الصالح للرجل الصالح، فسمّاه: رجلاً صالحاً. والحديث الذي جرى: أنه كان قال له إني أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه، ويغنمك، وأزعب لك زعبة من المال. (الروض الأنف ٣/١٩٣).

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٣٠ ـ ١٣١.

﴿أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ﴾[1]: أي ثواب المطيعين.

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم، والبلاء الذي أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتّخاذه الشهداء منهم، فقال: تعزية لهم، وتعريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]: أي قد مضت منّي وقائع نقمة في أهل التكذيب لرُسُلي والشِّرْك بي: عاد وثَمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَن، ، فرأوا مَثُلات قد مضت منّي فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منّي، فإنّي أمليت لهم: أي لئلاّ يظنّوا أنّ نقمتي انقطعت عن عدوّكم وعدوّي، للدولة التي أدْلتهم بها عليكم، ليبتليكم بذلك، ليَعلّمكم ما عندكم.

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي هذا تفسير الناس إنْ قبِلوا الهُدَى ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي نور وأدب «لِلْمُتَّقِينَ»: أي لمن أطاعني وعرف أمري. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي لا تضعُفوا ولا تبئسوا على ما أصابكم، ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي لكُم تكون العاقبة والظهور ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي إنْ كنتم صدّقتم نبيّي بما جاءكم به عنّي. ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: أي جراح مثلها، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾: أي ليميّز بين المؤمنين والمنافقين نبيّي وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾: أي المنافقين الذين يُظهرون الطاعة وقلوبهم مُصِرَّة على المعصية ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلّصهم بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صبرهم ويقينهم ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَافِرِينَ﴾[3]: أي يُبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذي يستترون به.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٣٢ ـ ١٣٦.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران ـ الآيات ١٣٨ ـ ١٤١.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ﴾: أي حسِبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدّة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيّ، ولقد كنتم تمنَّون الشهادة على الذين أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقَوْا عدوَّكم، يعني الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوّهم، لما فاتهم من حضور اليوم الذي كان قبله ببدْر، ورغبة في الشهادة التي فاتتهم بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال قد خلّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدّهم عنكم. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾: أي لِقول الناس: قُتل محمد ﷺ، وانهزامهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوّهم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رجعتم عن دينكم كُفّاراً كما كنتم، وتركتم جهاد عدوّكم، وكتاب الله وما خلف نبيّه ﷺ من دينه معكم وعندكم، وقد بيّن لكم فيما جاءكم به عنّي أنه ميّت ومفارقكم، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: أي يرجع عن دِينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً﴾: أي ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا مُلكه ولا سلطانه ولا قدرته، ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾(١): أي من أطاعه وعمل بأمره(٢).

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾: أي أنّ لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغه، فإذا أذِن الله عزّ وجلّ في ذلك كان. ﴿وَمَنْ يُرِدْ

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٢) ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردّة على أعقابهم، فلم يضرّ ذلك دين الله، ولا أمّة نبيّه، وكان أبو بكر يسمّى: أمير الشاكرين لذلك، وفي هذه الآية دليل على صحة خلافته، لأنه الذي قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردّهم الى الدين الذي خرجوا منه، وكان في قوله سبحانه: ﴿وسَيَجزِي الله الشاكرين﴾ دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتدّ، وتكمل عليهم النعمة، فيشكرون، فتحريضه إياهم على الشكر ـ والشكر لا يكون إلا على نعمة ـ دليل على أنّ بلاء الردّة لا يطول، وأنّ الظفر بهم سريع، كما كان. (الروض الأنف ١٩٣/٣).

ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي ٱلشَّاكِرِينَ﴾[1]: أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤْته منها ما قُسم له من رزق، ولا يعدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظ ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما وُعد به، مع ما يجزى عليه من رزقه في دنياه وذلك جزاء الشاكرين، أي المتّقين.

ثم قال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ﴾: أي وكأيّنْ من نبيّ أصابه القتل، ومعه ربّيُّون كثير: أي جماعة، فما وهنوا لفقد نبيّهم، وما ضعُفوا عن عدوّهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله تعالى وعن دِينهم، وذلك الصبر، والله يحبّ الصابرين ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾[2].

قال ابن هشام: واحد الربّيّين: ربِّي؛ وقولهم: الرباب، لولد عبد مَناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس، ولضَبَّة، لأنهم تجمّعوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرباب: رِبّة وربابة وهي جماعات قِداح أو عِصيّ ونحوها، فشبّهوها بها.

قال أبو ذُؤَيب الهُذَلِيّ:

وكأنهنّ ربابةٌ وكأنّهُ يَسَرٌ يَفِيض على القِداحِ ويَصْدَعُ

وهذا البيت في أبيات له.

وقال أُميّة بن أبي الصَّلت:

حَوْل شياطينهم أبابيلُ رِبِّيُّون شدُّوا سَنَوَّرا مَدْسُورا

وهذا البيت في قصيدة له:

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٥.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٤٦ و١٤٧.

قال ابن هشام: والربابة أيضاً: الخِرقة التي تُلَفّ فيها القِداح.

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدروع. والدُّسُر، هي المسامير التي في الحِلَق، يقول الله عزّ وجلّ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[1]:

قال الشاعر، وهو أبو الأخزر الحِمّاني، من تميم:

دُسْراً بأطراف القَنا المُقَوّم

قال ابن إسحاق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا أنّما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دِينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يثبّت أقدامكم، واستنصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقد قُتل نبيّهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوّهم، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها، والله يحبّ المحسنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي عن عدوّكم، فتذهب دنياكم وآخرتكم **﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾**، فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً في قلوبكم فاعتصموا به، ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دِينه. **﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾**: أي الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم من حجّة، أي فلا تظنّوا أنّ لهم عاقبة نصر، ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي، واتبعتم أمري، للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدّمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمري للمعصية، وعصيتم بها النبيّ ﷺ. **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ، حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ**[2]، **ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا**

---

(١) سورة القمر ـ الآية ١٣.

(٢) وقوله ﴿وَمِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ قال ابن عباس: هو عبدالله بنُ جبير الذي كان أميراً على الرُّماة، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم، وألاّ يخالفوا أمر نبيّهم، فثبت معه طائفة، فاستشهد، =

عَنْكُمْ، وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، أي وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوّكم، إذ تحسّونهم بالسيوف، أي القتل، بإذني وتسليطي أيديكم عليهم، وكفّي أيديَهُم عنكم.

قال ابن هشام: الحَسّ الاستئصال: يقال: حسست الشيء: أي استأصلته بالسيف وغيره.

قال جرير:

تحسُّهم السيوفُ كما تَسَامَى حريقُ النار في الأَجَم الحَصِيدِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال رؤبة بن العَجَّاج:

إذا شكونا سَنَةً حَسُوسا
تأكُل بعد الأخْضَر اليبيسا

وهذان البيتان في أُرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: أي تخاذلتم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمر نبيّكم وما عهد إليكم، يعني الرُّماة ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: أي الفتح، لا شكّ فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي الذين أرادوا النهب في الدنيا، وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[3]. أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعَرَضٍ من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من حُسن ثوابه في الآخرة: أي الذين جاهدوا في الدّين ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه،

= واستُشهدوا، وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على المغنم، وأخذ السلب، فكرّ عليهم العدوّ، وكانت المصيبة، (انظر الروض الأنف ٣/١٩٤).

(١) سورة آل عمران ـ الآيات ١٤٩ ـ ١٥٢.

(٢) تسامى: ارتفع. والأجم: جمع أجمة. الشجر الكثير الملتفّ.

(٣) سورة آل عمران ـ من الآية ١٥٢.

لعَرَضٍ من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أنْ لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيّكم، ولكنّي عدت بفضلي عليكم، وكذلك ﴿منَّ الله على المؤمنين﴾، أنْ عاقب ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحقّ له عليهم، بما أصابوا من معصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لِما فيهم من الإيمان.

ثم أنّبهم بالفرار عن نبيّهم ﷺ، وهم يُدعون لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَاكُمْ، فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: أي كرْباً بعد كرْب، بقتل من قتل من إخوانكم، وعُلوّ عدوّكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال: قُتل نبيّكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمّاً بغمّ ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ﴾ من ظهوركم على عدوّكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتْل إخوانكم، حتى فرّجت ذلك الكَرْب عنكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. وكان الذي فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرْب والغمّ الذي أصابهم، أنّ الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيّهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حيّاً بين أظْهُرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرف الله القتْل عن نبيّهم ﷺ. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، يُخْفُونَ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ، مَالَا يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]، فأنزل الله النعاس أَمَنَةً منه على أهل اليقين به، فهم نِيام لا يخافون، وأهل النفاق قد أهمّتهم أنفسهم، يظنّون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية، تخوُّف القتل،

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٥٣ و١٥٤.

وذلك أنهم لا يرجون عاقبة، فذكر الله عزّ وجلّ تلاومَهم وحسْرتهم على ما أصابهم. ثم قال الله سبحانه لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله منكم ما أظهر من سرائركم ﴿لَبَرَزَ﴾ لأخرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه، حتى يبتلي به ما في صدورهم ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]: أي لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى، لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض في طاعة الله عزّ وجلّ، وطاعة رسول الله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ماماتوا وما قُتلوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لقلّة اليقين بربّهم، ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أي يعجّل ما يشاء ويؤخّر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي إنّ الموت لكائنٌ، لا بدّ منه، فموت في سبيل الله، أو قتْل، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد، تخوّف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أيّ ذلك كان ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[2]: أي أنّ إلى الله المرجع، فلا تغرّنّكم الدنيا، ولا تغترّوا بها، وليكن الجهاد وما رغّبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي لتركوك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي فتجاوز عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ. فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران ـ الآيات ١٥٦ ـ ١٥٨.

ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فذكر لنبيّه ﷺ لِينهُ لهم، وصبْره عليهم، لضَعْفهم، وقلَّة صبرهم على الغِلْظَة لو كانت منه عليهم في كلّ ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم ﷺ ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي تجاوز عنهم، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم، من قارَف[1] من أهل الإيمان منهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أي لِتُريهِمْ أنك تسمع منهم، وتستعين بهم، وإن كنت غنيّاً عنهم، تألُّفاً لهم بذلك على دينهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: أي على أمرٍ جاءك منّي وأمرٍ من دينِك في جهاد عدوّك لا يصلحك ولا يُصلحهم إلاّ ذلك، فامضِ على ما أُمِرت به، على خلاف من خالفك، وموافقة من وافقك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2]، أي ارْضَ به من العباد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ. إِنْ يَنْصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي لئلاّ تترك أمري للناس، وارفض أمر الناس إلى أمري ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا على الناس ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي ما كان لنبيٍّ أن يكتم الناس ما بعثه الله إليهم، عن رهبة من الناس ولا رغبة، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به، ثم يُجزى بكسبه؛ غير مظلوم ولا مُعتدى عليه ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ على ما أحبَّ الناس أو سخطوا ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم. يقول: أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوانٌ من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه، فكان ﴿مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أسواء المثلان! فاعرفوا. ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللَّهِ، وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[4] لكلٍّ درجات مما عملوا في الجنة والنار: أي إنّ الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

---

(١) قارف الذنب: دخل فيه.

(٢) الآية «فتوكّل».

(٣) سورة آل عمران ـ الآيتان ١٥٩ و١٦٠.

(٤) سورة آل عمران ـ الآيات ١٦١ ـ ١٦٣.

ثم قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]. أي لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم، وفيما عملتم فيعلّمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به والشرّ فتتّقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، ولتتخلّصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنّته ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي لفي عمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صُمّ عن الخير، بُكْم عن الحَقّ، عُمْي عن الهُدَى.

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ: أَنَّى هٰذَا؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إنْ تك أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوّكم، في اليوم الذي كان قبله ببدر، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عمّا أمركم به نبيّكم ﷺ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إنّ الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللهِ، وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذني، كان ذلك حين فَعَلْتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري، وصدّقتكم وعدي، ليميز بين المؤمنين والمنافقين ﴿وَلِيَعْلَمَ الذِينَ نَافَقُوا﴾ منكم: أي ليظهر ما فيهم. (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوّه من المشركين بأُحُد، وقولهم: لو نعلم أنّكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكنّا لا نظنّ أنه يكون قتال. فأظهر منهم ما كانوا يُخفون في أنفسهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمان، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾أي يُظهرون لك ٱلإِيمَانَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِم ﴿وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: أي ما يخفون ﴿الَّذِينَ قَالُوا

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٦٤.

لإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين أصيبوا معكم من عَشَائرهم وقومهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]: أي أنـه لا بـد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله، حرصاً على البقاء في الدنيا. وفراراً من الموت.

ثم قال لنبيّه ﷺ، يرغِّب المؤمنين في الجهاد، ويهوّن عليهم القتل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ آلله مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾أي لا تَظُنَّنّ الذين قُتلوا في سَبيل الله أمواتاً: أي قد أَحْيَيْتُهم، فهم عندي يُرزقون في رَوْح الجنة وفضلها، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم: أي ويُسَرّون بلُحوق من لحِقَهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليُشْركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ الله وَفَضْلٍ، وَأَنَّ الله لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] لِما عاينوا من وفاء الموعود، وعظيم الثواب.

مصير قتلى أُحُد: قال ابن إسحاق: وحدّثني إسماعيل بن أُميّة، عن أبي الزُّبَير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضْر، ترِد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل مِن ذهب، في ظلّ العرش، فلما وجدوا طِيب مَشْرَبهم ومَأكَلهم، وحُسْن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لِئلاّ يزهدوا في الجهاد، ولا يَنْكُلُوا عن الحرب، فقال الله تعالى: فأنا أبلّغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ..﴾»[3].

---

(١) سورة آل عمران - الآيات ١٦٥ - ١٦٨.

(٢) سورة آل عمران - الآيات ١٦٩ - ١٧١.

(٣) روى الحديث ابو داود في كتاب الجهاد (٢٥٢٠) باب في فضل الشهادة، وفي السند: اسماعيل بن أميّة، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وفي الحديث=

قال ابن إسحاق: وحدّثني الحارث بن الفُضَيل، عن محمود بن لَبِيد الأنصاريّ، عن ابن عباس أنه قال: **قال رسول الله ﷺ: الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قُبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرةً وعشِيًّا**[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبدالله بن مسعود أنه سُئل عن هؤلاء الآيات: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ فقال: **أما إنّا قد سألنا عنها، فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضْرٍ، ترِد في أنهار الجنة، وتأكل من ثِمارها، وتأوي إلى قناديل من ذَهَبٍ في ظلّ العرش، فيطّلع الله عزّ وجلّ عليهم اطِّلاعةً فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطّلع الله عليهم اطّلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطّلع عليهم اطّلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! إلا أنَّا نحب أن تردّ أرواحنا في أجسادنا، ثم نُردُّ إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نُقتل مرَّة أخرى**»[2].

= «قناديل من ذهب معلّقة في ظل العرش» فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلّغ اخواننا عنّا أنّا أحياء في الجنة نُرزق، لئلاّ يزهدوا. . ». وأخرج مسلم حديثاً بنحوه من طريق آخر في كتاب الإمارة (١٢١) باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، والترمذي في باب تفسير القرآن (٤٠٩٨) تفسير سورة آل عمران، وابن ماجة في الجنائز (١٤٤٩) باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضر. والدارمي في الجهاد، باب (١٨)، وأحمد في المسند ١/٢٦٦ و٦/٣٨٦، والنويري في نهاية الأرب ١٧/١٢٤.

(١) رواه أحمد في المسند بسنده ونصّه ١/٢٦٦.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (٩٢١/١٨٨٧) باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، من عدّة طرق، منها: عن محمد بن عبدالله بن نمير (واللفظ له)، عن أسباط .وأبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرّة، عن مسروق، قال: سألنا عبدالله بن مسعود. . والحديث باختلاف ألفاظ عمّا هنا.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا، عن عبدالله بن محمد بن عَقِيل، قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُبشِّرك يا جابر»؟ قال قلت: بلى يا نبيّ الله، قال: «إنّ أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله عزّ وجلّ، ثم قال له: ما تحبّ يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي ربّ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا فأقاتل فيك، فأُقتل مرّة أخرى»[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحبّ أن يرجع إليها ساعةً من نهار، وأنّ له الدنيا وما فيها إلاّ الشهيد، فإنه يحبّ أن يُردّ إلى الدنيا، فيقاتل في سبيل الله، فيُقتل مرّة أخرى»[2].

من خرجوا مع الرسول إلى حمراءِ الأَسَد: **قال ابن إسحاق**: ثم قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ**﴾ أي الجراح، وهم المؤمنون الذي ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أُحُد إلى حمراء الأَسَد على ما بهم من ألم الجراح: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً، وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلِ**﴾، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، النفر من عبدالقيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال؟ قالوا إنّ أبا سفيان ومن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٦١ بسنده، عن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا جابر أما علمت أن الله عزّ وجلّ أحيا أباك فقال له: تمنّ عليّ. فقال: أردّ الى الدنيا فأقتل مرة أخرى. فقال: إن قضيت الحكم أنهم إليها يرجعون».

(٢) أخرج البخاري في كتاب الجهاد (٤/٢٠٢، ٢٠٣) باب الحور العين وصفتهنّ يحار فيها الطرف شديدة سواد العين شديدة بياض العين وزوّجناهم بحور أنكحناهم، من طريق معاوية بن عمرو، عن أبي اسحاق، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ قال: «ما من عبد يموت له عندالله خير يسُرّه أن يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسُرّه ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة (١٠٨/١٨٧٧) باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، من طريق شعبة، عن قتادة وحميد، عن أنس بن مالك، والنسائي في كتاب الجهاد ٦/٣٣ باب تمنّي القتل في سبيل الله تعالى، من طريق خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن ابن أبي عميرة، وأحمد في المسند ٣/١٥٣ و١٧٣ و٢٧٦ و٢٧٨ و٢٨٤ و٥/٣١٨ و٣٢٢.

معه راجعون إليكم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاءِ عَدُوّهم ﴿إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي لأولئك الرهْط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي يُرهبكم بأوليائه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً، يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ. وَمَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: أي المنافقين ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾: أي فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿وَلَٰكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يعلّمه ذلك ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾: أي ترجعوا وتتوبوا ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ذكر من استُشهد بأُحُد من المهاجرين[2]

قال ابن إسحاق: واستُشهد من المسلمين يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ، من المهاجرين من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مَناف: حمزة بن عبدالمطّلب بن هاشم، رضي الله عنه، قتله وحشيّ، غلام جُبير بن مُطعِم.

ومن بني أُميَة بن عبد شمس: عبدالله بن جحش، حليف لهم من بني أسد بن خُزَيمة.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمير، قتله ابن قمِئة الليثيّ.

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات من ١٧٢ ـ ١٧٩.

(٢) أنظر: الطبقات الكبرى ٤٢/٢، المغازي للواقدي ٣٠٠/١، المغازي لعروة ١٧٢، ١٧٣، أنساب الأشراف ٣٢٨/١ رقم ٧١٤، نهاية الأرب ١٠٤/١٧ وما بعدها، تاريخ الإسلام (المغازي)، سير أعلام النبلاء ١٤٩/١ وما بعدها، عيون التواريخ ١٧١/١، عيون الأثر ٢٧/٢ ـ ٣١، مجمع الزوائد ١٢٣/٦، ١٢٤، تاريخ خليفة ٦٨ ـ ٧٣.

ومن بني مخزوم بن يقظة: شمّاس بن عثمان. أربعة نفر.

ذِكــر من استُشهد بــأُحُد من الأنصــار: ومن الأنصــار، ثم من بني عبدالأشهـل: عمـرو بن مُعـاذ بن النعمــان، والحـارث بن أنس بن رافــع، وعمارة بن زياد بن السكن.

قال ابن هشام: السكَن: ابن رافع بن امريء القيس، ويقال: السكْن.

قـال ابن إسحاق: وسَلَمـة بن ثابت بن وقْش، وعمـرو بن ثـابت بن وقْش، رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصِم بن عمر بن قَتادة: أنّ أباهما ثـابتاً قُتل يومئذ. ورفاعة بن وقْش. وحُسَيل بن جابر، أبو حُذَيفة وهو اليَمان، أصابه المسلمون في المعركـة ولا يدرون، فتصـدّق حُذَيفـة بدِيتـه على من أصابـه، وصيفيّ بن قَيْظيّ. وحُباب بن قَيـظيّ. وعبّاد بن سهـل، والحارث بن أوس بن مُعاذ. اثنا عشر رجلاً.

ومن أهـل راتج: إيـاس بن أوس بن عَتيك بن عمـرو بن عبد الأعلم بن عوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل، وعُبيد بن التَيّهان.

قال ابن هشام: ويقال: عَتيك بن التَيّهان.

وحبيب بن يزيد بن تَيم. ثلاثة نفر.

ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أُميّة بن رافع. رجل.

ومن بني عمـرو بن عوف، ثم من بني ضُبَيعـة بن زيـد: أبـو سفيـان بن الحـارث بن قيس بن زيـد، وحنـظلة بن أبي عـامـر بن صيفي بن نعمـان بن مالك بن أَمَة، وهو غسيل الملائكة، قتله شدّاد بن الأسـود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: ابن زيد بن ضُبَيعة، ومالك: ابن أَمَة بن ضُبَيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عُبيد بن زيد: أنيس بن قَتادة. رجل.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حيّـة، وهو أخـو سعد بن خيثمـة لأمّه.

قال ابن هشام: أبو حيّة: ابن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن جُبير بن النعمان، وهو أمير الرُماة. رجلان.

ومن بني السَّلِم بن امريء القيس بن مالك بن الأوس: خَيْثمة أبو سعد بن خيثمة. رجل.

ومن حلفائهم من بني العَجْلان: عبدالله بن سَلِمة. رجل.

ومن بني معاوية بن مالك: سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال: سُويبق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النّجّار: ثم من بني سواد بن مالك بن غني: عمرو بن قيس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد؛ وعامر بن مَخْلَد. أربعة نفر.

ومن بني مبذول: أبو هُبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول، وعمرو بن مطرِّف بن علقمة بن عمرو. رجلان.

ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المنذر: رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

قال ابن إسحاق: ومن بني عـدِيّ بن النّجّار. أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجّار. رجل.

قال ابن هشام: أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ.

ومن بني مازن بن النجّار: قيس بن مَخْلَد، وكَيْسان، عبد لهم. رجلان.

ومن بني دينار بن النجّار: سُليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو، رجلان.

ومن بني الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، دُفنا في قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدْرة: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبجر، وهو أبو أبي سعيد الخُدْريّ.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخُدْريّ: سنان؛ ويقال سعد.

قال ابن إسحاق: وسعيد بن سُويد بن قيس بن عامر بن عبّاد بن الأبجر؛ وعُتبة، بن ربيع، بن رافع؛ بن معاوية، بن عُبيد، بن ثعلبة، بن عُبيد، بن الأبجر. ثلاثة نفر.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة؛ وثقف بن فروة بن البديّ. رجلان.

ومن بني طُريف، رهط سعد بن عُبادة: عبدالله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طُريف؛ وضَمْرة، حليف لهم من بني جُهَينة. رجلان.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: نوفل بن عبدالله؛ وعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العَجْلان؛ ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فِهْر بن غَنْم بن سالم؛ والمجذّر بن ذياد، حليف لهم من بَليّ؛ وعُبادة بن الحسحاس.

دُفن النعمان بن مالك، والمجذّر، وعُبادة في قبر واحد. خمسة نفر.

ومن بني الحُبليّ: رفاعة بن عمرو. رجل.

ومن بني سَلِمة، ثم من بني حَرام: عبدالله بن عمرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرام؛ وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام، دُفنا في قبرٍ واحد؛ وخلّاد بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرام، وأبو أيمن، مولى عمرو بن الجَمُوح. أربعة نفر.

ومن بني سواد بن غَنْم: سُليم بن عمرو بن حَديدة، ومولاه عنترة، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن. ثلاثة نفر.

ومن بني زُرَيق بن عامر: ذَكْوان بن عبد قيس، وعُبيد بن المُعَلَّى بن لَوْذان. رجلان.

قال ابن هشام: عُبَيد بن المُعَلَّى، من بني حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من استُشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. خمسة وستون رجلاً.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني معاوية بن مالك: مالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مُزَيْنة.

ومن بني خطْمة - واسم خَطْمة: عبدالله بن جُشَم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عديّ بن خَرَشَة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة.

ومن الخزرج، ثم من بني سواد بن مالك بن مالك: إياس.

ومن بني عمرو بن مالك بن النجّار: أياس بن عدِيّ.

ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ذِكر من قُتل من المشركين يوم أُحُد[1]

قال ابن إسحاق: وقُتل من المشركين يوم أُحُد من قريش، ثم من بني عبد الدار بن قُصَيّ من أصحاب اللواء: طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة: عبدالله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، قتله عليّ بن أبي طالب، وأبوسعد بن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقّاص.

(١) المغازي للواقدي ١/٣٠٧ - ٣٠٩، الطبقات الكبرى ٢/٤٣، أنساب الأشراف ١/٣٢٤، نهاية الأرب ١٧/١٠٨، ١٠٩، عيون التواريخ ١/١٧٦، عيون الأثر ٢/٣٢.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطّلب، ومسافع بن طلحة، والجُلاس بن طلحة، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. وكِلاب بن طلحة. والحارث بن طلحة، قتلهما قُزْمان، حليف لبني ظفر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلاباً عبدُالرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وأرطأة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبدالدار قتله حمزة بن عبد المطّلب، وأبو زيد بن عُمَير بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدار، قتله قُزْمان: وصؤاب غلام له حبشيّ قتله قُزْمان.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: سعد بن أبي وَقّاص، ويقال أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبدمَناف بن عبدالدار، قتله قُزْمان، أحد عشر رجلاً.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: عبدالله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد. قتله عليّ بن أبي طالب. رجل.

ومن بني زُهرة بن كِلاب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَريق بن عَمرو ابن وهْب الثقفيّ، حليف لهم، قتله عليّ بن أبي طالب، وسباع بن عبد العُزَّى - واسم عبد العُزَّى: عمرو بن نضلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مِلْكان بن أفصى - حليف لهم من خُزاعة، قتله حمزة بن عبد المطّلب. رجلان.

ومن بني مخزوم بن يقظة، هشام بن أبي أُميَّة بن المغيرة، قتله قُزْمان: والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة، قتله قُزْمان. وأبو أُميَّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب، وخالد بن الأعلم، حليف لهم، قتله قُزْمان. أربعة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو: عمرو بن عبدالله بن عُمير بن وهْب بن

حُذافة بن جُمَح، وهو أبو عزّة، قتله رسول الله ﷺ صبراً، وأُبَيّ بن خلف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، قتله رسول الله ﷺ بيده. رجلان

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: عُبيدة بن جابر؛ وشَيْبة بن مالك بن المضرّب؛ قتلهما قُزمان. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عُبيدة بنَ جابر عبدُالله بن مسعود.

قال ابن إسحاق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحُد من المشركين، اثنان وعشرون رجلاً.

ذِكر ما قيل من الشِعر يوم أُحُد

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحُد، قول هُبَيرة بن أبي وهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: عائذ: ابن عمران بن مخزوم.

ما بالُ هَمّ عميدٍ بات يَطْرُقني ... بالوُدِّ من هِندٍ إذ تَعْدو عَواديها[1]
باتتْ تُعاتبني هندٌ وتَعْذُلني ... والحربُ قد شُغِلَت عنّي مواليها
مهْلاً فلا تعذُليني إنّ من خُلُقي ... ما قد علِمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها
مُساعِفٌ[2] لبَني كعبٍ بما كُلِفُوا ... حمّال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملتُ سلاحي فوق مُشْتَرِفٍ[3] ... ساطٍ سَبوحٍ[4] إذا تَجْري يُباريها
كأنه إذ جَرى عَيْرٌ بفدفدة ... مُكَدَّمٌ لاحقٌ بالعُون يَحْميها[5]
من آل أعوجَ يرتاح النَّديُّ له ... كجِذْع شَعْراء مُسْتَعْلٍ مَراقيها[6]

---

(١) العميد: شديد الحزن. والعوادي: الشواغل.

(٢) مساعف: مطيع.

(٣) مشترف: بفتح الراء اسم مفعول. أي فرس تنظر الناس إليه لحسنه.

(٤) السَبُوح: الذي يسبح في جريه.

(٥) يشبّه حصانه بحمار وحشيّ وهو العير. والفدفدة: الصحراء والمُكَدّم: المعضوض والعون: القطيع من حُمر الوحش.

(٦) الأعوج اسم فرس مشهور في العرب ومنه الأعوجيات أي الخيل الجيّدة. والنديّ: المجلس من القوم. والشَعْراء: نخلة كثيرة الأغصان.

أعْـدَدْتَـه ورقـاقَ الحـدّ مُنْتَخَـلاً ... ومـارِنـاً لخُـطوب قـد ألاقيهـا[1]

هـذا وبيضـاءَ مثـل النَّهْي مُحْكمـة ... نيطت عليَّ فما تبدو مساويهـا[2]

سُقنـا كِنانـة من أطراف ذي يمن ... عُرْض البلاد على ما كان يُـزْجيها[3]

قـالت كِنانـةُ: أنّى تـذهبـون بنا؟ ... قلنـا: النُّخَيل، فـأمُّوهـا ومَن فيها[4]

نحن الفوارس يوم الجَرّ[5] من أُحُد ... هـابت مَعَـدٌّ فقلنـا نحن نـأتيهـا

هابُوا ضِراباً وطَعْناً صادقاً خَذِماً[6] ... ممـا يَـرَوْن وقـد ضُمّت قـواصيهـا

ثُمّتَ رُحْنـا كـأنّـا عـارضٌ بـردٌ ... وقـام هـامُ[7] بني النّجـار يَبْكيهـا

كـأنّ هـامهُم عنـد الـوَغَى فَـلَقٌ ... من قَيْض رُبْـد نَفَتْـهُ عن أداحيها[8]

أو حنظلٌ ذَعْذَعَتـه الرّيحُ في غُصُن ... بـال تَعـاوره منهـا سَـوافيهـا[9]

قـد نبذُلُ المـالَ سَحّاً لا حِسـاب له ... ونَـطعن الخيل شَـزْراً في مـآقيهـا[10]

وليلةٍ يَصْـطلي بـالفرْث[11] جـازرُها ... يخْتصّ بـالنّقْـرَى[12] المُثْرينَ داعيهـا

ولـيلةٍ مـن جُـمـادى ذات أنـديـةٍ ... جَـرْبـاً جُمـاديّـة قـد بتُّ أسْريهـا[13]

---

(١) رقاق الحدّ: السيوف. والمنتخل: المتخير. والمارن هنا: الرمح اللّيّن.

(٢) البيضاء: الدرع، والنّهي: الغدير. ونيطت: عِلقت.

(٣) عُرض البلاد: سعتها. ويُزجيها: يسوقها.

(٤) يريد بالنخيل: المدينة المنوّرة.

(٥) الجرّ: أصل الجبل.

(٦) الخَذِم: المذلّ.

(٧) العارض: السحاب. والهام: جمع هامة وهي ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقوني حتى يُؤخذ بثأر القتيل.

(٨) الفَلق: القِطَع. والقَيْض: قشر البيض. والرُبْـد: النعام. والأداحي: أماكن تبيض فيها النعام.

(٩) تعاوره: تداوله. السوافي: الرياح التي تحمل التراب والرمل.

(١٠) نبذل المال سحّاً: نجود كثيراً. والشزْر: الطعن عن يمين وشمال.

(١١) يصطلي بالفرث: يستدفيء به من شدّة البرد.

(١٢) قوله: يختص بالنّقرى المثرين، أي يختصّ الأغنياء طلباً لمكافأتهم، وليأكل عندهم، يصف شدّة الزمان.

(١٣) أندية: جمع نديّ وهو المجلس. وجَرْباً: شديدة البرودة، وجُمادية نسبة الى جُماد، وقد سُمّي بهذا الاسم إذا صادف مجيئه وقت تجمّد المياه.

لا ينبـح الكلبُ فيهـا غيـرَ واحـدة ... من القَـريس[1] ولا تَسْـري أفـاعيهـا
أوقدتُ فيها لـذي الضَّرَّاء جاحمة[2] ... كـالبـرق ذاكيـةَ الأركـان أحميهـا
أوْرَثـنـي ذاكـمُ عـمـرو ووالـدُه ... من قبله كـان بـالمَثْنى يُغـاليهـا[3]
كـانـوا يُبـارون أنـواء النُّجـوم فمـا ... دَنَتْ عن السَّوْرة العُليا مساعيهـا[4]

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت، فقال:

سُقْتم كِنـانـةَ جهـلاً من سفـاهتكم ... إلى الـرسـول فجُنْـدُ الله مُخْـزيهـا
أوردتمـوهـا حِياضَ الموت ضـاحِيـة ... فـالنـارُ مـوعِـدهـا، والقتْـلُ لاقِيهـا
جمعتمـوهـا أحـابيشـاً بـلا حسب ... أئِمّـة الكُفـر غـرّتكم طـواغيهـا
ألا اعتبـرتـم بخَيْـل الله إذْ قتلتْ ... أهـلَ القَليب ومن ألْـقَيْنـه فيهـا
كم من أسيـرٍ فَكَكْنـاه بـلا ثـمنٍ ... وجَـزّ نـاصيـة كُنّـا مَـواليـهـا

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكعب بن مالك.

قال ابن هشام: وبيت هُبيرة بن أبي وهْب الذي يقول فيه:

وليلةِ يصـطلي بـالفَـرْث جـازرُهـا ... يخْتصّ بـالنّقرى المُثْرين داعيهـا

يُروى لجنوب، أخت عمرو ذي الكلب الهُذْليّ، في أبيات لها في غير يوم أُحُد.

قـال ابن اسحـاق: وقـال كعب بن مـالـك يجيب هُبيرة بن أبي وهْب أيضاً:

الأ هـل أتى غسّـانَ عنّـا ودونهـم ... من الأرض خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنـعُ[5]
صَحَـارٍ وأعـلامٌ كـأن قَتـامهـا ... من البُعْـد نقعُ هـامـدٌ مُتَقَـطِّع[6]

---

(١) القريس: البرد مع الصقيع.
(٢) الجاحمة: الملتهبة.
(٣) المَثْنى: المرّة بعد الأخرى.
(٤) دنت: قصّرت. السَّوْرة: المنزلة. والأبيات في سيرة ابن كثير ٣/١٠٥، ١٠٦.
(٥) الخَرْق: الفلاة. والمتنعنع: المضطرب.
(٦) الأعلام: الجبال. والقَتام: ما اسودّ من الأشياء. والنقْع: الغبار.

تـظلّ بـه البُـزْل العـراميس رُزَّحـا | ويخْلو بـه غيثُ السّنين فـيُمْـرع[1]
بـه جِيَفُ الحَسـرَى يَلُوح صَليبُهـا | كمـا لاح كتّانُ التّجار المُـوَضّـع[2]
بـه العِيـنُ والآرامُ يَمْشيـن خلْفـهُ | وبَيضُ نَعـام قَيْضُـه يَتَـقـلّع[3]
مَجـالـدنـا عن ديننا كـلّ فَخْمةٍ | مُـدَرَّبـةٍ فيهـا القـوانِسُ تلمـع[4]
وكـلّ صَمُوت في الصَّوان كـأنّهـا | إذا لُبِسَت نَهْيٌ من الـمـاء مُتْـرع[5]
ولـكنْ ببـذْرٍ سـائلُوا مـن لقيتُـم | من النـاس والأنبـاء بـالغيب تنْفع
وإنّـا بأرض الخَوْف لو كـان أهلها | سـوانا لقد أجْلوا بلَيْـل فـأقْشعـوا[6]
إذا جـاء منّـا راكبٌ كـان قـولُـهُ | أعِدّوا لما يُزْجي[7] ابنُ حرب ويَجْمع[8]
فَمَهْمـا يُهِمّ الناسَ ممـا يَكيدُنـا | فنحن لـه من سائر النـاس أوسـع
فلو غيـرُنـا كـانت جميعاً تكيـدهُ الْـ | ـبـريّـة قـد أعطوْا يـداً وتَـوَزّعـوا
نُجـالـد لا تَبْـقى علينـا قبيلَةٌ | من النّاس إلاّ أنْ يهـابـوا وَيَفْـظعـوا
ولمـا ابْتَنـوْا بـالعِرْض قـال سَراتُنـا | عَلامَ إذا لم نَمنَع العِرْضَ نَزْرع؟[9]
وفيـنـا رسـولُ الله نَـتْبـع أمْـره | إذا قـال فينـا القـول لا نتـطّلع[10]
تَـدَلّى عليه الـروحُ من عند ربّـه | يُنَـزّل من جـوٍّ السمـاء ويُـرْفـع
نُشـاوره فيمـا نـريـد وقَصْـرُنـا[11] | إذا مـا اشتهى أنّا نُـطيع ونَسمـع
وقـال رسـولُ الله لمـا بَـدَوْا لنـا | ذَرُوا عنكم هَـوْل المنيّـات واطْمعوا
وكـونوا كمن يَشْري الحياة تَقَرّبـاً | إلى مَلِك يُحيـا لـديـه ويُـرْجـع

---

(١) البُزل: الإبل القويّة. العراميس: الشديدة. ويُمرع: يخصب.
(٢) الصليب هنا: دَسَم الشحْم واللحم. والموضّع: المُحَلّى بالنقوش.
(٣) العين: بقر الوحْش. والآرام: بعض البُطون سُمْر الظُهور. وخِلْفة: جماعة وراء جماعة. والقَيْض: قِشْر البيض. ويتقلّع: يتشقّق.
(٤) الفخْمة: الكتيبة الضخمة. القوانس: رؤوس بيض السلاح.
(٥) الصَمُوت: الدرع التي أحكم صنعُها. والصَّوان: ما يصان فيه الشيء. والنّهي: الغدير.
(٦) إقشعوا: فَرّوا.
(٧) يُزجي: يسوق.
(٨) هذا البيت في البدء والتاريخ ٢٠٦/٤ وفيه: إذا جاء منهم راكب..
(٩) ابتنوا: ضربوا أبنيتهم. والعِرْض: قُرى المدينة.
(١٠) لا نتطلّع: لا نميل.
(١١) قَصْرنا: غايتنا.

ولكنْ خُـذُوا أسيـافكـم وتـوكّلوا ... عـلى الله إنّ الأمـر لله أجْـمـعُ

فسـرْنا إليهم جَهْـرةً في رحـالهم ... ضُحَيّـاً علينـا البيضُ لا تتخشّـع

بَملْمُـومـة فيهـا السَّنوّر[1] والقنـا ... إذا ضـربـوا أقـدامهـا لا تَـورّع

فجِئْنا إلى مـوج من البحـر وسْطه ... أحـابيشُ منهم حـاسـرٌ ومقنّـع[2]

ثـلاثـة آلاف ونـحـنُ نَـصِيَّـة[3] ... ثـلاث مئيـنٍ إنْ كـثـرنـا وأربـع

نُغـاورهم تجْـري المنيّـة بيننـا ... نُشارعهم حوضَ المنايا ونَشْرع[4]

تَهـادَى قسِيَ النّبْـع فينـا وفيهـمُ ... ومـا هـو إلا اليثْـربيّ المُـقَـطّع[5]

ومنجـوفَـةٌ جِـرْميّـة صـاعديّـة[6] ... يُـذَرّ عليها السّمّ سـاعـة تُصْنع

تصُـوب بـأبـدان الـرّجـال وتـارةً ... تمرّ بـأعـراض البصار تَقَعْقـع[7]

وخَيْـل تَـراهـا بـالفَضـاء كـأنّهـا ... جَـرَادُ صَبـاً في قَـرّة يَـتَـريّـع[8]

فلمـا تـلاقيْنـا ودارتْ بنا الـرّحى ... ولـيس لأمـر حمّـه الله مَـدْفـع

ضـربنـاهم حتى تـركنـا سَـراتهم ... كـأنهُمُ بـالقـاع خُشْب مُصَـرّع

لـدُن غُـدوةً حتى استَفَقْنـا عشيّـةً ... كـأنّ ذكـانـا حَـرّ نـار تَـلَفّـع[9]

وَراحُـوا سِـراعـاً مُـوجَفين كـأنّهم ... جَهـامٌ[10] هراقت مـاءه الـريحُ مُقْلع

ورُحْنـا وأُخْـرانـا بـطاءٌ كـأنّنـا ... أسُـودٌ على لحمٍ ببيشـة ظُلّع[11]

فَنِلنـا ونـال القـومُ منّـا ورُبّـمـا ... فَعَلنـا ولكنْ مـا لـدى الله أوسـع

ودارتْ رحـانـا واسـتـدارت رَحـاهُمُ ... وقـد جعلوا كُـلّ من الشـرّ يشبـع

---

(١) الملمومة: الكتيبة المجتمعة، والستور: السلاح.

(٢) هذا البيت والذي بعده في: البدء والتاريخ ٤/٢٠٧.

(٣) النصيّة: خيار القوم. وفي البدء والتاريخ «نصيبه».

(٤) نغاورهم: نداولهم. نشارعهم: نشاربهم.

(٥) النّبع: شجر تُتّخذ منه القِسيّ. واليثربي: الأوتار.

(٦) المنجوفة: السهام. والجِرْميّة: نسبة الى الحرم. والصاعديّة: منسوبة الى صاعد. وهو رجل مشهور بصنعها.

(٧) البصار: حجارة. تقعقع: تصوت.

(٨) القَرّة: البرد. والتريّع: المجيء والذهاب.

(٩) ذَكانا: التهابنا. تَلَفّع: يصيب حرّها من قَرُب منها.

(١٠) الجهام: سحاب رقيق ليس فيه ماء.

(١١) بيشة مكان تُنسب إليه الأسود. وظُلّع: أي امتلأت بنا الأرض لكثرتنا.

ونحن أُنــاس لا نـرى القتْـل سُبَّـةً ... على كُلِّ من يحمي الذِّمارَ ويمْنَع[1]

جـلادٌ على رَيْبِ الحوادِثِ لا نَـرَى ... على هـالك عَيْنا لنا الـدّهْـر تـذْمع

بنـو الحـرب لا نَعْيا بشيء نقولُـه ... ولا نحن ممَّـا جرّت الحـربُ نجزع

بنـو الحرب إنْ نظفرْ فَلَسْنـا بفُحَّش ... ولا نحن من أظفـارهـا نتـوجّـع[2]

وكنّـا شهـابـاً يتّقي النـاسُ حَـرَّه ... وَيفْـرُج عنـه من يليـه ويَسْفـع[3]

فخرْتَ على ابن الزِّبعْرى وقد سَرى ... لكم طلبٌ من آخـر الليـل مُتْبَـع

فسَلْ عنْك في عُليا مَعَدٍّ وغيرهـا ... من النـاس من أخْزى مقاماً وأشنـع

ومن هو لم تترك لـه الحربُ مفْخراً ... ومَن خـدُّه يـوم الكـريهـة أضْـرع[4]

شَدَدْنـا بحـول الله والنصر شَـدَّةً ... علـيكـم وأطـرافُ الأسِنَّـة شُـرَّع

تكـرّ القَنـا فيكم كـأنّ فُـروغهـا ... عَـزالي مـزادٍ مـاؤهـا يَتَـهـزّع[5]

عَمَـدْنـا إلى أهـل اللواء ومن يَطِرْ ... بـذِكْر اللواء فهو في الحمد أسْرَع

فخـانوا وقـد أعْـطوا يـداً وتخـاذلـوا ... أبـى الله إلاّ أمـرَه وهـو أصـنـع

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مجالدنا عن جِذْمنا كل فخمة[6]

فقال رسولُ الله ﷺ: «أيَصْلُح أن تقول: مجالدنا عن ديننا»؟ فقال كعب: نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: «فهو أحسن»؛ فقال كعب: مجالدنا عن ديننا.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى في يوم أُحُد:

يـا غـرابَ البَيْـن اسمعتَ فقُـلْ ... إنّـمـا تَنْـطِق شيئـاً قـد فُـعِـلْ

إنّ لـلخَـيْـر ولـلشـرّ مـدًى ... وكـلا ذلـك وجْـهٌ وقَـبَـل[7]

---

(١) البيت في البدء والتاريخ ٤/٢٠٦.

(٢) البيت في البدء والتاريخ ٤/٢٠٦.

(٣) يسفع: يحرق.

(٤) الأضرع: الذليل.

(٥) الفُروغ: جمع فرغ: الطعنة الواسعة التي يسيل دمها. والعَزالي: جمع عزلاء وهي فم المزادة. ويتهزّع: يتقطّع.

(٦) جِذْمها: أصلها.

(٧) القبل: ما يستقبل الإنسان من الأيام.

والعَطيّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسَواء قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

كلّ عَيْش ونعيم زائلٌ ... وبناتُ الدّهر يَلعَبْن بكُل

أبلِغَنْ حسّان عنّي آيةً ... فقَريضُ الشّعر يَشفي ذا الغُلل

كم ترى بالجرّ من جُمْجُمة ... وأكُفّ قد أتِرّتْ ورجل[1]

وسرابيل حسان سُريَتْ ... عن كُماةٍ أُهلِكوا في المُنْتَزَل[2]

كم قتلنا من كريم سيِّد ... ماجد الجَدّين مِقْدام بَطل

صادق النَّجْدة قَرْمٍ بارعٍ ... غير مُلتاثٍ لدى وقْع الأسَل[3]

فَسَل المِهْراس من ساكِنُه؟ ... بين أقحاف وهامٍ كالحجَل[4]

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا ... جَزَع الخزْرج من وقْع الأسل[5]

حين حكّت بقُباء بَرْكَها ... واستحرّ القتلُ في عبد الأشل[6]

ثم خفّوا عند ذاكم رُقَّصاً ... رَقَصَ الحَفّان يعلو في الجبل[7]

فقتلنا الضِّعْفَ من أشرافهم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بدرٍ فاعتدل

لا ألوم النَّفْس إلاّ أنّنا ... لو كَرَرْنا نَفعلْنا المفْتَعل

بسُيوف الهند تَعْلو هامَهُم ... عَلَلاً تَعلُوهُمُ بعد نَهل[8]

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه، قال:

ذهبت يابن الزِّبعْرَى وقعةٌ ... كان منّا الفضلُ فيها لو عَدل

---

(١) الجَرّ: أصل الجبل. أُتِرّت: قُطعت.

(٢) السرابيل: الدروع. سُرِيَت: جُرِّدت. والمُنْتَزَل: موضع النزال.

(٣) القَرْم: الفحْل. الملتاث: الضعيف. وقع الأسل: وقع الرماح.

(٤) الأقحاف: جمع قحف، ما انفصل من الجمجمة. الهام: الرءوس. الحجل: طائر أحمر المنقار والرجلين.

(٥) الأسل: الرماح..

(٦) البرْك: الصدر. عبد الأشل يريد بني عبد الأشهل. حَذَف الهاء لإقامة الوزن.

(٧) الرُقّص: ضرب من المشي السريع. الحَفّان: النعام الصغير.

(٨) العَلل: الشرب الثاني والنَهل: الشرب الأول، يريد معاودة الضرب.

وقد أورد ابن سيِّد الناس في عيون الأثر (٨) أبيات ـ ص ٣٢، ٣٣، وفي البدء والتاريخ ٤/٢٠٧، ٢٠٨ (١٣) بيتاً، منها بيت ليس في السيرة، وفي عيون التواريخ ١/١٧٨، ١٧٩ (٨) أبيات.

ولـقـد نِلتُـم ونِلْنـا مـنـكُـمُ ... وكـذاك الـحـربُ أحيـانـاً دُوَل
نـضـع الأسيـاف في أكتـافكُـمْ ... حيث نَـهْـوي عَـلَلاً بـعـد نَـهَـل
نُخْـرجَ الأصْبـح[1] من أسْتـاهِكم ... كسُـلاح النّيب يـأكُلْن العَـصَـل[2]
إذ تُـوَلّـون عـلى أعـقـابـكـم ... هُـرَّبـاً في الشّعب أشباه الرَّسَـل[3]
إذ شَبـدَدْنـا شَـدّة صـادقـةً ... فـأجَأنـاكم الى سفْح الجبـل[4]
بخـنـاطـيـلَ كـأمْـذاق المَـلا ... من يُـلاقـوه من الـنـاس يُهَـل[5]
ضـاق عنّـا الشِعْبُ إذ نَـجْـزَعُـه ... ومَـلأنـا الفَـرْط منه والـرِّجَـل[6]
بـرجـال لـسْـتُـمُ أمثـالَـهُـم ... أُيِّـدُوا جِبْـريـلَ نصـراً فـنَـزل[7]
وعَـلَوْنـا يـومَ بـدْر بـالـتّـقـى ... طـاعـةِ الله وتـصْـديق الـرُسُـل
وقـتـلنـا كـلّ رأسٍ منـهُـمُ ... وقـتلنـا كـلّ جَـحْـجـاح رِفَـلّ[8]
وتـركـنـا فـي قـريش عَـوْرةً ... يـوم بـدرٍ وأحـاديثَ الـمَـثَـل
ورسـولُ الله حـقّـاً شـاهـدٌ ... يـوم بـدر والتنـابيـلُ الهُبُـل[9]
في قـريش من جـمـوع جمّـعـوا ... مثل ما يُجمع في الخِصْب الهَمَل[10]
نـحن لا أمثـالُكُم وُلْـدَ آستِهـا ... نَحْضُـر النّاسَ إذا البـأسُ نـزل[11]

---

(١) في طبعة دار الجيل ٣/ ٦٩ «الأصبع». وما أثبتناه يتفق مع البدء والتاريخ ٤/ ٢٠٨، وسيرة ابن كثير ٣/ ١١١ .والأصبع: وصف للبن الممذوق المُخرج من بطونهم. ورواه أبو حنيفة «نخرج الأضياح» وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو في معنى الأصبح، لأن الصبحة بياض غير خالص، فجعله وصفاً للبن الممذوق المخرج من بطونهم. (الروض الأنف ٣/٢١٧).

(٢) النيب: النّوق المسِنّة. والعصل: نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها.

(٣) الرّسَل: الإبل المرسلة.

(٤) أجأناكم: الجأناكم.

(٥) الخناطيل: الجماعات. والأمذاق: أخلاط الناس وفي رواية «كأشداف». والملا: ما اتّسع من الأرض. ويُهَل: يفزع ويرتاع.

(٦) نجزع: نقطع عرضاً. الفرْط: الأرض العالية. والرِّجَل: ما أطمأنّ من الأرض.

(٧) أُيِّدوا جبريل: أي أُيِّدوا بجبريل. حذف حرف الجارّ وعدّى الفعل.

(٨) الجحجاج: السيد العظيم. والرفَلّ: من يجرّ ثوبه خُيلاء.

(٩) التنابيل: القصار. الهُبُل: ضخام الأجسام.

(١٠) الهَمَل: الإبل المهملة المتروكة بلا راع.

(١١) الأبيات كلها في سيرة ابن كثير ٣/١١١، ١١٢، ومنها ستة أبيات في البدء والتاريخ ٤/٢٠٨.

قال ابن هشام: وانشدني أبو زيد الأنصاريّ: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله. وقوله: «في قريش من جموع جُمّعوا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطّلب وقتلى أُحُد من المسلمين:

نَشَجْتَ وهل لك من مُنْشَج ... وكنتَ متى تذَّكِرْ تَلْجَج[1]
تَذَكُّرَ قوم أتاني لهم ... أحاديثُ في الزَّمَن الأعوج
فَقَلْبُك من ذِكرهم خافقٌ ... من الشوقِ والحَزَنِ المُنْضج
وقَتْلاهمُ في جنانِ النَّعيم ... كِرامُ المَدَاخِل والمَخْرج
بما صَبَرُوا تحت ظِلِّ اللواء ... لواء الرَّسول بذي الأضْوُج[2]
غداة أجابتْ بأسيافها ... جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياعُ أحمدَ إذ شايَعوا ... على الحقّ ذي النور والمنْهَج[3]
فما بَرِحوا يَضْربون الكُماة ... ويَمْضون في القَسْطل المُرهَج[4]
كذلك حتّى دعاهم مليك ... الى جنّة دَوْحة المَوْلج[5]
فكلّهم مات حُرَّ البلاء ... على مِلّة الله لم يَحْرج
كحَمزة لما وفى صادقاً ... بذي هَبَّةٍ صارمٍ سَلْجَج[6]
فلاقاه عبدُ بني نَوْفل ... يُبَرْبِر كالجَمل الأدْعَج[7]
فأوْجَره حَرْبةً كالشهاب ... تَلَهَّب في اللّهب المُوهَج[8]
ونُعْمان أوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يُحْنَج[9]

---

(١) تَلْجَج: تتمادى.
(٢) الأضوُج: اسم مكان.
(٣) المنهج: الواضح.
(٤) القسطل: الغُبار. المُرْهَج: العالي في الجو.
(٥) الدوحة: الشجرة العظيمة المتّسعة: المولج: المدخل.
(٦) بذي هبّة: أي بسيف ذي هبّة. والهبة: الوقوع في العظم. سَلْجج: مُرْهف.
(٧) عبد بني نوفل. وهو وحشيّ. يبربر: يصيح. والأدعج: الأسود.
(٨) أوجره: طعنه في صدره.
(٩) لم يُحنج: لم يمل عن وجهه.

عن الحق حتى غدت رُوحُه ... إلى منزلٍ فاخر الزِّبْرِج[1]
أولئك لا مَن ثَوَى منكُمُ ... من النار في الدَّرْك المُرْتَج

فأجابه ضِرار بن الخطّاب الفِهْرِيّ، فقال:

أَيَجْزَع كعبٌ لأشياعه ... ويبكي من الزَّمن الأَعْوَج
عجيجَ المُذَكّي رأى إلْفه ... تروَّح في صادرٍ مُحْنَج[2]
فراح الروايا وغادَرْنه ... يُعَجْعِج قسْراً ولم يُحْدَج[3]
فقُولا لكعْبٍ يُثَنّي البُكا ... وللنِّيءِ من لحمه يَنْضَج
لِمصرع إخوانه في مَكَرٍ ... من الخيل ذي قسطل مُرْهَج[4]
فياليت عَمراً وأشياعَه ... وعُتبة في جمْعنا السَّوْرج[5]
فيَشْفُوا النفوس بأوتارها ... بقتلى أصيبتْ من الخزرج
وقتلَى من الأوس في مَعْرَك ... أصيبوا جميعاً بذي الأضْوُج
ومقتل حمزة تحت اللواء ... بمُطَّرِدٍ، مارِنٍ، مُخْلَج[6]
وحيث انثنى مُصْعَب ثاوياً ... بضربة ذي هَبَّة سَلْجَج
بأُحْدٍ وأسيافُنا فيهمُ ... تَلَهَّبُ كاللَّهَب المُوهَج
غداةَ لقيناكُمُ في الحديد ... كأُسْد البَراح فلم تُعْنَج[7]
بكلّ مُجَلَّحة كالعُقابِ ... وأجْرد ذي مَيْعة مُسْرَج[8]
فدُسْناهم ثَمّ حتى انْثَنَوْا ... سوى زاهِقِ النَّفسِ أو مُحْرَج

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لضِرار. وقول كعب:

---

(١) الزبرج: الزينة من الوشي أو الجوهر.
(٢) العجيج: الصياح. ويريد بالمذكّي هنا: المسنّ من الإبل: الصادر: الراجع عن الماء. مُحنَج: مصروف عن وجهه.
(٣) لم يُحْدَج: لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء.
(٤) القسطل: الغبار. المرهج: المرتفع.
(٥) السّورج: المتقد.
(٦) المطّرد: الذي يهتزّ، والمراد به هنا الرمح. المارن: اللّيّن.
(٧) تُعْنج: تكفّ.
(٨) المجلّحة: المتقدّمة ويريد بها فرساً. والأجرد: الفرس العتيق. والمَيْعة: النشاط.

«ذي النور والمنهج» عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى في يوم أُحُد، يبكي القتلى:

ألا ذَرَفَت من مُقْلَتَيك دموعُ ... وقد بان من حَبْل الشباب قُطوعُ

وشطَّ بمن تَهْوَى المزارُ وفرَّقت ... نوى الحَيّ دارٌ بالحبيب فَجُوع

وليس لما ولّى على ذي حرارة ... وإنْ طال تَذْرافُ الدموع رُجوع

فذرْ ذا ولكن هل أتى أمَّ مالك ... أحاديثُ قومي والحديثُ يَشِيع

ومُجْنَبنا جُرْداً إلى أهل يثْربٍ ... عَناجيج منها مُتْلَد ونَزِيع[1]

عشيَّةَ سِرْنا في لُهام يقودُنا ... ضَرُورُ الأعادي للصديق نَفُوع

نشُدّ علينا كلَّ زَغْفٍ كأنّها ... غديرٌ بضَوْج الواديَين نَقيع[2]

فلما رأونا خالَطتْهُم مهابةٌ ... وعاينَهم أمرٌ هناك فظِيع

ووَدُّوا لو انّ الأرضَ يَنْشَقّ ظهرُها ... بهم وصَبُور القوم ثمَّ جَزوع

وقد عُرِّيت بِيضٌ كأنّ وَميضَها ... حريق ترقّى في الأباء سريع[3]

بِأيْمانِنا نعلو بها كلَّ هامةٍ ... ومنها سِهامٌ للعدوّ ذَرِيع[4]

فغادَرْن قَتْلى الأوْس عاصبةً بهم ... ضِباعٌ وطير يَعْتَفين وُقُوع

وجَمْع بني النّجّار في كلّ تَلْعة ... بأبدانهم من وقْعِهنّ نَجيع[5]

ولولا عُلُوّ الشِّعْب غادرْنَ أحمداً ... ولكنْ عَلاَ والسَّمْهرِيُّ شُرُوع[6]

كما غادرتْ في الكرّ حمزةَ ثاوياً ... وفي صدْره ماضي الشَّباة وَقِيع[7]

ونعمان قد غادَرْن تحت لوائه ... على لحمِهِ طيرٌ يَجُفْن وُقوع[8]

بأُحْدٍ وأرماحُ الكماة يُرِدْنهم ... كما غالَ أشطانَ الدِّلاء نُزُوع[9]

---

(١) مُجْنبنا: سوقنا للخيل. العناجيج: الجِسان. المُتْلد: ما ولد عندك. والنزيع: الغريب.

(٢) الزغْف: الدروع اللّينة. والضَوْج: جانب الوادي. والنقيع: المملوء بالماء.

(٣) الأباء: الأجمة المشتكّة الأغصان.

(٤) ذريع: من يُقتل سريعاً.

(٥) نجيع: دم.

(٦) الشِعب: الطريق في الجبل. السمهريّ: الرماح. شروع مهيّئة للطعن.

(٧) الشباة: الحدّ. وقيع: محدّد.

(٨) يجفن: يطلبن ما في جوفه.

(٩) غال: أهلك. الأشطان: الحبال. والنزوع: جذب الدلو من البئر.

فأجابه حسّان بن ثابت، فقال:

أشـاقـك مـن أمّ الـولـيـد رُبُـوعُ بـلاقِـعُ مـا مِـن أهلِهـنَّ جَمـيـعُ
عفـاهُـنَّ صـيْفـيُّ الـريـاح وواكِفٌ من الـدلْـوِ رجّافُ السّحـاب هَمُـوع[1]
فلم يبق إلاّ مـوقِـدُ النّـار حَـوْلَـه رَواكِـد أمـثـال الحَـمام كُـنُـوع[2]
فـدعْ ذِكْـر دارٍ بـدَّدَتْ بـين أهلهـا نـوًى لِمتيـنـاتِ الحـبـالِ قـطُوع
وقُـل إنْ يكُنْ يـومٌ بـأُحْـد يَعُـدُّه سَفيـهٌ فـإنَّ الحقَّ سـوف يَشِيـع
فقـد صابـرتْ فيـه بنـو الأوس كلّهم وكـان لهـم ذِكـرٌ هنـاك رفـيـع
وحامَى بنـو النجّار فيـه وصـابَرُوا ومـا كـان منهم في اللقـاء جَـزُوع
أمـام رسـولِ الله لا يَخْـذُلـونـه لهـم نـاصرٌ من ربّهـم وشَـفـيـع
وفَـوْا إذ كـفـرتُّم يـا سَخِينَ بـربّكم ولا يستـوِي عبـدٌ وَفَى ومُضِيـع[3]
بـأيـديهم بيضٌ إذا حَمِش الـوغَـى فـلا بُـدّ أنْ يَـرْدَى لهـنّ صَرِيـع
كـما غـادرتْ في النَّقْـع عُتبـة ثـاويـاً وسَعْـداً صريعاً والـوشيـجُ شُروع[4]
وقـد غـادرتْ تحت العَجَـاجة مُسْنـداً أبِيّـاً وقـد بَـلّ القميص نَـجِيـع[5]
بِـكُف رسـولُ الله حيـث تَـنَصّـبَت عـلى القـوم ممـا قـد يُثِـرْنَ نُقُـوع
أولـئـك قـومٌ سـادةٌ من فُـروعِكم وفي كـلّ قـوم سـادةٌ وفُـروع
بهـنّ نُـعـزّ الله حـتى يُـعـزَّنـا وإن كـان أمـرٌ يـا سَخينَ فَظِيـع
فـلا تـذكـروا قَتْـلي وحمـزة فيهم قـتـيـلٌ ثَـوَى لله وهـو مُـطِيـع
فـإنّ جِنـان الخُلْد منـزِلـةٌ لـه وأمـرُ الـذي يقضِي الأمـور سريـع
وقتـلاكُم في النّـار أفضـلُ رِزْقـهم حميمٌ معـاً في جَـوْفهـا وضَرِيـع[6]

قال ابن هشام: وبعض أهـل العلم بـالشِعـر يُنكرهمـا لحسّـان وابن

(١) الواكف: المطر المنهمر. والدلْو: برج في السماء معروف. رجاف: مصوت. وهموع: سائل.
(٢) كُنُوع: لاصقة بالأرض.
(٣) ياسَخين: أراد يا سَخينة وهو لقب لقريش لأكلها إياها وهي طعام يُصنع من الدقيق.
(٤) الوشيج: الرماح.
(٥) العجاجة: الغبرة. النجيع: الدم.
(٦) الضريع: ما يطرحه البحر من النبات.

الزِّبَعْرَى، وقوله: «ماضي الشباة، وطير يُجِفْن» عن غير ابن إسحاق.

وقال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاصي في يوم أُحُد:

خرجنا من الفَيْفا عليهم كأنّنا ... مع الصُّبح من رَضْوى الحَبيكُ المُنَطَّقُ[1]
تمنَّت بنو النجّار جَهْلاً لقاءنا ... لدى جَنْبِ سَلْعٍ والأمانيُّ تَصْدُق[2]
فما راعهم بالشرّ إلاّ فُجاءة ... كراديسُ خَيْلٍ في الأزقّة تَمْرُق
أرادوا لكيما يستبيحوا قِبابَنا ... ودون القباب اليومَ ضربٌ مُحَرِّق
وكانت قِباباً أُومِنت قبلَ ما تَرَى ... إذ رامها قومٌ أُبيحوا وأُحْنِقوا
كأنّ رؤوس الخَزْرَجِيّين غدوةً ... وأيمانَهم بالمُشْرِفيّة بَرْوَق[3]

فأجابه كعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

ألا أبلغا فِهْراً على نأي دارها ... وعندهم من عِلْمنا اليومَ مَصْدَقُ
بأنّا غَداة السَّفْح من بطن يثربٍ ... صَبَرْنا وراياتُ المنيّةِ تخفِق
صَبَرْنا لهم والصبرُ منّا سجيّةٌ ... إذا طارت الأبرامُ نَسْمُو ونَرْتُق[4]
على عادة تِلْكم جَرَيْنا بصَبْرنا ... وقِدْماً لدى الغايات نجري فَنَسْبِق
لنا حَوْمةٌ لا تُستطاع يقودُها ... نبيٌّ أتى بالحق عَفٌّ مُصَدَّق
ألا هل أتى أفناءَ فِهْر بن مالك ... مُقَطَّعُ أطرافٍ وهامٌ مُفَلَّق[5]

قال ابن إسحاق: وقال ضِرار بن الخطّاب:

إنّي وجدِّك لولا مُقْدمَي فرسي ... إذْ جالت الخيل بين الجزْع والقاعِ[6]
ما زال منكم بجَنْب الجزْع من أُحُدٍ ... أصواتُ هام تَزَاقى أمرُها شاعي[7]

---

(١) رضوى: اسم جبل. الحبيك: ما فيه طرائق. المُنَطَّق: المحزّم.
(٢) سَلْع: اسم جبل خارج المدينة.
(٣) بَرْوَق: نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل.
(٤) الأبرام: اللئام. نرتق: نسدّ ونُصلح.
(٥) الأفناء: المختلط. والهام: الرءوس.
(٦) الجزع: ما انعطف من الوادي. القاع: ما انخفض من الأرض.
(٧) الهام: جمع هامة وهي ما يزعم العرب أنّ طائراً يخرج من رأس القتيل يصيح اسقوني اسقوني حتى يُؤخذ بثأره. تَزَاقى: تصيح. شاعي: أراد شائع.

وفارسٌ قد أصابَ السيفُ مَفْرِقَه أفلاقُ هامتِه كَفَرْوة الراعي
إنّي وجدِّك لا أنفكُّ مُنْتَطِقاً بصارمٍ مثل لَوْنِ المِلْحِ قَطّاع[1]
على رِحالة مِلْواحٍ مُثابِرة نحو الصَّريخ إذا ما ثوَّب الدّاعي[2]
وما انتميتُ إلى خُورٍ ولا كُشُفٍ ولا لِئامٍ غداة البأسِ أوْراع[3]
بل ضاربين حَبيك البيض إذ لحقوا شُمَّ العَرانين عند الموت لُذّاع[4]
شُمٌّ بهاليل مسترخ حمائلُهم يَسْعَون للموت سَعْياً غير دَعداع[5]

وقال ضِرار بن الخطّاب أيضاً:

لما أتتْ من بَني كَعْبٍ مُزَيَّنةٌ والخُزْرجيّة فيها البيضُ تأتلِقُ
وجرَّدوا مَشْرَفياتٍ مُهَنَّدةً وراية كجَناح النَّسْر تَخْتَفِقُ
فقلت يومٌ بأيامٍ ومعركةٌ تُنْبي لما خَلْفَها ما هُزْهِزَ الوَرِق[6]
قد عُوِّدوا كلَّ يوم أنْ تكون لهم رِيحُ القِتالِ وأسلابُ الذين لَقُوا
خيَّرتُ نفسي على ما كان من وجلٍ منها وأيقنتْ أنَّ المجدَ مُسْتَبَق
أكرهتُ مُهْرِيَ حتى خاضَ غَمْرتهم وبَلَّهُ من نَجيعٍ عانكٍ عَلَق[7]
فظلَّ مُهْري وسِرْبالي جَسيدُهما نَفْخُ العُروقِ رشاشُ الطَّعْن والوَرَق[8]
أيقنتُ أنّي مُقيمٌ في ديارهمُ حتىٰ يُفارق ما في جَوْفه الحَدَق
لا تجْزَعوا يا بني مخزومَ إنّ لكم مثلَ المُغيرة فيكم ما به زَهَق[9]
صبْراً فِدًى لكُمُ أمّي وما وَلَدت تعاوَرُوا الضَّرْب حتى يُدبر الشفَق

وقال عمرو بن العاصي:

---

(١) المنتطق: المحتزم.
(٢) الرحالة: السَّرْج. الملواح: الفرس القوية. ثوّب: كرّر الدعاء.
(٣) كُشُف: من لا أدراع لهم في الحرب. الأوراع: الجبناء.
(٤) الحبيك: الطرائق.
(٥) البهاليل: السادة. الدعداع: الضعيف.
(٦) هزهز: حرّك.
(٧) غَمْرتهم: جماعتهم. النجيع: الدم. عانك: أحمر. عَلَق: اسم من أسماء الدم.
(٨) جسيدهما: صبغهما. نفخ العروق: ما ترمى به من الدم. الورق: ما انقطع من الدم.
(٩) الزَهَق: العيب.

لما رأيت الحرب ينـ ... زُو شرّها بالرَّضْفِ نَزْوَا[1]
وتَناولت شهباءُ تلـ ... حُو النّاس بالضرّاء لَحْوَا[2]
أيقنتُ أنّ الموت حقٌّ ... والحياةَ تكونُ لَغْوا
حَمّلتُ أثوابي على ... عَتَدٍ يَبُذُّ الخَيْلَ رَهْوا[3]
سَلِسٍ إذا نكبْن في البَيْـ ... ـداءِ يَعْلو الطِّرفَ عُلْوا
وإذا تنزَّل ماؤهُ من ... عِطْفِه يَزداد زَهْوا[4]
رَبِذٍ كيعفُور الصَّريـ ... ـمَة راعه الرامُونَ دَحْوا[5]
شَنِجٍ نَساهُ ضابطٍ ... للخَيْلِ إرخاءً وعَدْوا[6]
ففِدى لهم أمّي غداً ... ة الرَّوْع إذ يَمْشُون قَطْوا[7]
سَيْراً إلى كَبْش الكَتِيـ ... ـبة إذ جَلَتْه الشمسُ جَلْوا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِّعر يُنكرها لعمرو.

قال ابن إسحاق: فأجابها كعب بن مالك، فقال:

أبلِغْ قُريشاً وخيرُ القَوْل أصدقُه ... والصِدقُ عند ذوي الألباب مَقبولُ
أنْ قد قَتَلْنا بقتلانا سَرَاتَكم ... أهلَ اللّواء ففيها يكثُر القيل
ويوم بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ ... فيه مع النصر مِيكالٌ وجبريل
إن تقتلونا فدِينُ الحقّ فِطْرتُنا ... والقتْلُ في الحقّ عند الله تفضيل
وإنْ تَرَوْا أمرَنا في رأيكم سَفَهاً ... فرأيُ مَن خالف الإسلام تَضْليل
فلا تَمَنَّوا لِقاحَ الحربِ واقتعِدوا ... إن أخا الحرب أصدى اللّونِ مَشْغول

---

(١) الرضف: الحجارة المحماة.
(٢) شهباء: يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح. تلحو: تضعف.
(٣) العتد: الفرس الشديد. والرهو: الساكن.
(٤) ماؤه: عرقه.
(٥) الربذ: السريع. اليعفور: ولد الظبية. والصريمة: الرمال المنقطعة. الدحو: الانبساط
(٦) شنج: منقبض. والنسا: عرق يمتدّ من الورك الى الكعب ولا يقال عرق النّسا لأنّ الشيء لا يضاف الى نفسه. ضابط: ممسك.
(٧) القطو: ضرب من المشي فيه خُيلاء.

إنّ لكم عِنـدنـا ضَربـاً تـرَاحُ لـه ... عُـرْجُ الضِّبـاع لـه خَـذْم رَعَـابِيـل[1]
إنّـا بنـو الحـرب نَمْـرِيهـا[2] ونَنْتُجُهـا ... وعنـدنـا لـذَوي الأضْغـان تَنكِيـل
إن يَنْجُ منها ابنُ حرْب بعدما بلغتْ ... منـه الـتَّراقي[3] وأمـرُ الله مفعـول
فقـد أفـادتْ لـه حِلْماً ومـوعِـظةً ... لمـن يكـونُ لـه لـبٌّ ومعـقـول
ولـو هبطتُم ببطن السَّيْل كـافَحَكم ... ضـربٌ بشاكِلة البطْحـاء تَرْعِيـل[4]
تَلْقـاكم عُـصَبٌ حـول النبيّ لهم ... ممـا يُعِـدّون للهَـيْجـا سرابيـل
من جذْم غسّان مُسْتَـرخٍ حمائلهم ... لا جُبنـاء ولا مِيـلٌ مَعـازِيـل[5]
يمْشُون تحت عَمايات القتال كـما ... تمشي المَصَاعِبـةُ الأُدْم المَـرَاسِيل[6]
أو مِثـل مَشْي أُسود الـظَّلِّ أَلْثَقهـا ... يـومُ رَذاذٍ مـن الجَـوْزاءِ مَشْمُـول
في كـلّ سـابغـةٍ كـالنِّهْي مُحْكَمـةٍ ... قِيـامهـا فَلَج كـالسَّيفِ بُهْلُول[7]
تـردُّ حـدَّ قِـرام النبـل خـاسِئـةً ... ويـرجِـع السيفُ عنهـا وهـو مَفْلُول
ولـو قـذفتُم بسَلْع[8] عن ظُهُـورِكُمُ ... وللحيـاة ودَفْـع المـوتِ تـأجيـل
مـا زال في القـوم وِتْـرٌ منكمُ أبـداً ... تَعْفـوا السَّلامُ عليـه وهـو مَطْلول[9]
عبـدٌ وحُـرٌّ كـريم مُـوثَق قَنصـاً[10] ... شَـطـر المدينـة مـأسُـور ومَقْتـول
كنّـا نُؤَمّـل أخـراكـم فـأعْجَـلكم ... منّـا فـوارسُ لا عُـزْلٌ ولا مِيـل
إذا جَنَى فيهمُ الجـاني فقـد علِمـوا ... حقّـاً بـأنّ الـذي قـد جَـرّ محْمول
مـا نحنُ لا نحن من إثْم مُجـاهـرةً ... ولا مَـلُومٌ ولا في الـغُـرْم مَخْـذُول

وقال حسّان بن ثابت، يذكر عدّة أصحاب اللواء يوم أُحُد:

---

(١) تراح: تهتز. خزم: قطع اللحم. الرعابيل: المنقطعة.
(٢) نمريها: نستدرّها.
(٣) التراقي: عظام الصدر.
(٤) شاكلة: طرف. الترعيل: الضرب السريع.
(٥) الجذم: الأصل. المِيل: الذين لا تروس لهم. والمعازيل. الذين لا رماح لهم.
(٦) العمايات: الظُلُمات. المصاعبة: فحول الإبل.
(٧) سابغة: درع كاملة. النّهي: غدير الماء. البُهلُول: الأبيض.
(٨) سَلْع: اسم جبل.
(٩) السلام: الحجارة. مطلول: غير مأخوذ بثاره.
(١٠) القنص: الصيد.

قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل: -

مَنَع النومَ بالعَشاء الهمومُ ... وخَيالٌ إذا تَغُورُ النُّجومُ
مِن حبيب أضافَ[1] قلْبك منه ... سَقَم فهو داخلٌ مَكتومُ
يا لَقَوْمي هل يقْتل المرءَ مثلي ... واهنُ البطْش والعِظام سُؤوم
لو يَدِب الحَوْليّ من ولد الذرّ عليها لأنْدَبَتها الكُلُوم[2]
شأنُها العِطْر والفراشُ ويَعْلو ... ها لُجَيْنٌ ولُؤلؤ منظوم
لم تَفُتْها شمسُ النّهار بشيءٍ ... غيرَ أنّ الشباب ليس يَدُوم
إنّ خالي خطيبُ جابِيَة الجَوْ ... لان عند النُّعمان حين يَقوم[3]
وأنا الصَّقْر عند باب ابن سَلْمى ... يوم نُعمان في الكُبول سقيم
وأبيٌّ وواقدٌ أُطلِقا لي ... يوم راحا وكَبْلُهم مَخْطوم[4]
ورهنتُ اليدَين عنهم جميعاً ... كلّ كفٍّ جُزءٌ لها مَقْسوم
وَسَطتْ نِسبتي الذّوائبَ منهم ... كلّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيم[5]
وأبيّ في سُمَيحة القائل الفا ... صِل يوم التقتْ عليه الخُصوم[6]
تلك أفعالنا وفِعل الزِّبَعْرَى ... خاملٌ في صديقه مَذْموم
ربّ حِلْم أضاعه عَدَم الما ... لِ وجَهْل غطّى عليه النعيم
لا تَسُبَّنَّني فلستَ بسِبِّي ... إن سِبّي من الرجال الكريمُ
ما أُبالي أنبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... أم لَحاني بظَهْر غيبٍ لئيم
وليَ البأسَ منكم إذ رَحَلْتم ... أسرةٌ من بني قُصيّ صَميم
تِسعةٌ تحمل اللواء وطارتْ ... في رَعاع من القَنا مَخْزُوم
وأقاموا حتى أُبيحوا جَميعاً ... في مَقام وكلُّهم مذموم

---

(١) أضاف: زار.
(٢) الحول: الصغير. أندبتها: أثرت فيها. الكُلُوم: الجُرُوح.
(٣) الجابية: الحوض. والجولان: موضع بسوريا.
(٤) مخطوم: مكسور.
(٥) السطة: الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذُكر في الأنساب. الذوائب: الأعالي.
(٦) أبيّ: ثابت بن المنذر، وسُمَيحة: بئر في المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج.

بـدمٍ عـانِـك وكـان حِـفـاظـاً أن يُـقيـمـوا إنّ الكـريـم كـريـم[1]
وأقـامـوا حـتى أُزيروا شَـعُـوبـاً والـقَـنـا في نُـحُـورهـم مَحْـطوم[2]
وقـريش تَـفِـرُّ مِـنّـا لِـواذاً أن يُـقيـمـوا وخَفّ منهـا الحُلوم[3]
لم تُـطِق حَمْـلَه الـعـواتِـقُ منهـم إنّمـا يَحـمِـل الـلواءَ الـنُّجـوم[4]

قال ابن هشام: قال حسّان هذه القصيدة:

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلاً، فدعا قومه، فقال لهم: خشيت أن يدركني أجَلي قبل أن أصبح، فلا ترووها عنّي.

قال ابن هشام: انشدني أبو عُبيدة للحَجّاج بن علاط السّلميّ بمدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ويذكر قتله طلحة بن ابي طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أُحُد:

لله أيّ مـذبّـب عـن حُـرْمـة أعني ابنَ فـاطمـة المُعِمّ المُخْولا[5]
سبقتْ يـداك لـه بعـاجـل طعنـةٍ تـركتْ طُلَيْحـة للجنبين مُـجَـدّلاً
وشـددْتَ شدّة بـاسـل فكشفتهم بـالجرّ إذ يَهْـوُون أخْـول أخْـوَلا[6]

قـال ابن إسحاق: وقـال حسّان بن ثـابت يبكي حمزة بن عبـد المطّلب ومن أصيب من أصحاب رسولِ الله ﷺ يوم أُحُد:

يـا مـيّ قـومي فـانـدُبـنْ بـسُـحَـيْـرَة شَجْـو الـنّـوائـح

---

(١) عانك: أحمر.
(٢) الشعوب: اسم من أسماء الموت.
(٣) لواذا: مستترين.
(٤) العواتق: جمع عاتق، ما بين المنكب والعنق، والنجوم: مشاهير الناس. وقد ورد منها اثنا عشر بيتاً في عيون الأثر ٢/٣٢، وكذلك في عيون التواريخ ١/١٧٧، ١٧٨.
(٥) المذبّب: الحامي. الحرمة: ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه. ابن فاطمة: هو الإمام عليّ كرّم الله وجهه، وفاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أمه رضي الله عنه. والمعمّ المخوّل: كريم الأعمام والأخوال.
(٦) الجَرّ: أصل الجبل. أخْول أخْولاً: واحداً بعد واحد.

كالحاملات الوقْر بالـ ثقل المُلحّات الدّوالح[1]

المُعْولات الخامِشات وُجوه حُرّات صحائح[2]

وكأنّ سَيْل دُمُوعها الـ أنصابُ يُخَضَبُ بالذّبائح

يَنْقُضْن أشعاراً لهنّ هُناك باديةَ المسائح[3]

وكأنّها أذنابُ خيـ ـلٍ بالضّحى شُمسٍ رَوَامح[4]

من بين مَشْزُور ومجْـ ـزُورٍ يُذعْذع بالبوارح[5]

يَبْكين شَجْواً مُسْلبا تٍ كدّحتْهنّ الكوادح

ولقد أصاب قلوبَها مَجْلٌ له جُلَبٌ قوارح[6]

إذ أقصَد الحِدْثان مَنْ كُنّا نُرَجّى إذْ نُشائح[7]

أصحابَ أُحْد غالَهم دهرٌ ألَمْ له جوارح

مَن كان فارِسَنا وحا مينا إذا بُعث المَسالح[8]

يا حَمْز، لا والله لا أنساكِ ما صُرّ اللقائح[9]

لِمُناخ أيتام وأضيا فٍ وأرملةٍ تُلامح[10]

ولِما ينوبُ الدهرُ في حربٍ لحربٍ وهْي لاقح[11]

يا فارساً يا مِدْرها يا حَمْز قد كنتَ المُصامح[12]

عنّا شديدات الخُطُو ب إذا يَنُوب لهنّ فادح

ذكّرتني أسد الرسو ل، وذاك مِدْرَهنا المُنافح

---

(١) المُلِحّات: الثابتات. الدوالح: التي تحمل ثقلاً.

(٢) الخامشات: الخادشات.

(٣) المسائح: ذوائب الشعر.

(٤) الشُمُس: النافرة.

(٥) يذعذع: يغرّق. البوارح: الرياح الشديدة.

(٦) المَجْل: الجرح. جُلَب: قشور الجروح. القوارح: المؤلمة.

(٧) أقصد: أصاب. نشائح: نحذر.

(٨) المسالح: من يحملون السلاح.

(٩) صرّ: ربط. اللقائح: النوق التي لها لبن.

(١٠) المناخ: مكان النزول. تلامح: تنظر سريعاً.

(١١) لاقح: زائد شرّها.

(١٢) المِدْرة: المدافع. المصامح: شديد الدفع.

عـنّـا وكـان يُـعـدّ إذ عُـدّ الشّـريفـون الجَحَـاجـح[1]
يـعـلو الـقـمـاقـم جـهـرةً سَـبْط الـيَـدَيْـن أغـرّ واضـح[2]
لا طـائشٌ رَعِشٌ ولا ذو عِـلّة بـالـحـمْـل آنِـح[3]
بـحْـر فـلـيس يُـغِـبّ جـا راً مـنـه سـيْـبٌ أو مَـنـادِح[4]
أوْدَى شـبـابُ أُولـي الـحـفـ ائظ والـثـقـيـلون الـمَـرَاجـح[5]
الـمُـطْـعِـمـون إذا الـمـشـا تي مـا يُصَفّـفـهُـنّ نـاضـح[6]
لَـحْـمَ الـجـلاد وفـوْقَـه من شَحْـمـه شُـطَبٌ شَـرَائـح[7]
لـيـدافـعـوا عـن جـارهـم مـا رام ذو الـضّغْـن الـمُـكـاشـح
لَـهْـفـي لـشُـبّـان رُزِئـنـاهـم كـأنـهُـمُ الـمـصـابـح
شُـمٌّ، بـطـارِقـةٌ، غَـطَـا رِفـةٌ، خـضـارِمـةٌ، مسَـامِـح[8]
الـمُـشْـتَـرونَ الـحـمْـد بـالـ أمـوال إنّ الـحـمْـد رابـح
والـجـامـزون[9] بـلُجْـمـهـم يـومـاً إذا مـا صـاح صـائـح
مَـن كـان يُـرْمَـى بـالـنّـوا قِـرِ مـن زمـانٍ غـيـر صـالـح
مـا إن تـزالُ رِكـابُـهُ يَـرْسِـمْن في غُبْـر صَحـاصـح[10]
راحـتْ تَـبـارَى وهـو فـي رَكْـب صُدُورهـم رَواشـح[11]
حـتـى تَـثُـوب لـه الـمـعـا لي ليس من فَوز الـسّـفـائـح[12]

(١) الجحاجح: السادة.
(٢) القماقم: السادة.
(٣) آنح: ثقيل في مشْيه.
(٤) السيب: العطاء. المنادح: جمع مندحة، وهي السعة.
(٥) المراجح: ذوُو الحلم.
(٦) يصففهن: يحلبهنّ. الناضح: من شرب دون أن يرتوي.
(٧) الشطب: طرائق السيف.
(٨) الشم: الأعزاء والبطارقة في الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقاً. والغطارفة: السادة. والخضارمة: من يكثرون العطاء.
(٩) الجامزون: الواثبون.
(١٠) يرسمن: من الرسم، وهو نوع من السير. الصحاصح: الأرض المستوية.
(١١) رواشح: ترشح العرق.
(١٢) السفائح: الجوالق.

يا حَمْزَ قد أوحَدْتَني ... كالعُود شذَّبه الكوافح[1]
أشكو إليك وفَوْقك التُرْ ... ب المُكَوَّرُ والصَّفائح
من جَنْدلٍ نُلْقيه فو ... قك إذ أجاد الضَّرْح ضارح[2]
في واسع يَحشونه ... بالتُرْب سَوَّته المَمَاسح
فَعَزاؤنا أنّا نقو ... ل وقولُنا بَرْحٌ بَوارح[3]
من كان أمْسَى وهو عمّا أوقع الحِدْثان جانح
فلْيَأتنا فلْتَبْك عيـ ... ـناه لهلْكانا النّوافح[4]
القائلين الفاعلين ... ذوي السّماحة والممادح
من لا يزالُ نَدى يديـ ... ـه له طَوال الدّهْرِ مائح[5]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان، وبيته: «المُطْعمون إذا المشاتي» وبيته: «الجامزون بلُجْمهم» وبيته: «من كان يرمي بالنواقر» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكي حمزة بن عبد المطّلب:

أتعرِفُ الدّارَ عفا رسْمُها ... بعدكَ صوبُ المُسْبل الهاطِلِ[6]
بين السّراديح فأُدْمانةٍ ... فمَدْفع الرّوحاء في حائل[7]
ساءلتُها عن ذاك فاستعجَمَتْ ... لم تَدْرِ ما مرجوعةُ السائل[8]
دعْ عنك داراً قد عفا رسْمُها ... وابكِ على حَمْزَةَ ذي النائل

---

(١) الكوافح: القاطعون للعود.
(٢) الضرح: القبر.
(٣) البرح: الشاق.
(٤) النوافح: من يُعطون المعروف.
(٥) المائح: من ينزل الى البئر ليستقي بالدلو.
(٦) الصوب. المطر. والـ ا: السائل.
(٧) السراديح: الوديان. و. : مكان. والمدفع: حيث اندفاع الماء. والرّوْحاء. بلد. وحائل: وادي.
(٨) المرجوعة: الردّ.

المالىء الشِّيزَى إذا أعْصَفت ... غبراءُ في ذي الشَّبم الماحل[١]

والتاركِ القِرْنَ لَدَى لِبْدة ... يَعْثُر في ذي الخُرُص الذّابل[٢]

واللاّبس الخيل إذ أجْحَمَت ... كالليثِ في غابته الباسل[٣]

أبيضُ في الذِّرْوة من هاشمٍ ... لم يَمْر دون الحقّ بالباطل[٤]

مال شهيداً بين أسيافكم ... شُلّت يدا وحْشِيَّ من قاتل

أيَّ امرىءٍ غادر في ألّةٍ ... مَطْرورةٍ مارنةٍ العامل[٥]

أظلمتِ الأرضُ لِفِقْدانه ... واسْوَدّ نورُ القمرِ النّاصل[٦]

صلّى عليه الله في جنّةٍ ... عاليةٍ مَكْرمَة الدّاخل

كنّا نرى حَمزة حِرْزاً لنا ... في كلّ أمرٍ نابنا نازل

وكان في الإسلام ذا تُدْرإٍ[٧] ... يكفيك فَقْدَ القاعد الخاذل

لا تفرحي يا هندُ واستحلبي ... دمعاً وأذري عَبْرة الثّاكل

وابكي على عُتْبةَ إذ قَطّه ... بالسّيف تحت الرّهج الجائل[٨]

إذ خرّ في مَشْيخةٍ منكُم ... من كلّ عاتٍ قلبُه جاهل

أرداهمُ حمزةُ في أُسرةٍ ... يَمْشون تحت الحلَق الفاضل

غداةَ جِبْريل وزيرٌ له ... نِعْم وزيرُ الفارس الحامل[٩]

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطّلب:

طَرقتْ همومُك فالرّقاد مُسَهَّدُ ... وجَزِعت أن سُلخ الشبابُ الأغيد

---

(١) الشيزي: جفان من خشب الأبنوس. الغبراء: الريح. والشبم في الأصل: الماء البارد، ويقصد بها هنا أيام الزمهرير.

(٢) ذو الخُرُص: ذو السنان وهو الرمح. الذابل: الرقيق.

(٣) أجحمت: أحجمت.

(٤) لم يَمْر: لم يُجادل.

(٥) الإلة: الحربة. مطرورة: محدّدة. مارنة: ليّنة. العامل: أعلى الريح.

(٦) الناصل: الخارج من بين السحاب.

(٧) ذا تُدْرأ: أي صاحب مُدافعة ومنافحة.

(٨) قطّ: قطع، الرهج: الغبار. الجافل: المتحرّك.

(٩) في عيون الأثر ٢/٣٣ (١٢) بيتاً منها.

ودَعَتْ فؤادَكَ للهوى ضَمريَّةٌ[1] — فهواكَ غَوْري وصَحْوكَ مُنْجِد

دع التَّماديَ في الغَوايَة سادِراً — قد كنتَ في طلب الغواية تُفْنَد

ولقد أنّى لك أن تَناهى طائعاً — أو تستفيق إذا نَهاك المُرْشد

ولقد هُدِدْتُ لفقْد حمزة هَدَّةً — ظلَّت بناتُ الجَوْف[2] منها تَرْعَد

ولوَ أنّه فُجِعت حِرَاء بمثْله — لرأيتُ راسيَ صَخْرِها يتبدَّد

قَرْم تَمَكّن في ذُؤابة هاشمٍ — حيث النُّبوَّة والنَّدَى والسُّودد

والعاقِرُ الكُومَ[3] الجِلاد إذا غَدَتْ — ريحٌ يكاد الماءُ منها يَجْمُد

والتّارك القِرْن الكَميَّ مُجَدَّلاً — يوم الكريهةِ والقَنا يَتَقَصَّد

وتراه يَرْفل في الحديد كأنّه — ذو لِبْدة شَثْنُ البرائن أرْبد[4]

عمّ النبيّ محمد وصَفيُّه — ورد الحمامَ فطَاب ذاك المَوْرد

وأتى المَنيَّة مُعْلِماً في أسرةٍ — نصروا النبيّ ومنهم المُسْتَشْهِد

ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشّرت — لِتُميت داخلَ غصّة لا تَبْرُد

مما صَبَحنا بالعقْنقل قومَها — يوماً تغيّب فيه عنها الأسعد[5]

وببئْر بدرٍ إذ يَردُّ وُجوهَهم — جبريلُ تحت لوائنا ومحمّد

حتى رأيت لدى النبيّ سَرَاتَهم — قِسْمَيْن: يقْتُل من نشاء ويطرد

فأقام بالعَطَن المُعَطّن منهمُ — سبعون: عُتبةُ منهمُ والأسود[6]

وابنُ المُغيرة قد ضربنا ضربةً — فوق الوَريد لها رشاشٌ مُزبد

وأميّة الجُمحيّ قوّم مَيْله — عَضْبٌ بأيدي المؤمنين مُهنّد

فأتاك فَلُّ المُشركين كأنّهم — والخيلُ تَثْفنهم نَعام شُرّد[7]

شتّان من هو في جهنّم ثاوياً — أبداً ومن هو في الجنان مُخلّد[8]

---

(١) ضمرية: منسوبة الى قبيلة ضمرة.

(٢) بنات الجَوْف: القلب وما اتّصل به من الأحشاء.

(٣) الكوم: عظيمة السنام من الإبل.

(٤) ذو لبدة: الأسد. والشثن: الغليظ. البرائن: مخالب الأسد. الأربد: الأغبر.

(٥) العقنقل: كثيب الرمل.

(٦) المعطن: مبرك الإبل.

(٧) تثفنهم: تطردهم.

(٨) الأبيات كلها في عيون الأثر ٢/٣٣، ٣٤.

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة:

صفيّـة قُـومـي ولا تَـعْـجـزي ... وبـكِّـي الـنّـسـاء عـلى حـمـزة
ولا تَـسْـأمـي أن تُـطيلي البُكـا ... عـلى أسـدِ الله فـي الـهـزّة
فـقـد كـان عِـزّاً لأَيْـتـامـنـا ... وليـث الـمـلاحـم فـي الـبـزّة[1]
يـريـد بـذاك رِضـا أحـمـدٍ ... ورِضـوانَ ذي الـعـرش والـعِـزّة

وقال كعب أيضاً في أُحُد:

إنّـكِ عَـمْـرَ أبـيـكِ الـكريـ ... ـم أن تسألي عنكِ من يَجْتَدينا[2]
فـإنْ تـسـألي ثـمّ لا تُـكـذَبـي ... يُخبـرك من قـد سـألتِ اليقينا
بـأنّـا لـيـالـيَ ذات الـعـظا ... م كُـنّـا ثِمـالاً لـمنْ يَعْتـرينـا[3]
تَـلُوذ الـبـجـود بـأذْرائـنـا[4] ... من الضُّـرّ في أزْمات السّنينا
بـجَـدْوى فُـضـول أولي وُجـدنـا ... وبـالصّبـر والبَـذْل في المُعْـدِمينا
وأبْـقَـتْ لـنـا جَـلَـمـات الـحُـرو ... ب ممن نـوازي لـدن أن بُـرينا[5]
مـعـاطنَ تَـهْـوي إليـهـا الحُـقـو ... ق يَحسبهـا من رآهـا الفَتينـا[6]
تُـخَـيِّس فـيـهـا عِـتـاقُ الـجِـمـا ... ل صُحْماً دواجنَ حُمْراً وُجُـونا[7]
ودُفّـاع رَجْـلٍ كَـمَـوج الـفُـرا ... ت يَقْدُم جـأواءُ جُـولاً طَحُـونـاً[8]
تـرى لـونَـهـا مثـل لـون النّجـو ... م رجـراجـة تُبْـرق النـاظـرينـا
فـإنْ كنتَ عن شـأنـنـا جـاهـلاً ... فسَـلْ عنـه ذا العِلْم ممّنْ يَلينـا

---

(١) البزة: السلاح.
(٢) يجتدينا: يطلب معروفنا.
(٣) ذات العظام: يقصد هنا بها ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليُعاد طبخها. والثمال: الغياث.
(٤) البجود: جماعات الناس. الأذراء: الأكناف.
(٥) جلمات: جمع جَلَمة وهو القطع. بُرينا: خلقنا.
(٦) المعاطن في الأصل: أماكن برْك الإبل، ويريد بها هنا الإبل بعينها. والفتين: الأرض بها الحجارة السوداء.
(٧) تخيّس: تذلّل. الصُحْم: السّود. دواجن: مقيمة. الجُون: يريد بها هنا البيض.
(٨) الدفاع: ما يندفع من السيل. رجل: رجال. الجأواء: كتيبة سوداء لكثرة ما عليها من السلاح. الجُول: الكتيبة العظيمة. والطحون: التي تطحن ما تمرّ به أي تهلكه لقوّتها.

بنـا كيف نَفْعـل إن قلّصـتْ عَواناً ضَرُوساً عَضُوضاً حَجُونا[1]
أَلَسْنـا نشُدّ عليهـا العِصَـا ب حتـى تَدُرّ وحتّى تَـلينـا
ويـومٌ لـه وَهَـج دائـمٌ شَـديد التّهـاوُل حامي الأرينـا[2]
طَـويـلٌ شـديـدُ أوار القِتـا ل تَنْفي قـواحِـزُهُ المُقْـرفينـا[3]
تـخـالُ الكُـمـاة بـأعْـراضـه ثِمـالاً على لـذّة مُنْـزفينـا[4]
تَـعَـاوَرُ أيْمـانُـهُمْ بـيـنـهـم كئـوسَ المنايـا بحدّ الظّبينـا
شهـدْنـا فكُـنّـا أُولي بـأسِـه وتحت العمـايـة والمُعلِمينـا
بخُـرْس الحَسيس حِسانٍ رواءٍ وبُصْـريّـة قـد أجِمْن الجُفـونـا[5]
فمـا يَنْفَلِلْن ومـا يَنْحنـيـنَ ومـا يَنْتَهيـنَ إذا مـا نُـهيـنـا
كبـرق الخريف بـأيدي الكُمـاة يُفَجّعن بـالظّلّ هـامـاً سُكُـونـا[6]
وعـلّمنـا الضّـرب آبـاؤنـا وسـوف نُـعلّم أيـضـاً بَـنـيـنـا
جِـلادَ الكُمـاة، وبـذْلَ التّـلا د، عن جُـلّ أحسابنـا مـا بَقِينـا
إذا مـرّ قِـرْن كـفـى نَـسْلُه وأوْرثـه بـعـده آخـريـنـا
نَشـبّ وتَـهْـلك آبـاؤنـا وبـينـا نُـرَبّي بَـنيـنـا فنِيـنـا
سـألتُ بـك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم أُنَبّـأكَ في القـوم إلاّ هـجـيـنـا
خبيثـاً تُـطيف بـك المُنْـديـات مُقيمـاً على اللُّؤْم حينـاً فَحينـا
تـبَجّسْت تَـهْجـو رسـول المليـ ـك قـاتَلَك الله جِلْفـاً لَعِيـنـا
تـقـول الخَـنـا ثـمّ تـرْمـي بـه نَـقيّ الـثـيـاب تـقـيّـاً أمـيـنـا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشبّ وتهلك آباؤنا» والبيت

---

(١) قلصت: ارتفعت. أي ارتفعت نيران الحرب. العَوان: الحرب المستمرّة. والضروس: القوية. العضوض: كثيرة العضّ. الحجون: التي لا يُعرف لها نهاية.
(٢) الأرين: جمع إرة: وهي مستوقد النار.
(٣) القواحز: القلق. المقرفون. جمع مقرف: النذل الدنيء.
(٤) أعراضه: جوانبه. المنزف: من ذهبت الخمر بلُبّه.
(٥) خُرْس الحَسيس: السيوف الصامتة. أجِمْن: مللْن. الجفون: أغماد السيوف.
(٦) الظل: ظلال السيوف. الهام: الرءوس. السكون: الساكن.

الذي يليه، والبيت الثالث منه: أبو زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم أُحُد:

سائلْ قُريشاً غداةَ السَّفْح من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَربِ
كنّا الأسودَ وكانوا النُّمْر إذ زَحَفوا ... ما إنْ نُراقب من آلٍ ولا نَسَب
فكم تركْنا بها من سيِّد بطلٍ ... حامي الذِّمار كريم الجدّ والحَسَب
فينا الرسولُ شهابٌ ثمّ يَتْبعه ... نورٌ مضيء له فضْلٌ على الشُهُب
الحقّ مَنْطِقُه والعَدْل سِيرَتُه ... فمَنْ يُجبْه إليه يَنْجُ من تَبَب
نَجْد المُقَدَّم، ماضي الهمّ، مُعتزِم ... حين القُلوب على رجْفٍ من الرُّعُب
يمضي ويَذْمُرنا عن غير مَعْصية ... كأنه البدرُ لم يُطبع على الكذب
بدا لنا فاتَّبَعْناه نُصدِّقه ... وكذَّبوه فكنّا أسعَدَ العَرب
جالوا وجُلنا فما فاءوا وما رَجعوا ... ونحن نَثْفِنهم لم نألُ في الطلب
ليسا سواءً وشتّى بين أمرِهما ... حزْبِ الإله وأهل الشرْك والنُّصُب[1]

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال عبدالله بن رواحة يبكي حمزة بن عبدالمطلب: قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

بكت عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغني البُكاءُ ولا العَويلُ
على أسدِ الإلهِ غداةَ قالوا ... أحَمزةُ ذا كُم الرجلُ القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أُصيب به الرسول
أبا يَعْلى لك الأرْكانُ هُدَّت ... وأنت الماجد البَرُّ الوَصُول
عليك سلامُ ربّك في جِنانٍ ... مُخالطها نَعيمٌ لا يَزُول
ألا يا هاشمُ الأخيار صَبْراً ... فكُلّ فِعالكم حَسَنٌ جميل
رسولُ الله مُصْطَبر كريمٌ ... بأمر الله ينطِق إذ يقول

---

(١) الأبيات في عيون الأثر ٢/٣٤.

ألا من مُبْلِغ عنّي لُؤَيّاً | فبعد اليوم دائلةٌ تَدُول[1]
وقبل اليوم ما عَرَفوا وذاقوا | وقائِعَنا بها يُشفَى الغليل
نَسِيتم ضَرْبَنا بقَلِيب بدرٍ | غداةَ أتاكُمُ الموتُ العَجيل
غداةَ ثَوى أبو جَهْل صريعاً | عليه الطيرُ حائمة تَجُول
وعُتبة وابنُه خَرّا جميعاً | وشَيبةُ عضّة السيفُ الصَّقِيل
ومَتْرَكُنا أُميّةَ مُجْلَعِبّاً | وفي حَيْزُومه لَدْن نبيل[2]
وهامَ بني ربيعة سائلُوها | ففي أسيافنا منها فُلُول
ألا يا هندُ فابكي لا تَمَلّي | فأنت الواله العَبْرى الهَبُولُ[3]
ألا يا هندُ لا تُبدي شِماتاً | بحمْزة إنّ عزّكم ذليل[4]

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك:

أبلِغْ قريشاً على نَأْيِها | أتَفْخَر منّا بما لم تَلي
فَخَرْتُم بقَتلى أصابتهُمُ | فواضلُ من نِعَم المُفْضِل
فَحَلّوا جِناناً وأبْقَوا لكم | أُسوداً تُحامي عن الأَشْبُل
تُقاتِل عن دِينها، وَسْطَها | نبيٌّ عن الحقّ لم يَنْكل
رَمَتْه مَعَدُّ بعُور الكَلام | ونَبْل العَداوة لا تأْتلي[5]

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال ضِرار بن الخطّاب في يوم أُحُد:

ما بالُ عينكَ قد أزْرى بها السُّهد | كأنّما جال في أجفانها الرَّمَدُ

---

(١) الدائلة: يقصد بها الحرب.
(٢) مُجْلَعِبّاً: متمدّداً على الأرض. الحيزوم: أسفل الصدر. اللدن النبيل: الرمح العظيم.
(٣) الهبول: الفاقدة.
(٤) في عيون التواريخ (١٤) بيتاً بإسقاط بيتين. (١/ ١٧٠، ١٧١)، وفي مرآة الجنان ١/ ٨ (٥) أبيات.
(٥) لا تأتلي: لا تقصر.

أمِنْ فِـراقِ حبيبٍ كـنتَ تـألَفـه قـد حـالَ من دونـهِ الأعـداءُ والبُعد
أم ذاك من شغْب قـومٍ لا جَدَاء بهم إذ الحُـروب تـلظّت نـارُهـا تَقِـد
مـا يَنْتَهُـون عن الغيِّ الـذي رَكِبـوا ومـا لهم من لُؤيّ ويْحهـم عـضُـد
وقـد نَشَـدنـاهُمُ بـالله قـاطبـةً فـما تـردّهـم الأرحـامُ والنَّشَـد[1]
حـتى إذا مـا أَبَـوْا إلاّ محُـاربـةً واستحْصـدت بيننا الأضْغـان والحقد
سِرْنـا إليهم بجَيْش في جـوانبـه قـوانِسُ البَيض والمحبوكـةُ السُّرد[2]
والجُـرْد تَـرْفُـل بـالأبطال شـازِبـةً[3] كـأنها جِـدَأُ في سَـيْرهـا تُـؤَد
جيش يقـودهُمْ صخْـر ويـرأسهُمْ كـأنّـه لَيْثُ غـابٍ هـاصرٌ حَـرِد[4]
فـأبْرَز الحَـيْنُ قـومـاً من منازلهم فكـان منّـا ومنهم مُـلْتَقىً أُحُـد
فغُـودِرت منهـمُ قَـتْـلى مُجَـدَّلـة كـالمَعْز أصْـرَدَه بـالصَّرْدح الـبَرَد[5]
قَتْـلى كِـرامٌ بنـو النجّـار وسْـطهم ومُصْعب من قَنَـانـا حـولَـه قِصَـد[6]
وحمزة القَـرْم[7] مصْروع تُـطيف بـه ثَكْلَى وقـد حُزَّ منه الأنْف والكِبـد
كـأنـه حـين يكْبُـو في جَـدِيَّتـه تحت العَجاجِ وفيه ثَعْلَب جَسِـد[8]
حُـوارِ نـابٍ[9] وقـدْ ولّى صَحَابتـه كـما تـولّى الـنعَـام الهـارِب الشُّرد
مـجـلِّحين ولا يَلْوون قـد مُلِئـوا رُعْبـاً، فنجّتهم العَـوْصَاء والكُؤُد[10]
تبكي عليهم نـسـاءٌ لا بعُـولَ لهـا من كـلِّ سالبـة أثـوابُهـا قِـدَد[11]

---

(١) النشد: الأيمان.

(٢) القوانس: ما علا بيض السلاح. المحبوكة: جيّدة الصنع. والسرد. السنج، ويريد بها هنا الدروع.

(٣) الجُرْد: عتاق الخيل. شازبة: ضامرة.

(٤) هاصر: كاسر. حرِد: غاضب.

(٥) أصرده: برّده. الصردح: المكان الصلب.

(٦) قِصَد: قِطَع.

(٧) القَرْم: السيد.

(٨) الجَدِيَّة: الدم السائل. الثعلب: الجزء الداخل من الرمح في السنان. جسد: الدم الجامد.

(٩) الحُوار: ولد الناقة. الناب: المُسِنّة من الإبل.

(١٠) مُجلِّحين: مصمّمين. العوصاء: العقبة الشديدة الصعبة. الكؤد جمع كؤود: عقبة صعبة المرتقى، أو صعبة المصعد.

(١١) السالبة: اللابسة للسلاب وهو لباس الحزن. قِدد: قِطع.

وقـد تـركـنـاهم لـلطَّيْر ملْحـمـة ... ولـلضبـاع إلى أجسادهم تَـفِـد[1]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لضِرار:

قال ابن إسحاق: وقال أبو زَعْنَة[2] بن عبدالله بن عمرو بن عُتبة، أخو بني جُشَم بن الخزرج يوم أُحُد:

أنـا أبـو زَعْنَـة يعـدو بي الهُـزَمْ ... لم تُمْـنـعِ المَـخْـزاة إلاّ بـالألَمْ[3]
يحمي الذّمارَ خَزْرجيٌّ من جُشَم

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طـالب ـ قال ابن هشـام: قالهـا رجل من المسلمين يوم أُحُد غير علـيّ، فيما ذكـر لي بعض أهل العلم بـالشِعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعليّ:

لاهُـمَّ إنّ الحـارث بـن الـصِّمَّـةْ ... كـان وفـيّـاً وبـنـا ذا ذِمَّـةْ
أقـبـل في مَـهـامـهٍ[4] مُـهـمَّـهْ ... كَـلِيـلة ظَـلْماءَ مُـدْلَـهِـمَّـةْ
بـيـن سـيـوف ورِمـاح جَمَّـهْ ... يـبـغـي رسـول الله فـيـها ثَـمَّـهْ

قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عِكرمة بن أبي جهل في يوم أُحُد:

كُـلّهـم يـزجـره أرْحِـبْ هَـلاَ[5] ... ولـن يَـرَوْه الـيـومَ إلاّ مُـقْـبِـلا
يَحْمِل رُمحاً ورَئيسا جَحْفلا

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَبّاش التميميّ ـ قال ابن هشام: ثم أحد بني أسد بن عمرو بن تميم ـ يبكي قتلى بني عبدالدار يوم أُحُد:

---

(١) في عيون الأثر (٨) أبيات منها. (٢/٣٤، ٣٥).
(٢) قال أبو ذرّ في شرح السيرة: «كـذا وقع هنا بالنـون، وزعبة، بـالزاي والعين المهملة والبـاء المنقوطة بواحدة من أسفلها. كذا قيّده الدارقطني».
(٣) الهزم: اسم فرس.
(٤) المهامة: القفار.
(٥) أرحب هلا: كلمة تُزجر بها الخيل.

حُيِّيَ مِن حيٍّ عليٍّ نأيهم بنو أبي طَلْحة لا تُصْرَف[1]
يَمُرّ ساقيهم عليهم بها وكلُّ ساقٍ لهم يُعْرف
لا جارُهم يشكو ولا ضيْفُهم من دونه بابٌ لهم يَصْرِف

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى يوم أُحُد:

قتلنا ابنَ جحْش فاغتبطنا بقَتْله وحمزة في فرسانه وابن قَوقلِ
وأفْلَتَنا منهم رجالٌ فأسرَعوا فليتهُم عاجُوا ولم نتعجّل
أقاموا لنا حتى تعضَّ سُيوفنا سَراتَهم وكلّنا غير عُزَّل
وحتّى يكون القتلُ فينا وفيهمُ ويَلْقَوا صَبوحاً شَرَّه غير مُنْجلي

قال ابن هشام: وقوله: «وكلّنا» وقوله: «ويلقَوا صبوحاً»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت عبدالمطّلب تبكي أخاها حمزة بن عبدالمطّلب:

أسائلة أصحاب أُحْد مخافةً بناتُ أبي من أعْجَم وخَبير
فقال الخبير إنّ حمزة قد ثَوَى وزيرُ رسولِ الله خيرُ وزير
دعاه إله الحقّ ذو العرش دعوةً إلى جنّة يحيا بها وسُرور
فذلك ما كنّا نرجّى ونُرتَجي لحمزة يوم الحشْر خير مَصير
فوالله لا أنساك ما هبّت الصَّبا بكاءً وحزناً محْضَري ومَسِيري
على أسد الله الذي كان مِدْرَهاً[2] يَذُود عن الإسلام كلَّ كفور
فيا ليتَ شَلْوي[3] عند ذاك وأعظُمي لدى أضْبُع تعتادني ونُسور
أقول وقد أعلى النَّعِيّ عشيرتي جزى الله خيراً من أخٍ ونصير

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشِعر قولها:

بكاء وحزناً محْضَري ومَسِيري

---

(١) لا تُصرف: لا تُرَدّ.
(٢) المِدْرَه: من يدافع عن القوم.
(٣) الشلو: بقيّة الفريسة.

قال ابن إسحاق: وقالت نُعم، امرأة شَمّاس بن عثمان، تبكي شمّاساً، وقد أصيب يوم أُحُد:

يا عَينُ جُودي بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ ... على كريمٍ من الفِتْيان أبّاسِ[1]
صعْبِ البديهة ميمونٍ نقيبتُه ... حَمّالِ ألوية رَكّاب أفراس
أقولُ لما أتى الناعي له جَزِعاً ... أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطْعِم الكاسي
وقلتُ لما خلَت منه مَجالسُه ... لا يُبعد الله عنّا قُربَ شمّاس[2]

فأجابها أخوها، وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يربوع، يُعزّيها، فقال:

إقْنَيْ حياءَك في سِتْرٍ وفي كَرَم ... فإنّما كان شمّاس من الناسِ
لا تقتُلي النفسَ إذ حانت مَنِيّتُه ... في طاعة الله يوم الرَّوْع والباس
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصْطَبِري ... فذَاق يومئذٍ من كأسِ شمّاس[3]

وقالت هند بنت عُتبة، حين انصرف المشركون عن أُحُد:

رجعتُ وفي نفسي بلابلُ جَمّةٌ[4] ... وقد فاتَني بعضُ الذي كان مَطْلبي
من اصحاب بدرٍ من قُريش وغيرِهم ... بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكنّني قد نِلْتُ شيئاً ولم يكن ... كما كنتُ أرجو في مسيري ومَرْكبي

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشِعر قولَها:

وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

وبعضهم يُنكرها لهند، والله أعلم.

---

(١) الإبساس في الأصل: مسح درع الناقة والقول لها بس بس ليدرّ، فالإبساس فيه تكلّف. وغير الإبساس: أي بغير تكلّف. والأبّاس: الشديد. وفي الأصول «لبّاس».
(٢) عيون الأثر ٢/ ٣٥.
(٣) عيون الأثر ٢/ ٣٥.
(٤) البلابل: الأحزان

ذِكْر يوم الرَّجيع[1]
في سنة ثلاث

مقتل خُبَيْب وأصحابه: قال حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البَكّائيّ، عن محمد بن إسحاق المطّلبي، قال: حدّثنا عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: قدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رَهْط من عُضَل والقارة.

قال ابن هشام: عُضَل والقارة، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مدركة.

قال ابن هشام: ويقال: الهُون، بضم الهاء.

قال ابن إسحاق: فقالوا: يا رسول الله، إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدّين، ويُقرئوننا القرآن، ويعلّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفراً ستة[2] من أصحابه، وهم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد

---

(١) المغازي للواقدي ١/٣٥٤، ٣٦٣، الطبقات الكبرى ٢/٥٥ (واسمها: سريّة مَرْثد بن أبي مرثد)، المغازي لعروة ١٧٥ ـ ١٧٧، جوامع السيرة ١٧٦، الدرر لابن عبد البر ١٦٨، تاريخ الطبري ٢/٥٣٨ ـ ٥٤٢، الأغاني ٤/٢٢٥ ـ ٢٢٧، المحبّر ١١٧، ١١٨، تاريخ خليفة ٧٤ ـ ٧٦، البدء والتاريخ ٤/٢٠٩، الكامل في التاريخ ٢/١٦٧ (حوادث سنة ٤ هـ)، نهاية الأرب ١٧/١٣٣ ـ ١٣٧، عيون التواريخ ١/١٧٩ ـ ١٨٢، عيون الأثر ٢/٤٠ ـ ٤٣، الروض الأنف ٣/٢٣٣، سيرة ابن كثير ٣/١٢٣ ـ ١٣٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) ذكر البخاري انهم كانواعشرة.. ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار. (انظر المغازي ٥/٤٠ باب غزوة الرجيع).

الغَنَوِيّ، حليف حمزة بن عبدالمطّلب، وخالد بن البُكَير اللَّيْثيّ، حليف بني عدِيّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ وخُبيب بن عَدِيّ، أخو بني جَحْجَبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّثِنَة[1] بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج؛ وعبدالله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

وأمَّر رسول الله ﷺ على القوم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ، فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لِهُذَيل بناحية الحجاز، على صدور الهدأة[2] غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيلاً، فلم يرُع القومَ، وهم في رحالهم، إلّا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: إنّا والله ما نريد قتلكم، ولكنّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأما مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، وخالد بن البُكَير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً؛ فقال عاصم بن ثابت:

ما علّتي وأنا جَلْدٌ نابِلُ ... والقوسُ فيها وترٌ عُنابِلُ[3]
تَزِلُّ عن صفحتها المعابِلُ[4] ... الموتُ حقٌّ والحياةُ باطِلُ
وكُلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازِلُ ... بالمرء والمرءُ إليه آئِلُ[5]
إنْ لم أقاتِلْكم فأُمّي هابِلُ[6]

(١) الدَّثِنَة: ضُبط في المواهب اللدنية: بفتح الدال وكسر الثاء مع فتح النون المشدّدة. وزاد البرهان: وقد تسكَّن الثاء. وضبطه صاحب القاموس بكسر الثاء مع فتح النون المخفّفة.

(٢) الهدأة: موضع بين عُسفان ومكة، كما ذكر البخاري في صحيحه.

(٣) النابل: صاحب النبل. والعُنابل: الشديد.
والبيت في المغازي للواقدي ١/٣٥٥
ما علّتي وأنا جَلْد نابلُ ... النبلُ والقوسُ لها بلابل

(٤) المعابل: الأنصال العريضة.

(٥) آئل: صائر.

(٦) القول في المغازي للواقدي ١/٣٥٥، والبدء والتاريخ ٤/٢١٠.

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سليمان وريش المُقعد ... وضالّة مثل الجحيم المُوقدِ[1]
إذا النّواجي افترشت لم أُرْعَد ... ومُجنأ من جِلْد ثَوْرٍ أجْرِدِ[2]
ومؤمن بما على محمد[3]

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سليمان ومثلي رامَى ... وكان قومي معشراً كِراما[4]

وكان عاصم بن ثابت يُكَنَّى: أبا سليمان. ثم قاتل القوم حتى قتل وقُتل صاحباه.

فلما قُتل عاصم أرادت هُذَيل أخْذ رأسه، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أُحُد: لئن قدِرَتْ على رأس عاصم لتشربنّ في قِحْفِهِ الخمر، فمنعه الدَّبْر[5]، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يمسي فتذهب عنه، فنأخذه. فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصماً، فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مُشرك، ولا يمسّ مشركاً أبداً، تنجُساً؛ فكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: حين بلغه أنّ الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نَذَر أن لا يمسّه مشرك، ولا يمسّ

---

(١) المقعد: رجل يريش النبل. الضالة: يريد بها القوس. وهي في الأصل شجرة تصنع منها القسيّ.

(٢) النواجي: الإبل السريعة. افترشت: عمرت. المجنأ: الترس لا حديد فيه.

(٣) القول في البدء والتاريخ ٤/٢١٠

«ومجنأ من مسك ثور أجرد ... ومؤمن بما تلا محمد»

(٤) القول في مغازي الواقدي ١/٣٥٦.

أنا أبو سليمان ومثلي رامَى ... ورثت مجداً معشراً كراما
أصبتُ مَرْثداً وخالداً قياما

وانظر الأغاني ٤/٢٣١.

(٥) الدّبر: جماعة النحل. ويقال الزنابير ونحوهما مما سلاحها في أدبارها. (تاج العروس ١١/٢٥٣).

مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته [1].

وأما زيد بن الدَّثِنَة، وخُبَيب بن عدِيّ، وعبدالله بن طارق، فلانوا ورقّوا ورغِبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة، ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهْران [2]. انتزع عبدالله بن طارق يده من القران [3]، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره، رحِمه الله، بالظهران [4]؛ وأما خُبَيب بن عدِيّ وزيد بن الدَّثِنَة فقدِموا بهما مكة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق: فابتاع خُبَيبا حُجير بن أبي إهاب التميميّ، حليف بني نوفل، لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نَوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمّه فقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبي إهاب، وأبو إهاب، أحد بني أسيِّد بن عمرو بن تميم؛ ويقال: أحد بني عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم، من بني تميم.

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدَّثِنَة فابتاعه صفوان بن أُميّة ليقتله بأبيه، أُميَّة بن خَلَف، وبعث به صفوان بن أُميّة مع مولى له، يقال له نِسطاس، إلى التنعيم [5]، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه، واجتمع رهْط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِم لِيُقتَل: أنشدك الله يا زيد، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عُنُقه، وأنّك في أهلك؟ قال: والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني

---

(1) الأغاني ٤/٢٢٥، تاريخ الإسلام (المغازي).
(2) الظهران: واد قريب من مكة.
(3) القران: الحبل الذي يُربط به الأسير.
(4) تاريخ الطبري ٢/٥٣٩، تاريخ الإسلام (المغازي).
(5) موضع خارج مكة في الحلّ.

جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت في الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمد محمداً؛ ثم قتله نِسطاس، يرحمه الله[1].

وأما خُبَيب بن عديّ، فحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، أنه حُدِّث عن ماويَّة، مولاة حُجَير بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خُبيب عندي، حُبس في بيتي، فلقد اطّلعت عليه يوماً، وإنّ في يده لقِطْفاً من عِنب، مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عِنباً يُؤكل[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة وعبدالله بن أبي نَجيح جميعاً أنها قالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهّر بها للقتل، قالت: فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى؛ فقلت: ادخل بها على هذا الرجل البيت، قالت: فوالله ما هو إلّا أن ولّى الغلام بها إليه؛ فقلت: ماذا صنعتُ؟ أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لَعَمْرك، ما خافت أمُّك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ، ثم خلّى سبيله[3].

قال ابن هشام: ويقال: إنّ الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبَيب، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه، قال لهم: إنْ رأيتم أن تَدَعُوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمّهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أنْ تظنّوا أنّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خُبَيْب بن عدِيّ أوّل من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين[4]. قال: ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنّا

---

(١) الطبقات الكبرى ٥٦/٢، تاريخ الطبري ٥٤٢/٢.

(٢) الخبر في الإصابة ٤٠٦/٤ رقم ٩٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٤٩/١، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) انظر: المغازي للواقدي ٣٥٨/١، وتاريخ الطبري ٥٤٠/٢، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) وقد صار فعل خبيب سُنّة وإن كانت السُّنّة إنما هي أقوال أو أفعال من النبيّ ﷺ. وهي أيضاً إقرار وقد حدثت في حياته فلم يُنكر فالصلاة هي خير ما يختم بها العبد حياته.

قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداةَ ما يُصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصِهم عدداً، واقتلهم بَدَداً[1]، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه رحِمه الله[2].

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرتُه يومئذٍ فيمن حَضَره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خُبَيب، وكانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعي عليه، فاضطّجع لجنْبه زالت عنه.

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد، عن عُقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قتلت خُبَيباً، لأنّي كنت أصغر من ذلك، ولكنْ أبا مَيْسرة، أخا بني عبدالدار، أخذ الحَرْبة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحَرْبة، ثم طعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ على بعض الشام، فكانت تصيبه غَشية، وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطّاب، وقيل: إنّ الرجل مُصاب، فسأله عمر في قدْمة قدِمها عليه، فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكنّي كنت فيمن حضر خُبيب بن عَدِيّ حين قُتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قطّ إلا غُشي عليّ، فزادته عند عمر خيراً[3].

قال ابن هشام: أقام خُبَيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحُرُم، ثم قتلوه.

---

(١) بدداً: متفرّقين.

(٢) أخرج هذا الحديث البخاري في المغازي (٥/٤١) باب غزوة الرجيع، وزاد فيه شعراً

ما أبالي حين أقتل مسلماً ... على أيّ شقّ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْو مُمزّع

وانظر: المغازي لعروة ١٧٧، ونهاية الأرب ١٧/١٣٦، ١٣٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/٤١، والبداية والنهاية ٤/٦٣، وتاريخ الطبري ٢/٥٤١، والأغاني ٤/٢٢٩.

(٣) المغازي للواقدي ١/٣٥٩، ٣٦٠.

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن: قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السريّة، كما حدّثني مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس.

قال: قال ابن عباس: لما أصيبت السريّة التي كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويْح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم. فقال سبحانه: ﴿ومنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي لِما يُظهر من الإسلام بلسانه ﴿وَيُشْهِدُ الله عَلَىٰ مَا فيٰ قَلْبِهِ﴾، وهو مُخالفٌ لِما يقول بلسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلخِصَامِ﴾[1]: أي ذو جدال إذا كلّمك وراجعك.

قال ابن هشام: الألد: الذي يشغب، فتشتدّ خصومته، وجمعه: لُدّ، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَتُنْذِرْ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾[2].

وقال المهلهل بن ربيعة التغلبيّ، واسمه امرؤ القيس، ويقال: عديّ[3] بن ربيعة:

إنّ تحت الأحجار حدّاً ولينا ... وخصيماً ألدّ ذا مِعْلاقِ

ويُروى «ذا مِغلاق» فيما قال ابن هشام. وهذا البيت في قصيدة له، وهو الألندد. قال الطِّرِمّاح بن حُكَيم الطّائيّ يصف الحرباء:

يُوفي على جِذم الجَذُول[4] كأنّه ... خصْم أبرَّ على الخُصُوم ألَنْدد

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿وَإذَا تَوَلَّىٰ﴾: أي خرج من عندك ﴿سَعَىٰ

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٠٤.

(٢) سورة مريم ـ الآية ٩٧.

(٣) هو عدي حقيقة، فقد صرّح مهلهل باسمه في القصيدة فقال:

ضربت صدرها إليّ وقالت ... يا عديا لقد وقتك الأواقي

(٤) يوفي: يشرف. الجذم: القطعة. الجَذُول: الأصول.

فيِ ٱلأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا، وَيُهْلِكَ ٱلحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ، وَٱللهُ لا يُحِبُّ ٱلفَسَادَ﴾ أي لا يحبّ عمله ولا يرضاه. ﴿وَإذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ ٱلعِزَّةُ بِٱلإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلمِهَادِ. وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ، وَٱللهُ رَؤُوفٌ بِٱلعِبَادِ﴾[1]: أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله والقيام بحقّه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك السريّة.

قال ابن هشام: يشْري نفسه: يبيع نفسه؛ وشروا: باعوا. قال يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحِمْيَريّ:

وشريت بُرْداً ليتني ... من بعد بُرْدٍ كنت هامة

برد: غلام له باعه. وهذا البيت في قصيدة له. وشرى أيضاً: اشترى.

قال الشاعر:

فقلت لها لا تجزعي أمَّ مالك ... على ابنَيْك إنْ عبدٌ لئيمٌ شَراهُما

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشِعر، قول خُبَيْب بن عدِيّ، حين بلغه أنّ القوم قد اجتمعوا لصَلْبه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

لقد جمع الأحزاب حولي وألَّبوا ... قبائلهم واستَجْمعوا كلَّ مُجَمَّعِ
وكلُّهم مُبْدي العداوةَ جاهدُ ... عليّ لأنّي في وِثاقٍ بمُضَيعِ
وقد جمعوا[2] أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
إلى الله أشكو غُربتي ثم كُرْبتي ... وما أرصدَ الأحزابُ لي عند مصرعي
فذا العرش، صبّرني على ما يُراد بي[4] ... فقد بضَّعُوا لحمي وقد ياس[3] مطمعي
وذلك في ذات الإله وإنْ يشأ ... يُبارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

---

(١) سورة البقرة ـ الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧.
(٢) في نهاية الأرب «قرّبوا».
(٣) ياس: يئس.
(٤) في نهاية الأرب «على ما أصابني».
(٥) الشِلْو: بقيّة الشيء.

وقد خيَّروني الكُفْرَ والموتُ دُونَه وقد هملتْ عيناي من غير مَجْزَع[1]
وما بي حَذار الموت، إنِّي لميت ولكنْ حِذارى جحم نار ملفّع[2]
فوالله ما أرجو إذا متُّ مسلماً على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مصْرعي[3]
فلستُ بمُبْدٍ للعدّو تخشُّعاً ولا جَزَعاً إنِّي إلى الله مرجعي[4]

وقال حسّان بن ثابت يبكي خُبَيْباً:

ما بالُ عيْنكَ لا تَرْقا مدامعُها سحًّا على الصَّدْر مثل اللؤلُؤ القَلِق[5]
على خُبَيْبٍ فتَى الفِتْيان قد علِموا لا فَشِلٍ حين تلقاه ولا نَزِق
فاذهبْ خُبيبُ جَزاكَ الله طيِّبةً وجنَّة الخُلْد عند الحُور في الرُّفُق[6]
ماذا تقولون إنْ قال النبيُّ لكم حين الملائكة الأبرار في الأُفُق
فيمَ قتلتمْ شهيدَ الله في رجلٍ طاغٍ قد أوعثَ[7] في البُلدان والرُّفَق

قال ابن هشام: ويُروى: الطرق. وتركنا ما بقي منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكي خُبَيْباً:

يا عينُ جُودي بدمعٍ منكِ مُنْسَكِبِ وابكي خُبَيْباً مع الفِتْيان لم يَؤُبِ
صقْراً توسَّط في الأنصار مَنْصِبُهُ سمْحَ السَّجِيّة مَحْضاً غيرَ مُؤْتَشب[8]
قد هاج عيني على عِلّات عَبْرتها إذ قيل نُصَّ[9] إلى جِذْعٍ من الخَشب

---

(١) البيت في نهاية الأرب:
وقد عرّضوا بالكفر والموت دونه وقد ذرفت عيناي من غير مدمع
(٢) الملفّع: المشتمل. وفي نهاية الأرب: «ولكن حذاري حرّ نار تلفع».
(٣) يرد هذا البيت بألفاظ مختلفة. راجع: المغازي لعروة ١٧٧، ونهاية الأرب ١٧/ ١٣٧، والمواهب اللدنية.
(٤) ورد (٦) أبيات في المغازي لعروة ١٧٧، وكلها في نهاية الأرب ١٧/ ١٣٦، ١٣٧، ومنها بيتان في عيون التواريخ ١/ ١٨١، وعيون الأثر ٢/ ٤١، وكلها في تاريخ الإسلام (المغازي).
(٥) القلِق: المتحرّك.
(٦) الرُفُق: جمع رفيق.
(٧) أوعث: أفسد.
(٨) المحض: الخالص. وغير مؤتشب: غير مختلط.
(٩) نُصّ: رُفع.

يـأيّهـا الـراكبُ الغـادي لِـطَيّتـهِ   أبلِغْ لـديكَ وعَيـداً ليس بالكـذب[1]
بني كُهَيْبـةَ أنّ الحـربَ قـد لَقَّحَتْ   محلوبها الصّاب إذ تمري لـمحتَلِب[2]
فيهـا أسُـود بني النّجـار تَقْـدُمُهم   شُهْبُ الأسِنَّة في مُعْصوصبٍ لَجِب[3]

قال ابن هشام: وهذه القصيدة مثل التي قبلها، وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرهما لحسّان، وقد تركنا أشياء قالها حسّان في أمر خُبَيْب لما ذكرتُ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

لـو كان في الـدار قَرم مـاجدٌ بَـطل   ألْـوى[4] من القوم صقْـر خـالُـه أنَسُ
إذن وجـدتَ خُبَيباً مجلِسـاً فَسِحـاً   ولم يُشَـدّ عليـك السّجنُ والحَـرَس
ولم تَسُقْـك إلى التنعيم زِعْنفـة   من القبائل منهم من نَفَت عُـدَس[5]
دلُّـوك[6] غدْراً وهم فيهـا أولـو خُلُفٍ   وأنت ضَيْم لهـا في الـدار مُحْتَبس

قـال ابن هشـام: أنس: الأصمّ السلميّ: خـال مُطعِم بن عـديّ بن نـوفل بن عبـد مَناف. وقـوله: «من نفت عُـدَس» يعني حُجَير بن أبي إهـاب: ويقـال الأعشى بن زُرارة بن النّبّاش الأسديّ وكان حليفاً لبني نوفـل بن عبـد مَناف.

---

(١) الطيّة: ما تنطوي عليه النيّة.
(٢) جعل كُهَيْبة كأنه اسم علم لأمّهم، وهذا كما يقال: بني ضوطرى وبني الغبراء وبني درزة. قال الشاعر:
أولاد درزة أسلموك وطاروا
وهذا كله اسم لمن يُسب، وعبارة عن السّفلة من الناس، وكُهَيْبة من الكُهبة وهي العبرة، وهذا كما قالوا: بني الغبراء وأكثر أشعار حسّان في هذه القصة، قال فيها: من هُذَيل، لأنهم إخوة القارة، والمشاركون لهم في الغدر بخُبيب وأصحابه، وهُذَيل وخُزيمة أبناء مُدْركة بن الياس وعُضَل والقـارة من بني خُزيمـة. . (عن الروض الأنف ٢٣٧/٣). ولقّحت: زاد شرّها. الصاب: العلقم. تمري: تمسح.
(٣) المُعصَوصِب: الجيش الكبير.
(٤) ألْوى: شديد الخصومة.
(٥) الزعنفة: الذين ليسوا خُلّصاً في القبائل المُنتمين إليها. وعُدَس: اسم قبيلة.
(٦) دَلّوك: غرُّوك.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خُبَيب في قتله حين قُتل من قريش: عِكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ، والأخنس بن شَرِيق الثقفي، حليف بني زُهْرة، وعُبَيدة بن حَكيم بن أُميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلميّ، حليف بني أُميّة بن عبد شمس، وأُميّة بن أبي عُتبة، وبنو الحضْرميّ.

وقال حسّان أيضاً يهجو هُذَيلاً فيما صنعوا بخُبَيب بن عدِيّ:

أبلِغْ بني عمرٍو بأنّ أخاهم ... شَرَاهُ[1] امرؤٌ قد كان للغدر لازماً
شراهُ زُهَير بن الأغرّ وجامِع ... وكانا جميعاً يَرْكبان المَحَارِما
أجرتُم فلمّا أن أجَرْتُم غَدَرْتُمُ ... وكُنتم بأكْتاف الرجيع لَهاذِما[2]
فليت خُبَيْباً لم تَخُنْهُ أمانَةُ ... وليت خُبَيْباً كان بالقوم عالما

قال ابن هشام: زُهير بن الأغرّ وجامع: الهُذليان اللذان باعا خُبَيباً.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

إن سَرَّكَ الغدْرُ صِرْفاً لا مِزَاح له ... فأتِ الرَّجيعَ فسلْ عن دارِ لِحيانِ
قومٌ تَواصَوا بأكْلِ الجارِ بينهُم ... فالكلْب والقِرد والإنسان مِثْلان
لو يَنْطِقُ التَّيْسُ يوماً قام يخطُبهم ... وكان ذا شَرَف فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ قوله:

لو ينطق التَّيس يوماً قال يخطبهم ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلاً:

سالتْ[3] هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلّت هُذَيل بما سالت ولم تُصِبِ
سالوا رسولَهم ما ليس مُعْطِيَهُمْ ... حتّى الممات، وكانوا سُبَّة العَرب

---

(١) شراه: باعه.
(٢) اللهاذم: السيوف القاطعة.
(٣) سالت: لغة في سألت.

ولن تـرى لهُـذَيـل داعيـاً أبـداً ... يـدعـو لمَكْـرُمـة عن منزل الحَـرب
لقـد أرادوا خِـلالَ الفُحْش ويْحَهُمُ ... وأن يُحِلُّوا حـراماً كـان في الكُتب

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلاً:

لَعَمْري لقد شانتْ هُذَيـلَ بن مُدْرك ... أحـاديثُ كـانت في خُبيبٍ وعـاصمِ
أحـاديثُ لِحْيـان صَلوا بقبيحـهـا ... ولِحيـانُ جَـرّامون شَـرَّ الجـرائم[1]
أنـاس همُ من قـومهم في صميمِهم ... بمَنْـزلـة الـزِّمْعـان دُبْـرَ القـوادِم[2]
هُم غـدرُوا يـوم الـرَّجيـع وأسْلَمت ... أمـانـتُـهـم ذا عِـفـة ومَـكَـارم
رسـولَ رسـول الله غـدْراً ولم تكُن ... هُـذَيـل تَـوَقّى مُنْكـراتِ المحـارم
فسوف يَـرَوْن النَّصر يـومـاً عليهمُ ... بقتْـل الذي تحميـه دون الحـرائم[3]
أبـابيـلُ دبْـرٍ شُمَّس دون لَحْمـه ... حَمَت لحْم شَهَّـادٍ عِـظامَ المَـلاَحِم
لعـلّ هُـذَيـلاً أن يَـرَوْا بمُصَـابـه ... مَصَـارِعَ قتْـل أو مقـامـاً لِمَـاتم[4]
ونُـوقِـعَ فيهم وقعـة ذات صَـوْلـةٍ ... يُـوافي بهـا الـرُّكبـانُ أهـلَ المـواسم
بـأمـر رسـول الله إنّ رَسـولَـه ... رأى رأيَ ذي حَـزْم بلَحْيـانَ عـالِم
قُبَيِّـلةٌ ليس الـوفـاءُ يُـهِـمّـهـم ... وإن ظُلِمـوا لم يَـدْفَعـوا كفّ ظالم
إذا النـاسُ حلّوا بـالقَضـاء رأيتهم ... بمَجْرى مَسِيل المـاء بين المخارم[5]
مـحـلُّهـم دارُ البَـوار ورأيُـهـم ... إذا نـابَـهم أمـرٌ كـرأي البهـائم

وقال حسّان بن ثابت يهجو هُذَيلاً:

لَحى الله لَحْيـانـاً فليستْ دِمـاؤهم ... لنـا من قتيـلَيْ غَـدْرةٍ بـوفَـاء
همو قتلوا يـوم الـرَّجيـع ابنَ حُـرّةٍ ... أخـا ثِـقـةٍ فـي وُدّه وصـفـاء
فلو قُتلوا يـوم الـرَّجيـع بـأسْـرهم ... بـذي الدَّبْـر مـا كـانـوا لـه بكِفـاء[6]

---

(١) صلوا بقبيحها: أصابهم شرّها. جرّامون: كسّابون.
(٢) الزِّمْعان: جمع زِمْعة: شعرة مُدلاّة في مؤخّر رِجل الشاة أو غيرها. والدُّبْر: الخلف.
(٣) يريد عاصم بن الأقلح فقد حمته الزنابير.
(٤) يريد: لمأتم.
(٥) المخارم: مسايل الماء.
(٦) ذو الدَّبْر: هو عاصم بن الأقلح.

قتيلٌ حَمَتْه الدَّبْرُ بين بُيوتهم ... لدى أهل كُفْرٍ ظاهر وجفاء
فقد قتلت لِحْيان أكرَم مِنْهمُ ... وباعُوا خُبَيباً ويلَهم بلَفاء[1]
فأُفٍّ للحْيانٍ على كلّ حالةٍ ... على ذِكْرهم في الذِّكْر كُل عفاء[2]
قبيِّلةٌ باللؤم والغدْر تَغْتري[3] ... فلم تَمُس يَخْفَى لُؤمها بخفاء
فلو قُتلوا لم تُوفِ منه دماؤهم ... بلى إنّ قتْل القاتِليه شِفائي
فإلاّ أمُت أذْعَر هُذَيلاً بغارةٍ ... كغادِي الجَهَام المُغْتَدِي بإفَاءِ[4]
بأمر رسُول الله والأمرُ أمْره ... يَبيتُ للحْيانَ الخَنا بفَناء
يُصبِّح قوماً بالرَّجيع كأنّهم ... جِدَاء[5] شتاء بِتْنَ غيرَ دِفاء

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلاً:

فلا والله ما تدري هُذَيلٌ ... أصافٍ ماءُ زَمزَمَ أم مَشُوبُ
ولا لهمُ إذا اعتمرُوا وحَجُّوا ... من الحِجْرين والمسْعَى نَصيب
ولكنّ الرَّجيع لهم مَحَلٌّ ... به اللؤمُ المبيَّن والعُيوب
كأنّهمُ لدى الكنان أُصْلاً ... تُيُوس بالحِجاز لها نَبيب[6]
هم غَرُّوا بذمّتهم خُبَيباً ... فبِئس العهدُ عهدُهم الكَذُوب

قال ابن هشام: آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يبكي خُبَيباً وأصحابه:

صلّى الإله على الذين تَتابَعُوا ... يوم الرَّجيع فأُكْرِموا وأُثِيبُوا
رأس السريّة مَرْثَد وأميرهم ... وابن البُكَير إمامهم وخُبَيب
وابن لطارقَ وابن دُثْنَة منهمُ ... وافاه ثَمَّ حِمامُه المَكْتوب

---

(١) اللفاء: الشيء الحقير.
(٢) العفاء: التغيّر.
(٣) تغتري: يُغري بعضها بعضاً.
(٤) الغادي: المبكر. الجهام: السحاب القليل. والإفاء: الغنيمة.
(٥) جداء: جمع جدي.
(٦) الكنان: جمع كنّة. الأصل: جمع أصيل، وهو العشيّ. النبيب: الصوت.

والعـاصم المقتـول عنـد رَجِيعهم كَسَب المعـالـي إنّـه لَكَسُـوب
مَنَـع المَقـادة أنْ ينـالـوا ظَهْـره حتّى يُجـالـد إنّـه لَنَـجِيـب

قال ابن هشام: ويُروى: حتى يجدّل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان.



حديث بئر مَعُونة[1]
في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجّة ـ وولّى تلك الحجّة المشركون والمحرّم ـ ثم بعث رسولُ الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أُحُد.

وكان من حديثهم، كما حدّثني أبي إسحاق بن يَسار، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قَدِم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة[2] على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسولُ الله ﷺ

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٤٥ ـ ٥٥٠، المغازي للواقدي ١/٣٤٦ ـ ٣٥٣، المغازي لعروة ١٧٨ ـ ١٨١، تاريخ خليفة ٧٦، ٧٧، الطبقات الكبرى ٢/٥١ ـ ٥٤، المحبّر ١١٨، الدرر في المغازي والسير ١٧٠ وما بعدها، جوامع السيرة ١٧٨ وما بعدها، البدء والتاريخ ٢١١، ٢١٢، الكامل في التاريخ ٢/١٧١ ـ ١٧٣، نهاية الأرب ١٧/١٣٠ ـ ١٣٣، عيون الأثر ٢/٤٣ ـ ٤٨، عيون التواريخ ١/١٨٤ ـ ١٨٦، سيرة ابن كثير ٣/١٣٩ ـ ١٤٤، مرآة الجنان ١/٩، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٢٣٨، البداية والنهاية ٤/٧١ ـ ٧٤، مجمع الزوائد ٦/١٢٥ ـ ١٣٠.

(٢) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة، سُمّي ملاعب الأسنّة في يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة في أيام جبلة، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتميم، وجبله اسم لهضبة عالية. وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأسنّة أنّ أخاه الذي يقال له فارس قُرْزل، وهو طُفيل بن مالك، كان أسلمه في ذلك اليوم، وفرّ فقال عمر:

فررتَ وأسلمتَ ابن أمّك عامراً ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(الروض الأنف ٣/٢٣٨).

الإسلام، ودعاه اليه، فلم يُسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسولُ الله ﷺ: إنّي أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فلْيدعوا الناسَ إلى أمرك.

فبعث رسولُ الله ﷺ المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، المُعْنق ليموت[1] في أربعين رجلاً[2] من أصحابه، من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصِّمّة، وحرام بن ملْحان بن عديّ بن النجّار، وعُروة بن أسماء ابن الصّلت السّلميّ، ونافع بنُ بَديل بن ورقاء الخُزاعيّ؛ وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر الصّدّيق، في رجال مسمّين من خيار المسلمين[3]. فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحَرّة بني سُلَيم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حَرّة بني سُلَيم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ الى عدوّ الله عامر بن الطُفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر[4] أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجوازاً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيم من عُصيّة ورِعل وذَكْوان، فأجابوه الى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد، أخا بني دينار ابن النجّار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتُثّ[5] من بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً، رحمه الله[6].

---

(١) لقّب لُقّب به لأنه اسرع الى الموت.
(٢) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع في البخاري ومسلم.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٤٦.
(٤) الإخفار: نقض العهد.
(٥) أي رفع من بين القتلى وفيه رمق.
(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٤٦، ٥٤٧.

وكان في سرْح القوم عمرو بن أُميّة الضَّمْري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عُقبة بن الجُلاح.

قال ابن إسحاق: فلمْ ينبِّئهما بمُصاب أصحابهما إلاّ الطيرُ تحوم على العسكر، فقالا: والله إنّ لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاريّ لعمرو بن أميّة: ما ترى؟ قال: أرى ان نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر، فقال الأنصاريّ: لكنّي ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال، ثم قاتل القوم حتى قُتل؛ وأخذوا عمرو بن أميّة أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مُضَر، أطلقه عامر بن الطُفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمّه.[1]

فخرج عمرو بن أُميّة، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة[2]، أقبل رجلان من بني عامر.

قال ابن هشام: ثم من بني كِلاب، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سُلَيم.

قال ابن إسحاق: حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه. وكان مع العامريّين عقد من رسول الله ﷺ وجوار، لم يعلم به عمرو بن أميّة، وقد سألهما حين نزلا، ممّن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدِم عمرو بن أُميّة على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر؛ قال رسولُ الله ﷺ: «لقد قتلت قتيلين، لأدينّهما»![3]

ثم قال رسولُ الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً

---

(١) المغازي لعروة ١٧٩، ١٨٠، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٥٤٧.

(٢) مكان قريب من المدينة.

(٣) أنظر المغازي لعروة ١٨٠ ومجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني.

متخوّفاً». فبلغ ذلك أبا براء، فشُقّ عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، وكان فيمن أصيب عامر بن فُهَيْرة.[1]

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه: أنّ عامر بن الطُفَيل كان يقول: من رجل منهم لما قُتل رأيته رُفع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فُهَيْرة[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض بني جبار بن سُلْمى بن مالك بن جعفر، قال ـ وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم ـ قال فكان يقول: إنّ مما دعاني إلى الإسلام أنّي طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألست قد قتلت الرجل؟! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة، فقلت: فاز لَعَمْرو الله[3].

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرّض بني براء على عامر بن الطفيل:

بني أمّ البنينَ[4] ألم يَرعْكُم ... وأنتُمْ من ذوائب أهل نجْد

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٤٧.

(٢) هذه رواية البكّائي عن ابن إسحاق، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أنّ عامر بن الطُفَيل قدِم المدينة بعد ذلك، وقال للنبيّ عليه السلام: من رجل يا محمد لما طعنته رُفع الى السماء؟ فقال: هو عامر بنُ فهيرة، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أنّ عامر بن فهيرة التمس في القتلى، ففُقد، فيرون أنّ الملائكة رفعته أو دفنته. (الروض الأنف ٣/٢٣٩).
والحديث أخرجه البخاري في المغازي (٥/٤٣، ٤٤) باب غزوة الرجيع، و انظر تاريخ الطبري ٢/٥٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٤٨.

(٤) أم البنين: هي ليلى بنت عامر التي يذكرها لَبيد في قوله:
نحن بني أمّ البنين الأربعة
لم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة: طُفيل فارس قُرْزل، وعامر ملاعب الأسنّة، وربيعة المقترين وهو والد لَبيد، وعُبيدة الوضّاح، ومعاوية مُعَوِّذ الحكماء وهو الذي يقول:
إذا سقط السماء بأرض قوم ... رَعَيناه وإن كانوا غِضابا
وفي هذا الشعر يقول:

تـهـكُـمُ عـامـر بـأبـي بَـرَاء لـيُـخْـفِـرَهُ ومـا خطأً كـعـمْـد
ألا أبـلغْ ربـيـعَـةَ ذا الـمـسـاعـي فمـا أحـدثتَ في الحَـدَثـان بعْـدي
أبـوك أبـو الـحُـرُوب أبـو بَـراءٍ وخـالُـك مـاجِـدٌ حَكَمُ بن سعْـد[1]

قال ابن هشام: حكم بن سعد: من القَيْن بن جسر، وأمّ البنين: بنت عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي أمّ أبي براء.

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطُفَيل؛ فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إنْ أمُت فدمي لعمّي، فلا يُتبعنّ به، وإن أعِش فسأرى رأيي فيما أُتي إليّ.

وقال أنس بن عباس السُلميّ، وكان خال طُعيمة بن عدِيّ بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخُزاعيّ:

تـركتُ ابنَ ورقاء الخُـزاعـي ثاويـاً بِمُعْتَرَكٍ تَسْفي عليـه الأعـاصـرُ
ذكـرتُ أبـا الـرَّيَّـان لمـا رأيتُـه[2] وأيقنتُ أنّي عنـد[3] ذلك ثـائـرُ

= يعـوذ مثلهـا الحكمـاءُ بـعـدي إذا مـا الأمـر في الحَـدَثان نـابـا
وبهذا البيت سُمي مُعوِّذ الحكماء.
وإيّاهم عَنَى لَبيد حين قال بين يدي النعمان بن المنذر:
نـحن بـنـي أمّ الـبـنـيـن الأربعـه الـمُـطْعِـمـون الجَفْنـة المدعـدعـهْ
والضـاربـون الهـام تَحت الخَيْضَعَهْ يـا ربّ هَيْجا هي خيـر من دعـهْ
وإنّما قال: الأربعة، وهم خمسة، لأنّ أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعض النحويين أنه قال إنّما قال أربعة، ولم يقل خمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوّله في قوله سبحانه: ﴿ولِمَنْ خافَ مَقام رَبِّه جَنّتان﴾ وقال: أراد جنة واحدة، وجاء بلفظ التثنية، لتتفق رؤوس الآي. (الروض الأنف ٣/٢٣٨).

(١) الأبيات في: تاريخ الطبري ٢/٥٤٨، وديوان حسّان ١٠٧، وعيون الأثر ٢/٤٥، وعيون التواريخ ١/١٨٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، وورد بيتان في الكامل في التاريخ ٢/١٧٢، ومجمع الزوائد ٦/١٢٧.

(٢) في المغازي للواقدي «عرفته».

(٣) في المغازي «يوم».

(٤) البيتان في المغازي للواقدي ١/٣٥٣.

وأبو الرَّيان: طُعيمة بن عديّ.

وقال عبد الله بن رَواحة يبكي نافع بن بُدَيل بن ورقاء:

رحِم الله نافعَ بن بُديلٍ ... رحمةَ المُبتغى ثوابَ الجهاد
صابرٌ صادقٌ وفيٌّ إذا ما ... أكثر القومُ قال قولَ السَّداد[1]

وقال حسّان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة، ويخصّ المنذر بن عمرو:

على قتلى معونةَ فاستهلّي ... بدمْع العيْن سحّاً غير نَزْر
على خيل الرسولِ غداةَ لاقوا ... مناياهُم ولاقتْهم بقدْر
أصابَهم الفناءُ بعَقْد قوم ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلهم بغَدْر
فيا لَهْفي لمنذِرَ إذ تولّى ... وأعنق[2] في منيّته بصبر
وكائنْ قد أصيب غداة ذاكُم ... مَن ابيض ماجد من سرّ عمرو[3]

قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتاً أبو زيد الأنصاريّ.

وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونة، يُعيِّر بني جعفر بن كِلاب:

تركتُم جاركم لبني سُليم ... مخافة حَرْبهم عجزاً وهُونا
فلو حَبْلاً تناول من عُقَيل ... لمدّ بحبْلها حبلاً متيناً[4]
أو القُرَطاء ما إنْ أسلَموه ... وقِدْماً ما وَفَوا إذ لا تفونا

قال ابن هشام: القُرطاء من هوازن، ويُروَى «من نُفيل» مكان «من عُقيل»، وهو الصحيح: لأنَّ القُرطاء من نُفيل قريب.

---

(١) في المغازي للواقدي ١/٣٥٣.
«صارم صادق اللقاء إذا ما ... أكثر الناس قال قول السداد».

(٢) أعنق: أسرع.

(٣) السر: الخالص.

(٤) يريد بالحبل: العهد.

امر إجلاء بني النَّضير[1]
في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسولُ الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أميّة الضمْريّ، للجوار الذي كان رسولُ الله ﷺ عقد لهما، كما حدّثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحِلف. فلما أتاهم رسولُ الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسولُ الله ﷺ الى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيُريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسولُ الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ، رضوان الله عليهم.

---

(1) أنظر عنهم في: تاريخ الطبري ٢/٥٥٠ ـ ٥٥٥، الطبقات الكبرى ٢/٥٧ ـ ٥٩، المغازي للواقدي ١/٣٦٣ ـ ٣٨٣، أنساب الأشراف ١/٣٣٩ رقم ٧٢٥، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٢، الكامل في التاريخ ٢/١٧٣ ـ ١٧٤، نهاية الأرب ١٧/١٣٧ ـ ١٤٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، عيون الأثر ٢/٤٨ ـ ٥٢، عيون التواريخ ١/١٨٧، ١٨٨، مرآة الجنان ١/٩، سيرة ابن كثير ٣/١٤٥ ـ ١٥٤، مجمع الزوائد ٦/١٢٥، الروض الأنف ٣/٢٥٠ ـ ٢٥٣.

فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السّماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً الى المدينة. فلما استلبث النبيّ ﷺ أصحابُه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه: فقال: رأيته داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ، حتى انتهوا اليه ﷺ، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيّؤ لحربهم، والسير إليهم[1].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصرهم ستّ ليالٍ، ونزل تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق[2]: فتحصّنوا منه في الحصون، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها[3]؟

وقد كان رهْط من بني عوف بن الخزرج، منهم عدّو الله عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قوقل، وسُويد، وداعس، قد بعثوا الى بني النضير: أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنّا لن نُسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فتربّصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم، على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاّ الحلقة[4]، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نُجَاف[5] بابه،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥١، ٥٥٢، وانظر المغازي للواقدي ١/٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٢.

(٣) قال أهل التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَة، أو تَرَكْتُمُوها قائمة على أصولها﴾. واللّينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى. ففي هذه الآية أنّ النبيّ - ﷺ - لم يحرّق من نخلهم إلاّ ما ليس بقُوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة. (الروض الأنف ٣/٢٥٠).

(٤) الحلقة: السلاح.

(٥) النُجاف: عتبة الباب العليا.

فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا الى خَيبر، ومنهم من سار الى الشام.

فكان أشرافهم من سار منهم الى خيبر: سلام بن أبي الحُقَيْق، وكِنانة ابن الربيع بن أبي الحُقَيق، وَحُيَيّ بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث: أنهم استقلّوا بالنساء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم، وإنّ فيهم لأمّ عمرو صاحبة عُروة بن الورد العبْسيّ، التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غفار[2]، بزُهاء[3] وفخر ما رُئي مثله من حيّ من الناس في زمانهم.

وخلّوا الأموال لرسولِ الله ﷺ، فكانت لرسولِ الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسّمها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلاّ أنّ سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

ولم يُسلم من بني النضير إلاّ رجلان: يامين بن عُمَير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهْب، أسلما على أموالهما فأحرزاها[4].

قال ابن إسحاق ـ وقد حدّثني بعض آل يامين: أنّ رسولَ الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمّك، وما هم به من شأني؟ فجعل يامين بنُ عمير لرجل جُعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون[5].

---

(1) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٤.

(2) لم يذكر اسمها في رواية البكّائي عنه، وذكره في غيرها، وهي سلمى. قال الأصمعيّ: اسمها ليلى بنت شعواء، وقال أبو الفرج: هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة، كانت ناكحاً في مزينة، فأغار عليهم عروة بن الورد، فسباها، وذكر الحديث، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار، لأن غفار من كنانة. غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. (الروض الأنف ٣/٢٥٢).

(3) بزُهاء: بإعجاب وكِبْر.

(4) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٤، ٥٥٥.

(5) المغازي للواقدي ١/٣٧٤.

ما نزل في بني النضير من القرآن: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته. وما سلّط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل به فيهم، فقال تعالى: **﴿هُوَ الَّذي أَخْرَجَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْر[1] مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله، فأتاهُمُ الله من حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، يُخرّبونَ بُيُوتَهُمْ بأيديهِمْ وأيْدي المُؤمنينَ﴾**، وذاك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها. **﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولي الأبصارِ، ولَوْلا أن كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الجَلاَء﴾** وكان لهم من الله نقمة، **﴿لَعَذَّبَهُمْ في الدُّنْيا﴾**: أي بالسيف، **﴿ وَلَهُمْ في الآخرة عَذَابُ النَّار﴾[2]** مع ذلك، **﴿مَا قَطَعْتُم مِنْ لينَةٍ أو تَرَكْتُمُوها قَائِمَةً على أُصُولِها﴾**. واللينة: ما خالف العجوة من النخل **﴿فبإذْنِ الله﴾**: أي فبأمر الله قُطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نقمة الله **﴿وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ﴾[3]**.

قال ابن هشام: اللّينة: من الألوان، وهي ما لم تكن بَرْنِيّة[4] ولا عجوة من النخل، فيما حدّثنا أبو عُبيدة. قال ذو الرّمّة:

كأن قُتُودي فوقها عُشّ طائر ... على لينة سَوْقاء تَهْفو جُنُوبها[5]

وهذا البيت في قصيدة له.

---

(١) روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له: إلى أين نخرج يا محمد؟ قال: إلى الحشر، يعني: أرض المحشر، وهي الشام، وقيل: إنهم كانوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلها، فلذلك قال: لأول الحشر، والحشر: الجلاء، وقيل إنّ الحشر الثاني، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن، فتحشر الناس الى الموقف، تبيت معهم، حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلّف، والآية متضمّنة لهذه الأقوال كلها، ولزائد عليها، فإنّ قوله: لأول الحشر يؤذن أنّ ثَمّ حشراً آخر، فكان هذا الحشر والجلاء الى خيبر، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تَيْماء وأريحا، وذلك حين بلغه التثبّت عن النبيّ ﷺ أنه قال: لا يبقينّ دينان بأرض العرب. (الروض الأنف ٣/٢٥١).

(٢) سورة الحشر ـ الآيتان ٢ و٣.

(٣) سورة الحشر ـ الآية ٥.

(٤) البَرْنيّة: واحدة البَرْني، وهو ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر.

(٥) القتود: الرّحْل مع أدواته. السوقاء: عظيمة الساق. الجنوب: النواحي.

﴿وَمَا أفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ ـ قال ابن إسحاق: يعني من بني النضير ـ ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، ولكنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يَشَاءُ، واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ﴾[1]: أي له خاصّة.

قال ابن هشام: أوجفتم: حرّكتم واتعبتم في السير. قال تميم بن أُبيّ ابنُ مقبل أحد بني عامر بن صعصعة:

مذاويد بالبيض[2] الحديث صقالها عن الرّكْب أحياناً إذا الركْبُ أوجفوا

وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوجيف. وقال ابو زُبيد الطائي، واسمه حرملة بن المنذر:

مُسْنفات كأنّهنّ قنا الهنـ ـد لِطُول الوَجِيف جَدْبَ المَرُود[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: السناف: البطان، والوجيف: وجيف القلب والكبد، وهو الضربان.

قال قيس بن الخطيم الظَّفريّ:

إنّا وإنْ قدّموا التي علموا أكبادنا من ورائهم تَجِفُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿مَا أفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَىٰ فلله ولِلرّسُولِ﴾ ـ قال ابن إسحاق: ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ـ ﴿ وَلِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِين وَابْنِ السَّبِيل، كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَاء مِنْكُمْ، وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ، وما نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا﴾[4]. يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه.

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ٦.

(٢) المذاويد: المدافعون عن قومهم. والبيض: السيوف.

(٣) مُسْنفات: مشدودات بالأحزمة. والمَرُود: الموضع الذي يطلب فيه المرعى.

(٤) سورة الحشر ـ الآية ٧.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَم تَرَ إلى الَّذين نافقُوا﴾ يعني عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلكِتَابِ﴾[1]: يعني بني النضير، الى قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يعني بني قَيْنُقاع. ثم القصة.. الى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ للإِنْسَانِ ٱكْفُرْ، فَلَمّا كَفَرَ قَالَ إِنّي بَرِيءٌ مِنْكَ، إِنّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلعَالَمِينَ، فكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فيها، وذلك جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ﴾[2].

ما قيل في بنيّ النضير من الشعر: وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لُقَيم العبسيّ، ويقال: قاله قيس بن بحر بن طَريف. قال ابن هشام: قيس بن بحر الأشجعيّ فقال:

أهلي فداءٌ لأمريءٍ غير هالكٍ ... أحلّ اليهودَ بالحِسيّ المُزَنَّم[3]

يقيلون في جَمْر الغَضاة وبُدِّلوا ... أُهَيْضِب عُودي بالوَدِّي المُكَمَّم[4]

فإنْ يكُ ظنّي صادقاً بمحمّدٍ ... تَرَوْا خَيْله بين الصَّلا ويُرمرم

يَؤُمّ بها عمرو بن بُهْثة إنهم ... عدوّ وما حيّ صديق كمُجْرم

عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ في الوَغَى ... يهزّون أطرافَ الوَشِيج المُقوّم[5]

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ١١.

(٢) سورة الحشر ـ الآيات ١٥ ـ ١٧.

(٣) يريد: أحلهم بأرض غربة، وفي غير عشائرهم، والزنيم: الرجل يكون في القوم، وليس منهم، أي أنزلهم بمنزلة الحسيّ، أي المُبْعَد الطريد، وإنّما جعل الطريد الذليل حسِّياً لأنه عرضة للأكل، والحسيّ والحسْو ما يُحسى من الطعام حسْواً، أي أنه لا يمتنع على آكل، ويجوز أن يريد بالحسيّ معنى الغذيّ من الغنم، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرعي، يقول: بدّلوا بالمال الدُثُر والإبل الكوم، رذال المال وغذاء الغنم، والمزنّم منه، فهذا وجه يحتمل، وقد أكثرت البحث عن الحسّي في مظانّه من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبي علي: الحسية، والحسيّ، ما يُحسى من الطعام، وإذا قد وجدنا الغذيّ واحد غذاء الغنم، فالحسيّ في معناه غير ممتنع أن يقال، والله أعلم. والمزنّم أيضاً: صغار الإبل ـ (الروض الأنف ٣/٢٥١).

(٤) الغضاة: الشجر، الأهيضب: المكان المرتفع. غودي: اسم مكان. الوَدي المكمّم: صغار النخل الذي خرج طلعه.

(٥) الوشيج: الرماح.

وكـلّ رقيق الشَّفـرتيـن مُـهنَّـد — تُـوورِثْن من أزمان عـادٍ وجُـرْهم
فَمَنْ مُبْلغٌ عنّي قُـريشـاً رسـالـةً — فهَـلْ بعدهم في المجدِ من مُتكـرَّم
بـأنّ أخـاكـم فـاعلَمُنّ محـمّـداً — تليـد النَّدى بين الحَجُـون وزَمـزم[1]
فـدينـوا لـه بـالحقّ تَجْسُم أمـورُكم — وتَسْمـوا من الدنيـا إلى كـلّ مُعْـظَم
نـبيّ تَـلاقَـتْـه مـن الله رحـمـةٌ — ولا تسْـألـوه أمـر غيْبٍ مُـرَجَّم[2]
فقد كـان في بـدرٍ لَعَمْري عِبْـرةٌ — لكم يـا قُـريشـاً والقَلِيب المُلَمّـم
غـداةَ أتى في الخـزْرجيّـة عـامـداً — إليكم مُـطيعـاً للعـظيم الـمكَـرَّم
مُعـانـاً بـروح القُـدس يُنْكي عـدوّه — رسـولاً من الـرحمن حقّـاً بمَعْلم[3]
رسـولاً من الرحمن يتْلو كِـتـابـه — فلمّـا أنـار الـحقّ لـم يَـتَـلَعْـثَم
أرى أمـره يـزداد في كـلّ مـوطن — عُـلُوّاً لأمـر حَـمَّـه[4] الله مُـحْـكَم

قال ابن هشام: عمرو بن بُهْثة، من غَطَفان. وقوله «بـالحسيّ المزنّم»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب: يذكر إجلاء بني النضير، وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين غير عليّ بن أبي طـالب، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشِعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعليّ:

عـرفتُ ومَـن يـعتـدل يَـعْـرف — وأيـقـنـتُ حقّـاً ولـم أَصْـدفِ[5]
عـن الـكلم الـمُحكم الآي من — لـدى الله ذي الـرأفـة الأرأف
رسـائـلُ تُـدْرَس فـي المؤمنين — بهنّ اصـطفَى أحمـدَ المصطفي
فـأصبـح أحمـدُ فينـا عـزيـزاً — عـزيـز المقـامـةِ والـمـوْقِف
فـيـأيّهـا الـمُـوعِـدوه سَـفـاهـا — ولـم يـأت جَـوْراً ولـم يَـعْـنُـف

---

(١) الحَجُون: موضع في مكة.
(٢) المرجّم: غير المتيقّن.
(٣) المَعْلم: الموضع العالي.
(٤) حمّه: قدّره.
(٥) أصدف: أعرض.

ألستم تخافون أدنى العذابِ ... وما آمِنُ الله كالأخْوَف

وأن تُصْرعوا تحت أسْيَافه ... كمصرع كعبٍ أبي الأشرف

غداة رأى الله طغيانَه ... وأعرض كالجمل الأجْنف[1]

فأنزل جبريلَ في قتْله ... بوَحْيٍ إلى عبده مُلْطَف

فدسّ الرسولُ رسولاً له ... بأبْيَضَ ذي هَبَّة مُرْهف[2]

فباتت عيونٌ له مُعْولاتٍ ... متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِف

وقُلْن لأحمد ذَرْنا قليلاً ... فإنّا من النَّوْح لم نَشْتف

فخلاَّهُمُ ثم قال اظْعَنُوا ... دُحوراً على رَغم الآنُف[3]

وأجلى النَّضيرَ الى غُربةٍ ... وكانوا بدارٍ ذوي زُخْرف

إلى أذرِعاتٍ[4] رُدَافى وهُم ... على كلّ ذي دَبَرٍ أعْجَف[5]

فأجابه سمّاك اليهوديّ، فقال:

إنْ تَفْخَروا فهو فخرٌ لكم ... بمقتلِ كعب أبي الأشرف

غداة غدوتُم على حَتْفه ... ولم يأت غدراً ولم يُخْلِفِ

فعَلَّ الليالي وصَرَف الدُّهور ... يُدين من العادِل المنصِف[6]

بقتْل النَّضير واحلافها ... وعَقْر النخيل ولم تُقْطَف

فإنْ لا أمُتْ نَأتكم بالقَنا ... وكلِّ حُسامٍ معاً مُرْهَف

بكفّ كَمِيٍّ به يَحْتمي ... متى يَلْق قِرْناً له يُتْلف

مع القوم صخْرٌ وأشياعُهُ ... إذا غاوَر القومَ لم يضْعُف

كليثٍ بتَرْجٍ حَمَى غِيلَه ... أخي غابةٍ هاصِرٍ أجْوَف[7]

---

(١) الأجنف: المائل الى جهة.

(٢) الأبيض: السيف. والهبة: الاعتزاز.

(٣) رغم الأنُف: أي رغم أنفكم، أي على هوان ومذلّة.

(٤) أذرعات: موضع بالشام.

(٥) يريد على جمل جريح هزيل.

(٦) يريد بالعادل المنصف محمداً ﷺ وقد أراد الملعون التهكّم عليه ﷺ أو يكون كما قال أبو ذر. في شرح السيرة أن يكون اللفظ للمدح والمعنى للذّم كما قال سبحانه وتعالى ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

(٧) تَرْج: جبل بالحجاز. وغيله: جمع غيلة وهي أجَمَة الأسد. والأجوف: عظيم الجوف.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خَزِيتْ بغَدْرتها الحُبُور[1] … كذاكَ الدّهرُ ذو صرْف يدُورُ

وذلك أنّهم كفروا بربٍّ … عزيزٍ أمرُه أمرٌ كبير

وقد أُوتوا معاً فهْماً وعلماً … وجاءهمُ من الله النذير

نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً … وآياتٍ مبيّنةً تُنير

فقالوا ما أتيتَ بأمر صدْق … وأنت بمُنْكر منّا جدير

فقال بلى لقد أدّيتُ حقاً … يُصدّقني به الفَهِم الخبير

فمن يَتْبعه يُهْدَ لكلّ رُشْدٍ … ومن يَكْفر به يُجزَ الكَفور

فلمّا أشْربوا غدراً وكُفراً … وحاد بهم عن الحقّ النُّفور

أرى الله النبيّ برأي صدْقٍ … وكان الله يحكُمُ لا يجور

فأيّده وسلّطه عليهم … وكان نصيرَه نِعْمَ النّصير

فغُودِر منهمُ كعبٌ صريعاً … فذلّت بعد مصرعه النّضير

على الكَفّين ثمّ وقد عَلَتْه … بأيدينا مُشَهّرةٌ ذُكُور[2]

بأمرِ محمّدٍ إذ دسّ ليلاً … الى كعبٍ أخا كعبٍ يسير

فَمَاكَرَه.. فأنزله بمَكْر … ومحمودٌ أخو ثقةٍ جَسُور

فتلْك بنو النّضير بدار سَوْءٍ … أبارهم[3] بما اجتَرَموا المُبير

غداة أتاهم في الزّحف رَهْواً[4] … رسولُ الله وهْوَ بهم بصير

وغسّان الحُماة مُوازِروه … على الأعداء وهْوَ لهم وزير

فقال السّلم ويحكُم فصدّوا … وحالف[5] أمرَهم كَذِب وزُور

فذاقوا غِبّ أمرهم وبالاً … لكلّ ثلاثةٍ منهم بَعير

وأجْلُوا عامدين لَقيْنُقاع … وغودر منهمُ نخل ودُور

---

(١) الحبور: العلماء.

(٢) مشهّرة: مسلولة. ذُكور: قوية.

(٣) أبارهم: أهلكهم.

(٤) الرهْو: المشي في تُؤَدَة.

(٥) حالف: صاحب.

فأجابه سمّاك اليهوديّ، فقال:

أرِقْتُ وضافني[1] همٌّ كبيرُ ... لِيَلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ

أرى الأحبارَ تُنْكره جميعاً ... وكلهم له عِلْم خبير

وكانوا الدّارسين لكلّ عِلمٍ ... به التّوراة تنطق والزّبور

قتلتم سيّدَ الأحبار كعباً ... وقِدْماً كان يأمَن من يُجير

تدلّى نحو محمود أخيه ... ومحمودٌ سريرته الفُجُور

فغادره كأنّ دماً نجيعاً ... يسيل على مَدارعه عبيرُ[2]

فقد وأبيكُم وأبي جميعاً ... أصيبت إذ أصيب به النّضير

فإنْ نَسْلَم لكم نترك رجالاً ... بكعب حولَهم طيرٌ تدُور

كأنّهم عتائرُ[3] يوم عيدٍ ... تُذَبّحُ وهي ليس لها نَكير

ببيضٍ لا تُليقُ[4] لهنّ عظْماً ... صَوافي الحدّ أكثرُها ذُكور

كما لاقيتُم من بأسِ صخْرٍ[5] ... بأُحْد حيثُ ليس لكم نصير

وقال عبّاس بن مِرْداس أخو بني سُليم يمتدح رجال بني النّضير:

لو أنّ أهل الدار لم يتصدّعوا ... رأيتَ خلال الدار ملْهى ومَلْعبا

فإنك عَمْري هل أُريك ظَعائنا ... سَلَكْن على رُكن الشّطاة فتَيْأبا[6]

عليهنّ عِينٌ من ظباء تبالةٍ ... أوانسُ يُصْبين الحليمَ المجرّبا[7]

إذا جاء باغي الخير قُلْن فُجاءةً ... له بوجوهٍ كالدنانير مرحبا

وأهلاً فلا مَمْنوع خيرٍ طَلَبْتَه ... ولا أنت تخْشى عندنا أن تؤنّبا

فلا تحسبنّي كنت مولى ابن مِشْكمٍ ... سلامٍ ولا مَوْلى حُيَيّ بن أخطبا

---

(١) ضافني: نزل بي.
(٢) الدم النجيع: الطريّ. المدارع: ملابس من صوف. والعبير: الأخلاط من الطّيب.
(٣) العتائر: الذبائح.
(٤) لا تليق: لا تُبْقي ولا تَذَر.
(٥) صخر: يقصد به أبا سفيان بن حرب.
(٦) الظعائن: النساء في الهوادج. الشطاة وتَيْأب: موضعان.
(٧) العين: واسعات الأعين. قبالة: موضع باليمن يشتهر بالظّباء. ويُصْبين: يُذْهِبْن العقل.

فأجابه خَوّات بن جُبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال:

تُبَكِّي على قتلى يهودَ وقد ترى من الشَّجْو لو تَبْكي أحبَّ وأقْربا
فهلّاً على قتلى ببطن أُرَيْنِق بكيتَ ولم تُعْوِل من الشَّجْو مُسْهبا[1]
إذا السِّلم دارت في صديق رددتها وفي الدين صدّاداً وفي الحرب ثَعْلبا
عمدتَ إلى قدْر لقومك تبتغي لهم شَبَهاً كَيْما تَعزَّ وتَغْلبا
فإنّك لمّا أن كَلِفْتَ تمدّحاً لمن كان عَيْباً مدحُه وتكذّبا
رحلتَ بأمر كنت أهلاً لمثله ولم تُلفِ فيهم قائلاً لك مرحبا
فهلّا الى قوم مُلُوكٍ مدحتهم تَبَنَّوْا من العزّ المُؤَثَّل مَنْصِبا[2]
إلى معشر صاروا مُلوكاً وكُرِّموا ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْف مُجْدِبا
أولئك أحرى من يهودَ بمدْحةٍ تراهم وفيهم عِزَّةُ المجد تُرْتُبا[3]

فأجابه عبّاس بن مِرداس السُّلَميّ، فقال:

هجوتَ صريح الكاهِنَيْن وفيكم لهم نِعَمٌ كانت من الدهر تُرتُباً[4]
أولئك أحرى لو بكيتَ عليهُم وقومُك لو أدّوا من الحقّ مُوجبا
من الشكر إنّ الشكر خيرٌ مَغَبَّةً[5] وأوفقُ فعلاً للذي كان أصْوَبا
فكنت كمن أمسى يُقطِّع رأسه ليبلغ عزّاً كان فيه مُرَكّبا
فَبكِّ بني هارون واذكر فَعالَهم وقَتْلهم للجُوع إذ كنت مُجْدِبا
أخوّات أذْرِ الدمعَ بالدّمع وابكهمْ وأعرض عن المكروه منهم ونكِّبا[6]
فإنّك لو لاقيتَهم في ديارهم لألْفيتَ عمّا قد تقُول مُنكِّبا

---

(١) المُسْهب: المتغيِّر الوجه.

(٢) المؤثّل: القديم.

(٣) الترتب: الثابت.

(٤) الكاهنان: قُريظة والنّضير، وفي الحديث: يخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله، ولا يدرسه أحد بعده، فكانوا يرونه محمداً بن كعب القُرَظيّ وهو محمد بن كعب بن عطيّة، والكاهن في اللغة بمعنى الكاهل، وهو الذي يقوم بحاجة أهله، إذا خلف عليهم، يقال: وهو كاهن أبيه وكاهله، قاله الهَرَويّ، فيحتمل أن يكون سُمّي الكاهنان بهذا.

(٥) المغبّة: العاقبة.

(٦) نكّب: أبعد.

سراعٌ الى العليا كرامٌ لدى الوغى يُقال لباغي الخير أهلاً ومرحباً

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام، فقال:

لَعَمْري لقد حكمْت رَحَى الحرب بعدما أطارت لُؤَيّاً قبلُ شَرْقاً ومَغْرباً
بقيّة آل الكاهنَيْن وعزّها فعاد ذليلاً بعد ما كان أغلبا
فطاحَ سلامٌ وابنُ سَعْيَة عَنْوةً وقيدَ ذليلاً للمنايا ابنُ أخْطبا
وأجْلَبَ يَبْغي العزَّ والذُّلَّ يبتغي خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنَى حين أجلبا
كتاركِ سَهْل الأرض والحَزْنُ هَمُّهُ وقد كان ذافي النّاس أكْدَى وأصْعَبا[1]
وشأسٌ وعَزّال وقد صَليا بها وما غُيِّبا عن ذاك فيمن تَغيّبا
وعَوفُ بن سَلْمى وابن عَوْفٍ كِلاهما وكعبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا[2]
فبُعْداً وسُحْقاً للنَّضير ومثلها إنْ أعقبَ فتْحٌ أو إنِ الله أعْقَبا

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: ثم غزا رسولُ الله ﷺ بعد بني النضير بني المُصْطَلِق. وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه.

---

(١) الحَزْن: الأرض العالية. الأكدى: الذي لم يبلغ حاجته.
(٢) حان: هلك.

غزوة ذات الرِّقاع[1]
في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جُمادى، ثم غزا نجْداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفاريّ؛ ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام[2].

قال ابن إسحاق: حتى نزل نخلاً[3]، وهي غزوة ذات الرقاع.

---

(1) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ١/٣٩٥ ـ ٤٠٢، الطبقات الكبرى ٢/٦١، ٦٢، تاريخ الطبري ٢/٥٥٥ ـ ٥٥٩، أنساب الأشراف ١/٣٤٠، ٣٤١ رقم ٧٢٧، البدء والتاريخ ٤/٢١٣، المحبّر ١١٣، الكامل في التاريخ ٢/١٧٤، ١٧٥، نهاية الأرب ١٧/١٥٨، ١٥٩، عيون الأثر ٢/٥٢، ٥٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٢٥٣ ـ ٢٥٨، عيون التواريخ ١٨٩، ١٩٠، سيرة ابن كثير ٣/١٦٠ ـ ١٦٨، مرآة الجنان ١/٩.

(2) تاريخ الطبري ٢/٥٥٥.

(3) نخل: موضع بنجد. (فتح الباري ٧/٤١٨) وانظر: معجم البلدان ٥/٢٧٦).
وذكر غيره أنها أرض فيها بُقَع سُود، وبُقَع بيض، كأنها مرقّعة برقاع مختلفة، فسُمّيت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصحّ من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعريّ: قال: «خرجنا مع النبيّ ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتِقبه، فنقّبت أقدامنا، ونُقّبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنّا نلفّ على أرجلنا الخِرَق، فسُمّيت غزوة ذات الرقاع، لما كنّا نعصب من الخرَق على أرجلنا، فحدّث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك، فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه. (الروض الأنف ٣/٢٥٣) وانظر: الدرر لابن عبد البر ١٧٦، وصحيح البخاري ٥/٥١ باب غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: وإنّما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقّعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسولُ الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس[1].

صلاة الخوف: **قال ابن هشام**: حدّثنا عبدالوارث بن سعيد التنوريّ - وكان يُكَنَّى: أبا عُبيدة - قال: حدّثنا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، عن جابر بن عبدالله في صلاة الخوف، قال: صلّى رسولُ الله ﷺ بطائفة ركعتين ثم سلّم، وطائفة مقبلون على العدوّ قال: فجاءوا فصلّى بهم ركعتين أُخْرَيَيْن، ثم سلّم.

قال ابن هشام: وحدّثنا عبد الوارث، قال: حدّثنا أيوب، عن أبي الزُبَير، عن جابر، قال: صفّنا رسولُ الله ﷺ صفّين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسولُ الله ﷺ، وسجد الصفّ الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم. ثم تأخّر الصف الأول، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبيّ ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد النبيّ ﷺ وسجد الذين يلونه معه؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم. فركع النبيّ ﷺ وسلّم بهم جميعاً، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سجدتين.

قال ابن هشام: حدّثنا عبدالوارث بن سعيد التنّوري، قال: حدّثنا أيُوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوّهم، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخّرون فيكونون مما يلي العدوّ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلّي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلّوا بأنفسهم ركعة ركعة[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٥٦، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٥٦.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبدالله: أنّ رجلاً من بني محارب، يقال له: غوْرَث، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ في حجْره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم ـ وكان مُحلّى بفضة، فيما قال ابن هشام ـ قال: فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزّه، ويهمّ فيكبته الله؟؛ ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه. قال: فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان: أنّها إنّما أُنزلت في عَمرو بن جحاش، أخي بن النضير وما همَّ به، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وحّدثني وهْب بن كَيْسان، عن جابر بن عبدالله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف؛ فلما قفل رسول الله ﷺ، قال: جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلّف، حتى أدركني رسولُ الله ﷺ، فقال. ما لك يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جملي هذا، قال أنِخْه، قال: فأنَخْتُه؛ وأناخ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: أعطِني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصاً من شجرة، قال: ففعلت. قال: فأخذها رسولُ الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب، فركبت، فخرج، والذي بعثه بالحقّ، يواهق[2] ناقته مواهقة[3].

قال: وتحدّثت مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتبيعني جَملَك هذا يا جابر»؟ قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك، قال: «لا، ولكن بِعْنِيه»،

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ١١ وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٨.

(٢) يواهق: يسابق. (النهاية في غريب الحديث ٤/٢٣٤).

(٣) انظر المغازي للواقدي ١/٣٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي).

قال: قلت: فسمّنيه يا رسول الله، قال: «قد أخذته بدِرْهم»؛ قال: قلت: لا، إذن، تغبّني يا رسول الله! قال: «فبدِرهمين»؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسولُ الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. قال: فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال؛ «نعم»؛ قلت: فهو لك؛ قال: «قد أخذته». قال: ثم قال: «يا جابر، هل تزوّجت بعد»؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أثيّبا أم بِكْراً»؟ قال: قلت: لا، بل ثيّباً، قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك»! قال. قلت: يا رسول الله، إنّ أبي أُصيب يوم أُحُد وترك بنات له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهنّ، وتقوم عليهنّ؛ قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو قد جئنا صُراراً[1] أمرنا بجَزُور فنُحِرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا، فنفضت نمارقها»[2]. قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنّها ستكون، فإذا أنت قدِمتَ فاعمل عملاً كيِّساً». قال: فلما جئنا صراراً أمر رسولُ الله ﷺ بجَزُور فنُحِرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما مسّى رسولُ الله ﷺ دخل ودخلنا؛ قال: فحدّثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ؛ قالت: فدونك، فسمع وطاعة - قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنَختـه على باب رسول الله ﷺ؛ قال: ثم جلست في المسجد قريباً منه؛ قال: وخرج رسولُ الله ﷺ، فرأى الجمل؛ فقال: «ما هذا»؛ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر؛ قال: «فأين جابر»؟ قال: فدُعِيت له؛ قال؛ فقال: «يا بن أخي خذ برأس جملك، فهو لك». ودعا بِلالاً، فقال له: «اذهب بجابر، فأعطه أوقية». قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية، وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال ينمي عندي، ويُرى مَكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعني يوم الحَرَّة[3].

---

(١) صرار: موضع قريب من المدينة.

(٢) النمارق: كل ما يُجلس عليه من الحشايا وغيرها.

(٣) يعني: وقعة الحَرّة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية علي يدي مسلم بن عُقبة المُرّي الذي يسمّيه أهل المدينة مسرف بن عُقبة، وكان سببها أنّ أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أميّة، وأمّروا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل الذي غسّلت أباه الملائكة يوم أُحد، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا =

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمّي صدقة[1] بن يَسار، عن عَقِيل بن جابر، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأةَ رجلٍ من المشركين؛ فلما انصرف رسولُ الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسولُ الله ﷺ منزلاً، فقال: «مَن رجل يكلؤنا ليلتنا هذه»؟ قال: فانتُدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفم الشِعْب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شِعْبٍ من الوادي، وهما عمّار بن ياسر وعبّاد بن بِشْر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشِعْب، قال الأنصاريّ للمهاجِرِيّ أي الليل تحبّ أن أكفِيكَه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفني أوله، قال: فاضطّجع المهاجريّ فنام، وقام الأنصاريّ يصلّي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[2] القوم. قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه،

= فيهم، روى البخاري أنّ عبدالله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه، وقال لهم: إنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله، وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلّا كانت الفيصل بيني وبينه، ثم لزم بيته، ولزم أبو سعيد الخُدْريّ بيته، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها، فقيل له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخُدْريّ صاحب النبيّ - ﷺ - فقالوا له: سمعنا خبرك، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك، ولزمت بيتك، ولكن هات المال، فقال: قد أخذه الذين دخلوا قبلكم عليّ، وما عندي شيء، فقالوا: كذبت ونتفوا لحيته، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما. وأما جابر بن عبدالله الذي كنّا بمَسَاق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقّة المدينة والبيوت تُنتهب، وهو أعمى، وهو يعثر في القتلى، ويقول تعِس مَن أخاف رسول الله ﷺ، فقال له قائل: ومن أخاف رسول الله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخاف المدينة، فقد أخاف ما بين جنبيّ، فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مروان، وأدخله بيته، وقُتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة، وقُتل من أخلاط الناس عشرة آلاف. (الروض الأنف ٢٥٦/٣) وانظر عن الخبر في المغازي للواقدي ٤٠٠/١، ونهاية الأرب ١٦١/١٧، ١٦٢.

(١) ليس عمه: وإنما هو لقب لقّبه به احتراماً له.

(٢) الربيئة: من يحرس القوم.

قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ صاحبَه فقال: اجلس فقد أُثْبِتّ[1]، قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنْ قد نذرا به، فهرب. قال: ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سُورة أقرؤها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها[2]، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وايْم الله، لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسولُ الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها.

قال ابن هشام: ويقال: أنفذها.

قال ابن إسحاق: ولما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جُمادى الأولى وجُمادى الآخرة ورَجَباً.

غزوة بدر الآخرة[3]
في شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبدَالله بن عبدالله بن أُبَيّ بن سلول الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثماني ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة، من ناحية الظَّهْران، وبعض الناس

---

(١) أُثبِتّ: جُرحت جراحة بالغة.

(٢) أنفدها: أتم قراءتها.

(٣) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٨٣، والدرر ١٧٧، وجوامع السيرة ١٨٤، والمغازي للواقدي ١/٣٨٤ ـ ٣٩١، والطبقات الكبرى ٢/٥٩، ٦٠، وتاريخ الطبري ٢/٥٥٩، والمحبّر ١١٣، والبدء والتاريخ ٤/٢١٣، ٢١٤، وأنساب الأشراف ١/٣٣٩، ٣٤٠ رقم ٧٢٦، والكامل في التاريخ ٢/١٧٥، ونهاية الأرب ١٧/١٥٤ ـ ١٥٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون التواريخ ١/١٩٠، وعيون الأثر ٢/٥٣، ٥٤، وسيرة ابن كثير ٣/١٦٩ ـ ١٧٢.

يقول: قد بلغ عُسْفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يُصلِحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإنّ عامكم هذا عام جدْب، وإنّي راجع، فارجعوا، فرجع الناس. فسمّاهم أهل مكة جيش السويق، يقولون إنّما خرجتم تشربون السويق[1].

وأقام رسولُ الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مَخْشِيّ بن عمرو الضمْريّ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمْرة في غزوة وُدّان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

فأقام رسولُ الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمرّ به معبد بن أبي مَعْبد الخُزاعيّ، فقال، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به[2]:

قد نَفَرَت من رُفْقَتَيْ محمدِ ... وعَجوَةٍ من يثرب كالعُنْجُدِ[3]
تَهْوي على دِينِ أبيها الأتْلدِ ... قد جَعَلَتْ ماء قُدَيْدٍ موعدي[4]
وماءَ ضَجْنان لها ضُحَى الغَدِ[5]

وقال عبدالله بن رَواحة في ذلك ـ قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكعب بن مالك:

وعَدْنا أبا سفيان بدراً[6] فلم نَجِدْ ... لِميعاده[7] صِدْقاً وما كان وافيا
فأُقسِمُ لو وافيْتَنا فلقِيتَنا ... لأُبْتَ[8] ذَميماً وافتقدْتَ المَواليا

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٩.
(٢) تهوي به: تسرع به.
(٣) العُنْجُد: الزبيب.
(٤) الدين هنا: العادة، الأتلد: القديم. ماء قديد: ماء قريب من مكة.
(٥) ضَجْنان: مكان قريب من مكة. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٥٩، ٥٦٠، والمغازي للواقدي ١/٣٨٩.
(٦) في نهاية الأرب «وعداً».
(٧) في المغازي للواقدي «لموعده».
(٨) في المغازي للواقدي «رجعت».

تـركنـا بـه أوصـالَ عُتبـةَ وابنَـه — وعَمْـراً أبا جهْـل تـركنـاه ثـاويـاً
عصَيْتم رسـولَ الله أُفٍّ لـدينكم — وأمـركُمُ السَّيِّءِ الـذي كـان غـاويـاً
فـإنّي وإنْ عنَّفتمـوني لقـائـلٌ — فِـدًى لـرسـول الله أهلي ومـاليـا
أطعنـاه لم نَعْـدِلْـه فينـا بغيـره — شهـاباً لنـا في ظُلْمَة الليـل هاديـا[1]

وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشأم قد حـال دُونَهـا — جِـلادٌ كـأفـواه المَخَـاضِ الأوارِكِ[2]
بـأيدي رجـالٍ هـاجـرُوا نحـوَ ربِّهم — وأنصـارِهِ حقّـاً وأيـدي المـلائـك
إذ سَلَكَتْ للغَوْرِ مِن بطنِ عـالـجٍ[3] — فقُـولا لَهَـا لَيس الـطرِيق هُنـالـك
أقمنـا على الـرَّسِّ الـنَّـزُوعِ ثمـانيـاً — بـأرْعَنَ جَـرَّارٍ عـريض المبـارك[4]
بكـلِّ كُمَيْتٍ جَـوْزُه نِصْفُ خَـلْقِـه — وقُبٍّ[5] طـوال مشرفـات الحـوارك[6]
ترى العَرْفَج العاميَّ تَذْري[7] أصولـه — منـاسِمُ أخفـافِ المَطيِّ الـرَّواتِكِ[8]
فـإنْ نَلْقَ في تَطْوافِنـا والتماسنـا — فُـراتَ بن حَيَّـان يكُنْ رَهْنَ هـالـك
وإنْ تَلْقَ قيسَ بنَ امرِيءِ القَيْس بَعْدَه — يُزَدْ في سـوادٍ لـونِـه لـونُ حـالِـك
فـأَبْلغ أبـا سُفيـانَ عَنّي رسـالـةً — فـإنّك من غُـرِّ الرِّجـال الصَّعَالِـك[9]

---

(١) الأبيات في المغازي للواقدي ١/٣٨٩، ٣٩٠، ونهاية الأرب ١٧/١٥٦، وشرح السيرة لأبي ذرّ ٢٩٦.

(٢) فَلَجات: جمع فلج، وهذا الماء الجاري، سُمّي فلجاً، لأنه قد خُدّ في الأرض، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الاسنان، أو من الفلج وهو القسم، والفالج مكيال يقسم به، والفلج والفيلج بعير ذو سنامين، وهو من هذا الأصل، ورواه أبو حنيفة الدِّينَوَرِيّ بالحاء وقال: الفَلَجة: المزرعة. والمخاض: الإبل الحوامل. والأوارك: التي ترعى الأراك وهو شجر تُؤخذ منه المساويك.

(٣) الغَوْر: ما انخفض من الأرض. وعالج: مكان كثير الرمل.

(٤) الرَّسّ: البئر: النزوع: سهلة الماء. الأرعن: الجيش الجرّار.

(٥) في المغازي «وأدم».

(٦) الكُمَيت: الفرس: لونها بين الأحمر والأسود يُطلق على المذكّر والمؤنث. وجَوْزه: وسطه. قبّ: جمع أقب وهو الضامر. والحوارك: أعالي الفرس من ناحية الكتفين.

(٧) في المغازي «تبدي».

(٨) العرفج: نبات. والعاميّ: الذي بلغ العام. المناسم: أخفاف البعير. الرواتك: المسرعة.

(٩) وردت في المغازي للواقدي ١/٣٩٠ وهي تنقص بيتاً واحداً، باختلاف في الترتيب.

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب. فقال:

أحسّان إنّا يا بن آكلة الفَغا — وجدّك نغتال الخُرُوق كذلك[1]

خَرَجْنا وما تَنْجو اليَعافِير بيننا — ولو وألَتْ منّا بشدّ مُدارِك[2]

إذا ما انبعَثْنا من مُناخٍ حسِبْتَهُ — مُدمَّن أهل الموسِم المُتعارَك[3]

أقمتَ على الرّسّ النَّزوعِ تُريدنا — وتَتْركنا في النَّخْل عند المَدَارِك[4]

على الزَّرْع تمشي خيلُنا وركابُنا — فما وطِئَتْ ألصَقْنه بالدَّكادِك[5]

أَقَمْنا ثلاثاً بين سَلْعٍ وفارعٍ — بجُرْدِ الجيادِ والمطِيّ الرَّواتِك[6]

حسِبْتُمْ جِلادَ القوم عند قِبابهم — كمأخذِكم بالعين أرطالَ آنُك[7]

فلا تبعثِ الخيلَ الجِيادَ وقل لها — على نَحْو قول المُعْصِم المُتَماسك[8]

سعِدْتم بها وغَيْركم كان أهلها — فوارسُ من أبناء فِهْر بن مالك

فإنَّك لا في هجرةٍ إنْ ذكَرْتَها — ولا حُرُماتِ الدّينِ أنتَ بنَاسِك

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها، لقُبح اختلاف قوافيها. وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذي بعده لحسّان بن ثابت في قوله:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

وأنشدني له فيها بيته «فأبلغ أبا سفيان».

---

(١) الفغا: التمر. نغتال: تقطع: الخروق: الصحراوات الواسعة.

(٢) اليعافير: أولاد الظباء. وألَتْ: اعتصمت. الشدّ المدارك: الجري المتتابع: والمعنى أنهم ملئوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير.

(٣) المدمّن: ما تركه الركب وتركوا فيه آثارهم. والموسم: المكان الذي تجتمع فيه العرب. المتعارك: الذي يزدحم فيه القوم.

(٤) الرّسّ النّزوع: البئر السهلة الماء. المدارك: الأماكن القريبة.

(٥) الدكادك: الرمال اللينة.

(٦) سَلع وفارع: جبلان. الرواتك: المسرعة.

(٧) العين: الدرّ. الأنُك: القزدير.

(٨) المعصم: المتماسك.


Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

غزوة دُومة الجَنْدَل[1]
في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها أشهراً حتى مضى ذو الحجّة وولّى تلك الحجّة المشركون، وهي سنة أربع، ثم غزا رسولُ الله ﷺ دُومة الجندل.

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغِفَاريّ[2].

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسولُ الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقيّة سنته.

غزوة الخندق[3] في شوال سنة خمس

حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله

---

(1) دُومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة وسُمّيت بدُومى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها. (الروض الأنف ٣/٢٧٦).

وانظر عن الغزوة في: الطبقات الكبرى ٢/٦٢، ٦٣، المغازي للواقدي ١/٤٠٢ - ٤٠٤، تاريخ الطبري ٢/٥٦٤، أنساب الأشراف ١/٣٤١ رقم ٧٢٨، الكامل في التاريخ ٢/١٧٧، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٦٢، ١٦٣، عيون الأثر ٢/٥٤، سيرة ابن كثير ٣/١٧٧، ١٧٨، عيون التواريخ ١/١٩٤.

(2) تاريخ الطبري ٢/٥٦٤.

(3) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها، ولذلك أشار به =

البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي، قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

اليهود تحزّب الأحزاب: فحدّثني يزيد بن رُومان مولى آل الزُبير بن عُروة بن الزُبير، ومن لا أتّهم، عن عبدالله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القُرَظيّ، والزُهْريّ، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثهم في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث به بعض قالوا: إنه كان من حديث الخندق أنّ نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحُقيق النضْري[1]، وحُيَيّ بن أحطب النضْريّ، وكِنانة بن أبي الحُقيق النضْريّ، وهَوْذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدِموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنّا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله - فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ونحن ومحمد، أفَدِينُنا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أوْلى بالحقّ منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ

= سلمان الفارسي، وأول من خَنْدَق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري منوشهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثقيان، وهو أول من اتخذ آلة الرمي، وإلى رأس ستين من ملكه، بعث موسى عليه السلام، والكمائن في الحروب، أول من فعلها بختنصر في قول الطبري. (الروض الأنف ٢٧٦/٣).

وانظر عن الغزوة في: المغازي لعروة ١٨٤، ١٨٥، المغازي للواقدي ٢/٤٤٠ - ٤٩٦، الطبقات الكبرى ٢/٦٥ - ٧٤، تاريخ الطبري ٢/٥٦٤ - ٥٨١، أنساب الأشراف ١/٣٤٣ - ٣٤٧ رقم ٧٣٠، الدرر ١٧٩، جوامع السيرة ١٨٥، صحيح البخاري ٥/٤٤ - ٤٩، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٦ - ٢٢١، الكامل في التاريخ ٢/١٧٨، نهاية الأرب ١٧/١٦٦ - ١٨٦، المواهب اللدنية ٢/١٢٥، عيون الأثر ٢/٥٥ - ٦٨، مجمع الزوائد ٦/١٣٠ - ١٤٢، سيرة ابن كثير ٣/١٧٨ - ٢٢٢، مرآة الجنان ١/٩، عيون التواريخ ١/١٩٤ - ٢٠٦، تاريخ الإسلام.

(١) ونسب ابن أبي الحُقيق وما بعده إلى بني النضير فقال فيهم النضري، وقياسه: النضيري إلا أن يكون من باب قولهم ثقفي وقُرَشي، وهو خارج عن القياس، وإنما يقال: فعلي في النسب الى فعيلة. (الروض الأنف ٢٧٦/٣).

ٱلذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ ٱلكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ[1]، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً، أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللهُ، وَمَنْ يَلْعَنِ ٱللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ . . إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي النبوّة، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾[2].

قال: فلما قالوا ذلك لقريش، سَرَّهم ونشطوا لِما دعوهم إليه، من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من يهود، حتى جاءوا غَطَفان من قيس عَيْلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأنّ قريش قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه[3].

خروج الأحزاب: قال ابن إسحاق: فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان بن حرب؛ وخرجت غَطَفان، وقائدها عُيينة بن حُصْن بن حُذَيفة بن بدر[4]، في بني فَزارة؛ والحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي، في بني مُرَّة؛ ومِسْعر[5] بن رُخَيلة بن نُويرة بن طَرِيف بن سُحْمة بن عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع[6].

---

(١) الجبت: الصنم المعبود. الطاغوت: الساحر. الكاهن: الشيطان. أو كل ما عبد من دون الله.

(٢) سورة النساء ـ الآيات ٥١ ـ ٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٦٥، ٥٦٦.

(٤) واسم عيينة حُذيفة، وسُمّي: عُيينة لشتر كان بعينه، وهو الذي قال فيه عليه السلام: الأحمق المطاع، لأنه كان من الجرّارين، تتبعه عشرة آلاف قناة، وهو الذي قال فيه النبيّ ﷺ: إن شرَّ الناس من وادَعه الناس اتّقاء شرّه، وفي رواية أخرى: أنه قال: إنّي أداريه، لأني أخشى أن يفسد عليّ خلقاً كثيراً، وفي هذا بيان معنى الشرّ الذي اتّقى منه، وكان دخل على النبيّ ﷺ بغير إذن فلما قال له: أين الإذن؟ قال: ما استأذنت على مُضريّ قبلك. (الروض الأنف ٣/٢٧٦) وانظر المواهب اللدنية ٢/١٢٥.

(٥) في تاريخ الطبري ٢/٥٦٦، والإصابة ٣/٣٩٠ «مسعود» وكذا في الطبقات ٢/٦٦.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٦٦، نهاية الأرب ١٧/١٦٧.

حفر الخندق: فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق عل المدينة، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُوَرُّون[1] بالضعيف[2] من العمل، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ، ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بدّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذ قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير، واحتساباً له[3].

ما نزل من القرآن في حقّ العاملين في الخندق: فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الذِينَ آمنوا بِالله وَرَسُولِهِ، وإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآلله ورَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، واسْتَغْفِر لَهُمُ الله، إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4] فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسلّلون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبيّ ﷺ: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، قَدْ يَعْلَمُ الله الذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ، أو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

قال ابن هشام: اللِواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب، قال حسّان بن ثابت:

---

(١) يورّون: يستترون.

(٢) في تاريخ الطبري «بالضعف».

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٦٦، ٥٦٧.

(٤) سورة النور - الآية ٦٢.

(٥) سورة النور - الآيتان ٦٣ و٦٤.

وقريش تفرّ منّا لِواذاً أن يقيموا وخَفَّت منها الحلوم

وهذا البيت في قصيدة له، قد ذكرتها في أشعار يوم أُحُد.

﴿أَلَا إِنَّ لله مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن إسحاق: من صدْق أو كَذِب.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

المسلمون يرتجزون وهم يعملون: قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعيل، سمّاه رسولُ الله ﷺ: عمراً، فقالوا:

سمّاه من بعد جُعَيلٍ عَمرا وكان للبائس يوماً ظَهْراً

فإذا مرّوا بـ «عمرو» قال رسولُ الله ﷺ: «عَمْراً»، وإذا مرّوا بـ «ظهر» قال رسولُ الله ﷺ: «ظَهْرا»[1].

معجزات ظهرت في حفر الخندق: قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نُبوّته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغني أنّ جابر بن عبدالله كان يحدّث: أنه اشتدّت عليهم في بعض الخندق كُدْية[2]، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فَتَفَلَ فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدْية؛ فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحقّ نبيّاً، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا تردّ فأساً ولا مِسْحاة[3].

---

(١) أي يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط فإنه ﷺ لم يقل شعراً مطلقاً وإن كان يسمعه ويستجيده. يقول الله تعالى ﴿وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. انظر الطبري ٤/٥٦٧.

(٢) الكدية: صخرة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/ ١٧٠.

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن مينا أنه حُدّث: أنّ ابنةً لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتني أمّي عَمرة بنت رَواحة، فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنَيّة، اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بن رَواحة بغَدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: «تعالي يا بُنَيّة، ما هذا معك»؟ قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتني به أمّي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رَواحة يتغدّيانه؛ قال: «هاتيه»؛ قالت: فصببته في كفَّيْ رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوبٍ فبُسِط له ثم دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق: «أنْ هَلُمَّ إليّ للغداء». فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه لَيَسْقط من أطراف الثوب[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن مينا، عن جابر بن عبدالله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيْهة، غير جِد سمينة. قال فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ؛ قال: فأمرت امرأتي، فطحنت لنا شيئاً من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله ﷺ. قال: فلما أمسينا وأراد رسولُ الله ﷺ الانصراف عن الخندق ـ قال: وكنّا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ـ قال: قلت: يا رسول الله، إنّي قد صنعت لك شويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأحبّ أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنّما أريد أن ينصرف معي رسولُ الله ﷺ وحده. قال: فلمّا أن قلت له ذلك؛ قال: «نعم»، ثم أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبدالله؛ قال: قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! قال: فأقبل رسولُ الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ قال فجلس وأخرجناها إليه. قال: فبرك وسمّى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتى

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

صدر أهل الخندق عنها[1].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن سلمان الفارسيّ، أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلُظَت عليّ صخرة؛ ورسولُ الله ﷺ قريب منّي؛ فلما رآني أضرب ورأى شدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المِعْوَل من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المِعْوَل بَرْقَة؛ قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته بَرْقَة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته بَرْقَة أخرى. قال: قلت بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المِعْوَل وأنت تضرب؟ قال: «أَوَقَدْ رأيت ذلك يا سلمان»؟ قال: قلت نعم؛ قال: «أما الأولى فإنّ الله فتح عليّ بها اليمن؛ وأما الثانية فإنّ الله فتح عليّ بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن أبي هريرة أنه كان يقول ـ حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده ـ افتتِحُوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلّا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك[3].

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الجُرْف وزَغَابة[4] في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومَن تبعهم من بني كِنانة وأهل تِهامة، وأقبلت غَطَفان ومن

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) المغازي لعروة ١٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) زَغَابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدّم القول بأنه زُعَابة بضم الزاي والعين المهملة، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجُرْف والغابة، واختار هذه الرواية وقال: لأنّ زغابة لا تعرف قال: السهيلي في الروض الأنف والأعرف عندي في هذه الرواية رواية من قال: زغابة بالغين المنقوطة، لأنّ في الحديث المسند عنه عليه السلام، قال في ناقة أهداها إليه أعرابيّ، فكافاه بستّ بكرات، فلم يرض، فقال عليه السلام: ألا تعجبون لهذا الأعرابيّ! أهدى إليّ ناقة أعرفها بعينها، كما أعرف بعض أهلي ذهبت منّي يوم زغابة، وقد كافأته بستٍّ فسخط. الحديث. (الروض الأنف ٣/٢٧٧).

تَبِعهم من أهـل نجد، حتى نـزلوا بـذَنب نَقْمَى[1]، إلى جـانب أُحُـد. وخـرج رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع[2]، في ثلاثـة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: وأمر بالذراري والنساء فجُعِلُوا في الآطام[3].

حُيَيّ بن أخـطب يحرّض كعب بن أسـد: قال وخـرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب النضْريّ، حتى أتى كعبَ بنَ أسـد القُرَظيّ، صـاحب عقد بني قُـرَيْظة وعهـدهم، وكـان قـد وادع رسـول الله ﷺ على قـومـه، وعـاقـده على ذلـك وعاهده؛ فلما سمع كعب بحُيَيّ بن أخطب أغلق دونه بـاب حصنه، فـاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حُيَيّ: ويْحَك يا كعب افتح لي: قـال: ويْحك يا حُيَيّ، إنك امرؤ مشئوم، وإنّي قد عاهـدت محمداً، فلست بنـاقض ما بيني وبينه؛ ولم أر منه إلا وفاءً وصدْقاً؛ قال ويْحك افتح لي أكلّمـك؛ قال: مـا أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دونـي إلاّ عن جُشَيْشَتِك[4] أن آكل معك منهـا؛ فأحْفَظ[5] الرجل، ففتح له؛ فقال: ويْحك يا كعب، جئتك بعزّ الـدهر وببحـرٍ طام، جئتك بقـريش على قادتهـا وسادتهـا حتى أنزلتهم بمجتمـع الأسيال من رُومـة، وبغَطَفـان على قادتهـا وسادتهـا حتى أنزلتهم بـذَنب نَقْمَى إلى جـانب أُحُد، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمـداً ومن معه. قـال: فقال له كعب: جئتني والله بذُلّ الدّهر، وبجهام[6] قـد هُراق مـاءه، فهو يـرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيّ: فدعني وما أنا عليه، فـإنّي لم أر من

---

(١) ذنب نقمى: موضـع من أعـراض المـدينـة قـريب أحـد. كـان لآل أبي طـالـب. ونَقَمى بالتحريك. (معجم البلدان ٥/٣٠٠).

(٢) سَلْع: جبل بالمدينة. (معجم ٣/٢٣٦).

(٣) الآطام: الحصون.

(٤) الجُشَيْشة: طعام يُصنع من البُرّ المطحون خشِناً مع اللحم والتمر.

(٥) أحفظ: أغضب.

(٦) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

محمد إلّا صدقاً ووفاءً. فلم يزل حُيَيّ بكعب يفتله في الذّروة والغارب[1] حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغَطَفان، ولم يصيبوا محمداً أنْ أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبَرِيء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ[2].

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله ﷺ سعد بن مُعاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعد بن عُبادة بن دُليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج ومعهما عبدالله بن رَواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوّات بن جُبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: «انطلقوا حتى تنظروا، أحقٌّ ما بَلَغَنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإنْ كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تَفُتّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس». قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَن رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقْد. فشاتمهم سعد بن مُعاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدّة؛ فقال له سعد بن عُبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه، ثم قالوا: عُضَل والقارة، أي كغدر عُضَل والقارة بأصحاب الرجيع، خُبَيْب وأصحابه، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر، أبشِروا يا معشر المسلمين».

قال وعظُم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المؤمنون كلَّ ظَنٍ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتّب بن قُشَير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد

---

(١) هذا مثل، وأصله في البعير، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه، ويفتل هناك، فيجد البعير لذّة فيأنس عند ذلك، فضُرب هذا الكلام مثلاً في المراوضة والمخاتلة، قال الحُطيئة:

لعمرك ما قراد بني بُغيض ... إذا نزع القراد بمستطاع

يريد: أنهم لا يُخدعون ولا يُستذلّون. (الروض الأنف ٣/٢٧٧).

(٢) تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٥٧٠، ٥٧١، نهاية الأرب ١٧/١٧٠، ١٧١.

يعدُنا أن نأكل كنوز كِسْرى وقيصر، وأحدُنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[1].

لم يكن مُعتّب منافقاً: قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم: أنّ مُعتّب بن قُشَير لم يكن من المنافقين، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أوس بن قَيظي، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إنّ بيوتنا عورة من العدّو، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذَنْ لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلاّ الرِّمِّيا بالنبل والحصار[2].

قال ابن هشام: ويقال الرمْيا.

محاولة الصلح مع غَطَفان: فلما اشتدّ على الناس البلاء، بعث رسولُ الله ﷺ، كما حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة ومَن لا أتّهم، عن محمد بن مسلم بن عُبيدالله بن شهاب الزُهريّ، إلى عُيينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي، وهما قائدا غَطَفان، فأعطاهما ثُلُث ثِمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه. فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلاّ المراوضة في ذلك. فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة، فذكر لهما، واستشارهما فيه؛ فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبّه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بدّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنّني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالَبوكم[3] من كل

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧١، ٥٧٢، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) كالبوكم: غالبوكم.

جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما»؛ فقال له سعد بن مُعاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشِرْك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بَيْعاً، أحِين أكْرَمَنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسولُ الله ﷺ: «فأنت وذاك» فتناول سعد بن مُعاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا[1].

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون، وعدوّهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلاّ أنّ فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس.

قال ابن إسحاق: وعِكْرِمة بن أبي جهل، وهُبَيرة بن أبي وهْب المخزوميّان. وضِرار بن الخطّاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فِهْر، تلبّسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة، فقالوا: تهيّئوا يا بني كِنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنِق[2] بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إنّ هذه لمَكيدة ما كانت العرب تكيدها[3].

سلمان يشير إلى حفر الخندق: قال ابن هشام: يقال: إنّ سلمان الفارسيّ أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منّا؛ وقالت الأنصار: سلمان منّا، فقال رسولُ الله ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٧٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، نهاية الأرب ١٧/١٧٢، ١٧٣.
(٢) تُعنق: تسرع.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٧٣، ٥٧٤، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤/١/٥٩، والحاكم في المستدرك ٣/٥٩٨. كلاهما=

عليّ يقتل عمرو بن عبد ودّ: **قال ابن إسحاق:** ثم تيمّموا مكاناً ضيّقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السَّبْخة بين الخندق وسَلْع، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُعْنِق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِماً[1] ليُرى مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال؛ من يبارز؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنكَ قد كنتَ عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلَّتين إلاّ أخذتها منه، قال له: أجل؛ قال له عليّ: فإنّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك؛ قال فإنّي أدعوك إلى النزال؛ فقال له: لِمَ يا بن أخي؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك، قال له عليّ: لكنّي والله أحبّ أن أقتلك؛ فَحَمِي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليّ رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت على الخندق هاربة[2].

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَرَ الحِجارةَ من سَفاهةِ رأيهِ ... ونَصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصَوابي[3]

فصَدَدْت حين تركْته متجدّلا[4] ... كالجِذْع بين دكادكٍ ورَوابي[5]

وعَفَفْت عن أثوابه ولو أنني ... كنتُ المُقَطَّر بَزَّني أثوابي[6]

لا تَحْسِبُنّ الله خاذل دِينه ... ونبّيه يا معشر الأحزاب[7]

= من طريق: ابن أبي فديك، عن كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، وقال الذهبي: سنده ضعيف. (سير أعلام النبلاء ١/٥٤٠).

(١) مُعْلِماً: له علامة يُعرف بها.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) الحجارة: الأنصاب التي كانت تعبدها قريش.

(٤) في تاريخ الإسلام (المغازي): «نازلته فتركته متجدّلاً».

(٥) الدكادك: الرمال اللينة.

(٦) المُقَطّر: الذي وقع على قطره وهو جنبه. وبزّني: سلبني.

(٧) في تاريخ الإسلام ثلاثة أبيات، وكذا في البدء والتاريخ ٤/٢١٨.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعليّ بن أبي طالب.

هجاء حسّان لعِكْرِمة: قال ابن إسحاق: وألقى عِكرِمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو؛ فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فرّ وألقى لنا رُمْحَه لعلّك عِكْرَم لم تَفعلِ
وولّيْتَ تعدو كعدْوِ الظليم[1] ما إنْ تَجُور عن المَعْدِلِ
ولم تلق ظهرَك مُستأنِساً كأن قَفاك قفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام: الفُرْعُل: صغير الضباع، وهذه الأبيات له.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قُرَيظة: حمَ،لا يُنصرون.

استشهاد سعد بن مُعاذ: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو ليلى عبدالله بن سهل بن عبدالرحمن بن سهل الأنصاريّ، أخو بني حارثة: أنّ عائشة أم المؤمنين كانت في حصْن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن مُعاذ معها في الحصن؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمرّ سعد وعليه درع له مقلّصة[2]، قد خرجت منها ذراعه كلّها، وفي يده حربته يرفل[3] بها ويقول:

لبِّث قليلاً يشهدِ الهيجا جَمَل[4] لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

قال: فقالت له أمّه: الحق: أي ابني، فقد والله أخَّرْتَ؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أمّ سعد، والله لودِدْت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي؛ قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرُمي سعد بن مُعاذ بسهم، فقطع منه الأكحل[5]، رماه كما حدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، حبّان بن

---

(١) الظليم: ولد النعام.

(٢) مقلّصة: قصيرة ارتفعت عن حدّها.

(٣) يرفل: يجرّ ذيله ويتبختر. وفي تاريخ الطبري ٢/ ٥٧٥ «يَرْقد».

(٤) جمل: اسم رجل.

(٥) الأكحل: عِرْق في وسط الذراع.

قيس بن العَرِقة[1]، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، فلما أصابه، قال: خذها منّي وأنا ابن العَرِقة؛ فقال له سعد: عرّق الله وجهك في النار، اللهمّ إنْ كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، اللّهمّ وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تُمِتني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظة[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن عبدالله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلّا أبو أسامة الجُشَمّي، حليف بني مخزوم.

وقد قال أبو أسامة في ذلك شِعراً لعِكْرِمة بن أبي جهل:

أعِكْرِمَ هلّا لُمْتَني إذ تقول لي	فداك بآطام المدينة خالدُ
ألستُ الذي ألزمتُ سعداً مُرشةً	لها بين أثناء المَرافِق عاندُ[3]
قضى نَحْبه منها سُعيد فأعْوَلت	عليه مع الشمط العَذارى النَّواهِد
وأنت الذي دافعت عنه وقد دَعا	عُبيدة جمعاً منهم إذ يُكابد
على حين ما هُم جائر عن طَرِيقه	وآخر مَرْعُوب عن القصْد قاصد

[والله أعلم أيَّ ذلك كان].

قال ابن هشام: ويقال: إنّ الذي رمى سعداً خَفاجة بن عاصم بن حِبّان.

حديث حسّان في وقعة الخندق: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُبير، عن أبيه عبّاد قال: كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارع، حصن حسّان بن ثابت قالت: وكان حسّان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان. قالت صفيّة؛ فمرّ بنا رجل من يهود، فجعل يُطيف

---

(1) العَرِقة هي: قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تُكنّى أم فاطمة، سُمّيت العرِقة لطيب ريحها. (الروض الأنف ٣/ ٢٨٠).

(2) تاريخ الطبري ٢/ ٥٧٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(3) مُرِشة: يريد طعنة مرشة؛ أي فجّرت منه رشاش الدم. والعاند: العِرْق الذي لا ينقطع دمه.

بالحصن، وقد حاربت بنو قُرَيظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا ورسولُ الله ﷺ والمسلمون في نحور عدّوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ. قالت: فقلت: يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يغفر الله لك يابنة عبدالمطّلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجزت[1] ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسَلبه من حاجة يابنة عبدالمطّلب[2].

خداع نُعَيم للمشركين: قال ابن إسحاق: وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدّة، لتظاهُر عدوّهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إنّ نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيْف بن ثعلبة بن قُنْفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّي قد أسلمت، وإنّ قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْني بما شئت؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنّما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإنّ الحرب خُدعة»[3]. فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بني

---

(١) احتجزت: شدّت وسْطها.

(٢) محمل هذا الحديث عند الناس على أنّ حسّاناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء، وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، ولو صحّ هذا لهُجي به حسّان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزِّبَعْرى، وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردّون عليه، فما عيّره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به، فدلّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فربما كان حسّان معتلاً في ذلك اليوم بعلّة منعته من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول. (الروض الأنف ٣/٢٨١) وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٧٧، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٣) حديث الحرب خدعة أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ٤/٢٤ باب الحرب خدعة، من طريق معمر، عن همّام بن منبّه، عن أبي هريرة، ومن طريق صدقة بن الفضل، عن ابن عُيينة، عن عمرو، عن جابر بن عبدالله. وأخرجه في كتاب المناقب ٤/١٧٩ باب علامات النبوّة=

قُرَيظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قُرَيظة، قد عرفتم ودّي إيّاكم، وخاصّة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمُتّهَم؛ فقال لهم إنّ قريشاً وغَطَفان ليسوا كأنتم، والبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره، وإنّ قريشاً وغَطَفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة[1] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرتَ بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلّغكُموه، نُصحاً لكم فاكتموا عنّي، فقالوا: نفعل: قال: تعلموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنّا قد ندِمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغَطَفان رجالاً من أشرافهم فنُعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل اليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

= في الإسلام. وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة (١٥٤/١٠٦٦) باب التحريض على قتل الخوارج، وفي كتاب الجهاد والسير (١٧/١٧٣٩) و(١٨/١٧٤٠) باب جواز الخداع في الحرب. وأبو داود في كتاب الجهاد (٢٦٣٦) و(٢٦٣٧) باب المكر في الحرب . وفي كتاب السُّنّة (٤٧٦٧) باب في قتال الخوارج. وابن ماجة في كتاب الجهاد (٢٨٣٣) باب الخديعة في الحرب، و(٢٨٣٤)، والدارمي في كتاب السير، باب (١٣)، وأحمد في المسند ٨١/١ و٩٠ و١١٣ و٢٦ أو ١٣١ و١٣٤ و٣١٢/٢ و٣١٤ و٢٢٤/٣ و٢٩٧ و٣٨٠ و٣٨٧/٦، والبدء والتاريخ ٢١٩/٤.

(١) النهزة: الفرصة.

ثم خرج حتى أتى غَطَفان، فقال: يا معشر غَطَفان، إنّكم أصلي وعشيرتي، وأحبّ الناس إليّ، ولا أراكم تتّهموني؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتّهم: قال: فاكتموا عنّي؛ قالوا: نفعل، فما أمرك؟، ثم قال لهم ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم.

ما أنزل الله بالمشركين: فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صُنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غَطَفان إلى بني قُرَيظة عِكرِمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغَطَفان، فقالوا لهم: إنّا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخُفّ والحافر[1]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم: إنّ اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نفعل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنّا نخشى إنْ ضرّستكم[2] الحرب، واشتدّ عليكم القتال أن تنشمروا[3] إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قُرَيْظة، قالت قريش وغَطَفان: والله إنّ الذي حدّثكم نُعيم بن مسعود لَحَقّ، فأرسَلوا إلى بني قُرَيظة: إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قُرَيظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نُعيم بن مسعود لَحَقّ، ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغَطَفان: إنّا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتَطْرح أبنيتهم.

---

(١) الخف: الإبل. والحافر: الخيل.
(٢) ضرّستكم: نالت منكم.
(٣) تنشمرون: ترجعون.

استخبار ما حل بالمشركين: قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحُذَيفة بن اليَمَان؛ يا أبا عبدالله، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحِبْتُمُوه؟ قال: نعم، يا بن أخي؛ قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد؛ قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حُذَيفة: يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلّى رسولُ الله ﷺ هُوِيًّا[2] من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسولُ الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة»؟ فما قام رجل من القوم، من شدّة الخوف، وشدّة الجوع، وشدّة البرد؛ فلما لم يقم أحد، دعاني رسولُ الله ﷺ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني؛ فقال: «يا حُذيفة اذهب فادخل مع القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحْدثَن شيئاً حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان. فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ مَن جليسه؟ قال حُذَيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

أبو سفيان ينادي بالرحيل: ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكراع والخفّ[3]، وأخْلَفَتْنا بنو قُرَيظة، وبَلَغَنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون، ما تطمئنّ لنا قِدْر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحِلوا فإنّي مرتحل؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٧٨، ٥٨٩، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) هويًا من الليل: جزءاً منه.

(٣) الكراع: الخيل. الخف: الإبل.

أطلق عقاله إلّا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ «أن لا تُحدِث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت، لقتلته بسهم.

قال حُذَيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلّي في مِرْط[1] لبعض نسائه، مراجل[2].

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشْي اليمن.

فلما رآني أدخلني إلى رِجْليه، وطرح عليّ طرف المِرْط، ثم ركع وسجد، وإنّي لفيه، فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعت غَطَفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[3].

الرجوع من الخندق: قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمين، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قُرَيْظة في سنة خمس[4]

جبريل يأتي بحرب بني قُرَيظة: فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ، كما حدّثني الزُهْريّ، معتجراً[5] بعمامة من إسْتبرق[6]، على

---

(١) المِرْط: كساء من صوف أو خزّ.

(٢) مراجل: المرجّل كمعظّم، المعلّم من البُرود والثياب، وبُرْد مرجّل فيه صُوَر كصُوَر الرجال. والمرحّل (بالحاء) ضَرْب من بُرود اليمن سُمّي مرحّلاً لأنّ عليه تصاوير رحل، ومِرْط مرحّل عليه تصاوير الرجال.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٠، ٥٨١، تفسير الطبري ٢١/٨٠، ٨١، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٥٨١ ـ ٥٩٣، المغازي لعروة ١٨٦ ـ ١٨٩، الدرر ١٨٩، جوامع السيرة ١٩١، المغازي للواقدي ٢/٤٩٦ ـ ٥٣١، الطبقات الكبرى ٢/٧٤ ـ ٧٨، أنساب الأشراف ١/٣٤٧، ٤٨ رقم ٧٣٣، المحبّر ١١٣، البدء والتاريخ ٤/٢١٩، الكامل في التاريخ ٢/١٨٥ ـ ١٨٧، عيون الأثر ٢/٦٨ ـ ٧٨، مجمع الزوائد ٦/١٣٠ ـ ١٤٢، مرآة الجنان ١/ ٩، ١٠، سيرة ابن كثير ٣/٢٢٣ ـ ٢٦٠، عيون التواريخ ١/٢٠٦ ـ ٢١١، نهاية الأرب ١٧/١٨٦ ـ ١٩٧، صحيح البخاري ٥/٤٩ ـ ٥١، تاريخ الإسلام (المغازي).

وبنو قريظة: فخذ من جذام إخوة النضير، ويقال إنّ تهوّدهم كان في أيام عاديا أي السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنُسبوا إليه. (تاريخ اليعقوبي ٢/٥٢).

(٥) الاعتجار: التعمّم على الرأس فقط دون جوانب الوجه.

(٦) الاستبرق: الديباج الغليظ الصفيق الحسن.

بغلة عليها رحالة[1]، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم»؛ فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلّا من طلب القوم، إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قُرَيظة، فإنّي عامد إليهم فمُزلزِلٌ بهم[2].

فأمر رسولُ الله ﷺ مؤذّناً، فأذّن في الناس، من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلّين العصر إلّا ببني قُرَيْظة[3].

واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام.

عليّ يبلّغ الرسول ما سمعه من بني قُريظة: قال ابن إسحاق: وقدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب برايته إلى بني قُرَيْظة، وابتدرها الناس. فسار عليّ بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: «لِمَ؟ أظنّك سمعت منهم لي أذىً»؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً». فلما دنا رسولُ الله ﷺ من حصونهم. قال: «يا إخوان القِردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً[4].

جبريل في صورة دحية الكلبيّ: ومرّ رسولُ الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصَّوْرين[5] قبل أن يصل إلى بني قُرَيظة، فقال: «هل مرّ بكم أحد»؟ قالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دِحية بن خليفة الكلبيّ، على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج. فقال رسولُ الله ﷺ: «ذلك جبريل، بُعث إلى بني قُرَيظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم»[6].

---

(١) الرحالة: السرج.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٨١.

(٣) أخرج البخاري في كتاب المغازي (٥/٤٩، ٥٠) باب مرجع النبيّ ﷺ من الأحزاب، ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٦٩) باب جواز قتال من نقض العهد. بنحوه.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٨٢، وانظر مسند أحمد ٦/١٤١، ١٤٢.

(٥) الصورين: موقع قريب من المدينة.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٨٢.

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قُريظة؛ نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا[1].

قال ابن هشام: بئر أنيّ.

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلُّوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلّين أحد العصر إلاّ ببني قُرَيظة»، فشغلهم ما لم يكن منه بدّ في حربهم، وأبوا أن يصلّوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قُرَيظة». فصلُّوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عنّفهم به[2] رسولُ الله ﷺ.

---

(١) أنا: مثل «هنا» أو مثل «حتى» أو بكسر النون المشدّدة، ويروى بموحّدة بدل النون. من آبار بني قريظة. (معجم البلدان).

(٢) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، فقد صلّت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس، وقالوا: لم يرد النبيّ - ﷺ - إخراج الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحداً من الفريقين، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً، فإنه قال سبحانه: ﴿ففهّمناها سليمان، وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ ولا يستحيل ان يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره، فيكون من اجتهد في مسألة فأدّاه اجتهاده إلا التحليل مصيباً في استحلاله؛ وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره الى تحريمها، مصيباً في تحريمها، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين: الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علّقوا الأحكام بالنصوص، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ، وأما المعتزلة، فإنهم علّقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه؛ فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين، فاستحال عندهم ان يتصف فعل بالحسن في حق زيد والقبح في حق عمرو، كما يستحيل ذلك في الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان، وإنما هي صفات أحكام، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده الى الحظر، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة، كلها صفات أحكام. فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفّع به عن حضيض التقليد الى هضبة النظر، فهو مصيب في اجتهاده مصيب في الحكم الذي تعبد به، وإن تعبّد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبّد هو به؛ فلا يعد في ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق. (الروض الأنف ٢٨١/٣، ٢٨٢).

حدّثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يَسار، عن مَعْبَد بن كعب بن مالك الأنصاريّ[1].

الحصار: قال: وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حُيَيّ بن أخطب دخل مع بني قُرَيظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغَطَفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه[2].

كعب بن أسد ينصح قومه: فلما أيقنوا بأنّ رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبيّ مُرْسَل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم على هذه، فهلُمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصْلِتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقَلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فان نَهلك نهلِك، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فَلَعَمْري لنجدنّ النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فإنّ الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنونا فيها، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة؛ قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونُحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلاّ من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً[3].

قصة أبي لُبابة: قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٢.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٨٣.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٣، ٥٨٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

أبا لُبابة[1] بن عبد المنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسولُ الله ﷺ إليهم؛ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش[2] إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقَّ لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذَّبح. قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قُرَيظة أبداً، ولا أُرَى في بلدٍ خنت الله ورسوله فيه أبداً[3].

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لُبابة، فيما قال سفيان بن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله بن أبي قَتادة: **﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا الله والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[4].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُه، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أُطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه[5].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيد بن عبدالله بن قُسيط: أنّ توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر، وهو في بيت أمّ سَلَمة. فقالت أمّ

---

(١) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل: اسمه مبشر، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه، وذكر فيه أنه أقسم ألاّ يحلّه إلاّ رسول الله ﷺ، وفيه: أنزل الله تعالى: ﴿وآخرُونَ اعْتَرفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً﴾، غير أنّ المفسّرين اختلفوا في ذنبه ما كان، فقال ابن إسحاق ما ذَكره في السيرة من إشارته على بني قُرَيظة، وقال آخرون: كان من المخلّفين الذين تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية. (الروض الأنف ٣/٢٨٢).

(٢) في تاريخ الطبري «بهش» أي خفّ إليه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٤، ٥٨٥.

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٢٧.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، التفسير ٢١/٩٦.

سَلَمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك. قالت: فقلت: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سِنَّك؛ قال: «تِيب على أبي لُبابة»؛ قالت: قلت: أفلا أبشِّره يا رسول الله! قال: «بلى، إن شئتِ». قال: فقامت على باب حُجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لُبابة، أبشِرْ فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليُطْلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده؛ فلما مرّ عليه رسولُ الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه[1].

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجذع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأته في كلّ وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدّثني بعض أهل العلم، والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَآخَرُون اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَىٰ الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

إسلام بعض بني هَدْل: قال ابن إسحاق: ثم إنّ ثعلبة بن سَعية، وأُسَيْد بن سَعية، وأسد بن عُبيد، وهم نفر من بني هَدْل، ليسوا من بني قُريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عمّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله ﷺ[3].

قصّة عمرو بن سُعْدَى: وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعْدَى القُرَظيّ، فمرّ بحرَس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سُعْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُرَيظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلّى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى بابَ مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) سورة التوبة - الآية ١٠٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

تلك الليلة، ثم ذهب فلم يُدر[1] أين توجّه من الأرض إلى يومه هذا، فذُكر لرسول الله ﷺ شأنه؛ فقال: «ذاك رجل نجّاه الله بوفاته». وبعض الناس يزعمون أنه كان أُوثق برُمَّة[2] فيمن أُوثق من بني قُرَيظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رُمَّته مُلقاة، ولا يُدرى أين ذهب؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أيَّ ذلك كان[3].

تحكيم سعد في أمر بني قُريظة: قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت ـ وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُريظة قد حاصر بني قَيْنُقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، فوهبهم له ـ فلما كلّمته الأوس قال رسولُ الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم»؟ قالوا: بلى؛ قال رسولُ الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بن مُعاذ». وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد بن مُعاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رُفَيْدة[4]، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضَيعة من المسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رُفَيْدة حتى أعوده من قريب». فلما حكّمه رسولُ الله ﷺ في بني قُرَيظة، أتاه قومه فحملوه على حمار وطّئوا له بوسادة من أدَمٍ وكان رجلًا جسيماً جميلًا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنّ رسول الله ﷺ إنّما ولّاك ذلك لتُحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أنَى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعَى لهم رجال بني قُرَيظة، قبل ان يصل إليهم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٥٨٦«فلا يُدْرى».
(٢) الرمة: الحبل البالي.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٦.
(٤) وقيل إنها أنصارية من أسلم.

سعد، عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «قوموا الى سيّدكم» - فأما المهاجرون من قريش، فيقولون: إنّما أراد رسولُ الله ﷺ الأنصار؛ وأما الأنصار، فيقولون: قد عمّ بها رسولُ الله ﷺ - فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد بنُ معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أنّ الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم: وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له؛ فقال رسولُ الله ﷺ نعم؛ قال سعد: فإنّي أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتُقسّم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء[1].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بنُ معاذ، عن علقمة بن وقّاص اللّيثي، قال: قال رسولُ الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[2].

قال ابن هشام: حدّثني بعض من أثق به من أهل العلم: أنّ عليّ بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قُرَيظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدّم هو والزُّبير ابن العوّام، وقال: والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة أو لأفتحنّ حصنهم؛ فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن مُعاذ.

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسولُ الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث[3]، امرأة من بني النّجار، ثم خرج رسولُ الله ﷺ الى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يُخرج بهم إليه أرسالاً[4]، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٧ - ٥٨٨.
(٢) الأرقعة: السماوات. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٥٨٨ وانظر الروض الأنف ٣/٢٨٣.
(٣) واسمها: كَيِّسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس، وكانت تحت مُسيلمة الكذّاب، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز. (الروض الأنف ٣/٢٨٣).
(٤) أرسالاً: طائفة وراء أخرى.

يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة. وقد قالوا لكعب بن اسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كلّ موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذُهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسولُ الله ﷺ[1].

وأُتي بحُيَيّ بن أخطب عدوّ الله، وعليه حُلّة له فقّاحية[2] ـ قال ابن هشام: فقّاحية: ضرب من الوشي ـ قد شقّها عليه من كلّ ناحية قدر أنملة لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه الى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنّه من يَخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عُنقه.

فقال جبل بن جوّال الثعلبيّ:

لَعَمْرُكَ ما لامَ ابنُ أخطَبَ نفسه	ولكنّه من يخذل الله يُخذَل
لَجاهَدَ حتى أبلغ النّفس عُذرَها	وقَلْقَل يبغي العِزّ كلَّ مُقَلْقَلِ[3]

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محمد بن جعفر بن الزُبير، عن عُروة، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدّث معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسولُ الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت لها: ويلك؛ مالك؟ قالت: أقتل؛ قلت: ولِم؟ قالت: لَحدث أحدثته؛ قالت: فانْطُلِق بها، فضربت عنقها: فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها، طِيبَ نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٨.

(٢) فقّاحية: تضرب الى لون الحُمْرة.

(٣) قلقل: تحرك. والخبر والبيتان في تاريخ الطبري ٢/٥٨٨، ٥٨٩، وتاريخ الاسلام.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٨٩، تاريخ الاسلام.

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرّحا على خلّاد بن سُويد، فقتلته.

قصة الزّبير بن باطا: قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشمّاس، كما ذكر لي ابن شهاب الزُهْرَيّ، أتى الزّبير[1] بن باطا القُرَظيّ، وكان يُكنّى أبا عبد الرحمن ـ وكان الزُبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شمّاس في الجاهلية ذكر لي بعض ولد الزُبير أنه كان منّ عليه يوم بُعاث، أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله ـ فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؛ قال: إنّي قد أردت أن أجزيك بيدك عندي؛ قال: إنّ الكريم يجزي الكريم: ثم أتى ثابتُ بن قيس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزُّبير عليّ مِنّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «هو لك»؛ فأتاه فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، فهو لك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسولَ الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، هب لي امرأته وولده؛ قال: «هم لك». قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسولُ الله ﷺ أهلك وولدك، فهم لك. قال: أهل بيت الحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله؛ قال: «هو لك». فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك، فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأنّ وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عَذارَى الحيّ، كعب بن أسد؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخطب؟ قال: قُتل؛ قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عزّال بن سموأل؟ قال: قُتل: قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُرَيظة وبني عمرو بن قُريظة؛ قال: ذهبوا قُتلوا؟قال: فإنّي أسألك يا ثابت بيدي عندك إلّا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في

---

(١) هو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جدّ الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطّأ في كتاب النكاح، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن، فقيل: الزبير بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جدّه وقيل الزُّبير، وهو قول البخاري في التاريخ. (الروض الأنف ٣/٢٨٤).

العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فتلة[1] دلْو ناضح[2] حتى ألقى الأحبّة. فقدّمه ثابت، فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصّدّيق قوله «ألقى الأحبة». قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلّداً[3].

قال ابن هشام: قَبْلة دلْو ناضح. قال زُهير بن أبي سُلْمى في «قَبْلة»:

وقـابـل يـتغـنّـى كـلّمـا قَـدَرَتْ　　على العَـرَاقي يداه قـائمـاً دَفَقـا

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: ويُروى: وقابل يتلقّى، يعني قابل الدلْو يتناول.

عُطية القُرظي ورفاعة بن سَمَوْأل: **قال ابن إسحاق:** وكان رسولُ الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني شُعبة بن الحَجّاج، عن عبد الملك بن عُمير، عن عطيّة القُرَظيّ، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قُرَيظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاماً، فوجدوني لم أُنْبت، فخلّوا سبيلي.

قال ابن إسحاق: وحدّثني أيّوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة أخو بني عديّ بن النجّار: أنّ سُلْمى بنت قيس، أم المنذر أخت سُلَيط ابن أخت سُليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلّت معه القِبلتين، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعة بن سَمَوْأل القُرَظيّ، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي، هب لي رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلّي ويأكل لحم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٥٩٠ «قَبْلة». قال أبو ذر الخشني: «ومن رواه قبلة بالقاف والباء، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبّها في الحوض ثم يصرفها، وهذا كله لا يكون الا عن استعجال وسرعة».

(٢) الناضح: الحبل. والمعنى مقدراً ما يأخذ الرجل الدّلْو ليصبّها في الحوض.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٨٩، ٥٩٠.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٩١.

الجمل؛ قال: فوهبه لها، فاستحيته[1].

تقسيم الفَيْء: قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ قسّم أموال بني قُرَيظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سُهمان الخيل وسُهمان الرجال، وأخرج منها الخُمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قُرَيظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فَيْء وقعت فيه السُّهمان، وأخرج منها الخُمس، فعلى سُنّتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السُّنّة في المغازي[2].

ثم بعث رسولُ الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاريّ أخا بني عبد الأشهل سبايا من سبايا بني قُريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

إسلام رَيْحانة: قال: وكان رسولُ الله ﷺ قد أصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قُرَيظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفّي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسولُ الله ﷺ عرض عليها أن يتزوّجها، ويضرب عليها الحجاب؛ فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخفّ عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصّت[3] بالاسلام، وأبت إلاّ اليهودية، فعزلها رسولُ الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينا هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه؛ فقال: إنّ هذا لثعلبة بن سَعية يبشّر باسلام رَيْحانة؛ فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسلمت رَيْحانة، فسرّه ذلك من أمرها[4].

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قُرَيظة: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قُرَيظة من القرآن، القصة في الأحزاب،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٩١.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٩١.
(٣) تعصّت: أي عصت.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٩٢، تاريخ الاسلام.

يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرّج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكم إذ جاءَتْكُم جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا، وكانَ الله بما تَعْمَلُونَ بَصيراً﴾. والجنود قريش وغَطَفان وبنو قُرَيظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إذْ جَاءُوكُم من فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُم، وإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ، وتَظُنّونَ بالله الظّنُونا﴾. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُرَيْظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغَطَفان. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُنالِكَ ٱبتُلِيَ ٱلمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَإذْ يَقُولُ ٱلمُنَافِقُونَ وَالّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا الله وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُوراً﴾ لقول مُعَتّب بن قُشير إذ يقول ما قال.

﴿وإذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فارْجِعُوا وَيَسْتَأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيّ يَقُولُون إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ومَا هِيَ بِعَوْرَة إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِراراً﴾ لقول أوس بن قَيْظي ومَن كان على رأيه من قومه ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطَارِهَا﴾: أي المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب؛ وواحدها: قطر، وهي الأقتار، وواحدها؛ قتر.

قال الفرزدق:

كم من غنىً فتح الإلـه لهم بـه ... والخيل مقعية على الأقطار[1]

ويُروى: «على الأقتار». وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا ٱلفِتْنَة﴾: أي الرجوع الى الشرك ﴿لآتَوْها وَمَا تَلَبَّثُوا بها إلاّ يَسيراً. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا الله مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ ٱلأدْبَارَ، وكَانَ عَهْدُ الله مَسْئُولاً﴾، فهم بنو حارثة، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أُحُد مع بني سَلِمة حين همّتا بالفشل يوم أُحُد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً، فذكر

(١) مقعية: أي ساقطة على أجنابها تريد القيام.

لهم الـذي أعطوا من أنفسهم، ثم قـال تعـالى: ﴿قُـلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفـرارُ إنْ فَـرَرْتُم من ٱلمَوْتِ أو ٱلقَتْـلِ، وَإذا لا تُمَتَّعُـونَ إلاّ قليـلاً. قُـلْ من ذا ٱلـذي يَعْصِمُكُمْ مِنَ الله إن أرادَ بكُم سُـوءاً، أوْ أرادَ بِكُمْ رَحْمَـةً، ولا يَجِـدُون لَهُمْ مِنْ دُون الله وَلِيّـاً ولا نَصِيراً. قَـدْ يَعْلَمُ الله المُعَوِّقين مِنْكُمْ﴾: أي أهـل النفاق ﴿وٱلقـائِلينَ لإخوانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنَـا، ولا يَأتُـونَ ٱلبأسَ إلاّ قليـلاً﴾: أي إلاّ دفعاً وتعذيراً[1] ﴿أشِحّة عَلَيْكُم﴾: أي للضغن الذي في أنفسهم ﴿فإذا جَاءَ الخَوْفُ رَأيْتَهُم يَنْظُرُونَ إليْكَ، تَـدُورُ أعْيُنُهُم كالَّـذي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلمَـوْتِ﴾: أي إعظاماً له وفَرَقـاً منه ﴿فـإذا ذَهَبَ ٱلخَوْفُ سَلَقُـوكُم بألسِنَـةٍ حِدَادٍ﴾[2]: أي في القـول بما لا تحبّـون، لأنهم لا يـرجـون آخـرة، ولا تحملهم حسْبـة[3]، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

قال ابن هشام: سلقـوكم: بالغـوا فيكم بالكـلام، فأحـرقوكم وآذوكم. تقول العرب: خـطيب سلاّق، وخـطيب مسلق ومسلاق. قال أعشى بني قيس ابن ثعلبة:

فيـهـم الـمـجـد والـسـمـاحـة ... والنّجـدة فيهم والخـاطب السـلاق

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحسَبُونَ ٱلأحْزابَ لَم يَذْهَبُوا﴾ قريش وغَطفـان ﴿وإنْ يَأتِ ٱلأحْـزابُ يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ في الأعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فيكُمْ ما قَاتَلوا إلاّ قليلاً﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وٱليَوْمَ الآخِرَ﴾: أي لئلاّ يـرغبوا بـأنفسهم عن نفسه. ولا عن مكانٍ هو به.

ثم ذكـر المؤمنين وصـدقهم وتصـديقهم بمـا وعـدهم الله من البـلاء

---

(١) التعذير: أن يفعل الشيء بغير نيّة وغرضه أن يُعذر أمام الناس.

(٢) سورة الأحزاب ـ من الآية ٩ ـ ١٩.

(٣) الحسبة: طلب الأجر.

يختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُوا هٰذا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ الله وَرَسُولُه، وما زَادَهُمْ إلاّ إيْماناً وَتَسْليماً﴾: أي صبراً على البلاء وتسليماً للقضاء، وتصديقاً للحقّ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْه، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾[1]: أي فرغ من عمله، ورجع الى ربِّه، كمن استُشهد يوم بدر ويوم أُحُد.

قال ابن هشام: قضى نحبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرني أبو عُبيدة وجمْعه: نحوب. قال ذو الرّمّة:

عشيّة فرّ الحارثيّون بعدما ... قضى نحبه في مُلتقى الخيل هوْبر

وهذا البيت في قصيدة له. وهَوْبر: من بني الحارث بن كعب، أراد: يزيد بن هَوْبر. والنّحب أيضاً: النذر. قال جرير بن الخَطَفي:

بطِخْفَةَ جالَدْنا الملوكَ وخيلُنا ... عَشِيّةَ بسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول: على نذْر كانت نذرت أن تقتله فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له. وبسطام: بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، وهو ابن ذي الجدّين. حدّثني أبو عُبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار: وطِخْفَة: موضع بطريق البصرة.

والنحب: الخِطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:

وإذ نَحَبَتْ كلْبٌ على الناس أيُّنا ... على النَّحْب أعطى للجزيل وأفضلُ

والنّحْب: البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب: الحاجة والهمّة؛ تقول: مالي عندهم نحب. قال مالك بن نُويرة اليَرْبوعيّ:

ومالِيَ نَحبٌ عندَهم غير أنّني ... تلَمّست ما تَبْغي من الشُّدُن الشُّجْر[2]

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية ٢٠ حتى بعض الآية ٢٣.

(٢) الشُدُن: الإبل الشدنية منسوبة الى شُدُن بلدة باليمن. الشُجْر: التي في أعينها حُمرة.

وقال نهار بن توسعة، أحد بني تَيْم اللاّت بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هؤلاء موالي بني حنيفة:

ونجّى يوسفَ الثقفيّ رَكضٌ دِراكٌ[1] بعد ما وَقَع اللّواء
ولو أدركْنَه لَقَضَيْن نَحْباً به ولكُلّ مُخْطأةٍ وقاء

والنَّحبْ أيضاً: السير الخفيف المَرّ.

قال ابن إسحاق: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: أي ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بدَّلُوا تَبْديلاً﴾: أي ما شكّوا وما تردّدوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿لِيَجْزِيَ الله الصّادقينَ بصدْقِهِمْ، وَيُعَذِّبَ ٱلمُنافِقِينَ إنْ شاءَ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَحيماً. وَرَدَّ الله الذَينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾: أي قريشاً وغَطَفان ﴿لَمْ يَنالُوا خَيْراً، وكَفَى الله ٱلمؤمِنينَ القِتَالَ وكَانَ الله قَوِيّاً عَزِيزاً. وأنْزَلَ ٱلذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ ٱلكِتابِ﴾: أي بني قُريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾[2]، والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيم عبد بني الحَسْحاس؛ وبنو الحسْحاس من بني أسد بن خُزَيمة:

وأصبحت النّيران صرعى وأصبحت نساء تميم يبتدرْن الصّياصيا

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي: القرون. قال النابغة الجَعديّ:

وسادَةَ رَهْطِيَ حتى بَقيـ ـتُ فرْداً كصِيصَيةِ الأعْضَبِ[3]

يقول: أصاب الموت سادة رَهْطي. وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو داود الإيادي:

---

(١) دراك: متتابع.
(٢) سورة الأحزاب ـ من بعض الآية ٢٣ حتى بعض الآية ٢٦.
(٣) الأعضب: مكسور القرن.

فَذَعَرنا سُحْم الصَّياصي بأيديـ ـهنّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقارُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: الشوك الذي للنسّاجين، فيما أخبرني أبو عُبيدة. وأنشدني لدُرَيْد بن الصّمّة الجُشَميّ، جُشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن:

نظرتُ إليه والرماح تنوشُهُ كوقع الصّياصي في النسيج الممدّد

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضاً: التي تكون في أرجل الدِيَكة ناتئة كأنها القرون الصغار، والصياصيّ أيضاً: الأصول. أخبرني أبو عُبيدة أنّ العرب تقول: جذّ الله صيصيّته: أي أصله.

قال ابن إسحاق: ﴿**وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً**﴾: أي قتل الرجال، وسبي الذّراري والنساء، ﴿**وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ودِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها**﴾: يعني خيبر ﴿**وكَانَ الله عَلى كُلّ شَيْء قديراً**﴾[2].

إكرام سعد في موته: قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قُرَيظة انفجر بسعد بن مُعاذ جرحه، فمات منه شهيداً[3].

قال ابن إسحاق: حدّثني مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقي، قال: حدّثني من شئت من رجال قومي: أنّ جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستَبْرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء، وأهتزّ له العرش[4]؟ قال: فقام

---

(١) السحم: السود. الصياصي: القرون. الكحيل القطران. القار: الزفت.

(٢) سورة الأحزاب ـ من بعض الآية ٢٦ والآية ٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٩٢، سير أعلام النبلاء ١/٢٨١.

(٤) حديث أهتزاز العرش ثابت من وجوه وفي بعض الفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء واهتزّ له العرش؟ وفي حديث آخر قال عليه السلام: لقد نزل لموت سعد بنُ مُعاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها، ويُذكر أنّ قبرهُ وُجد منه رائحة المسك، وقال عليه السلام: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد». =

رسولُ الله ﷺ سريعاً يجرّ ثوبه الى سعد، فوجده قد مات[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عَمرة بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أُسَيْد بن حُضَير، فلقيه موت امرأة له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمّك، وقد اهتزّ له العرش.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن الحسن البَصْريّ، قال: كان سعد رجلًا بادنًا، فلما حمله الناس وجدوا له خفّة، فقال رجال من المنافقين: والله إنْ كان لبادناً، وما حملنا من جنازة أخفّ منه، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «إن له حَمَلَة غيركم، والذي نفسي بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتزّ له العرش»[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني مُعاذ بن رفاعة، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجَمُوح، عن جابر بن عبدالله، قال: لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ، سبّح رسولُ الله ﷺ، فسبّح الناس معه، ثم كبّر فكبّر الناس

= وقد تكلّم الناس في معناه، وظنّوا أنه مشكِل، وقال بعضهم: الاهتزاز ها هنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه، وقال بعضهم: يريد حَمَلَة العرش ومن عنده من الملائكة، استبعاداً منهم لأن يهتزّ العرش على الحقيقة، ولا بُعد فيه، لأنه مخلوق وتجوز عليه الحركة، والهزّة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ، ما وجد إليه سبيل، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح، قال أبو عمر: هو ثابت من طرق متواترة، وما رُوي من قول البراء بن عازب في معناه: أن سرير سعد اهتزّ لم يلتفت إليه العلماء، وقالوا: كانت بين هذين الحيّين من الأنصار ضغائن. وفي لفظ الحديث: اهتزّ عرش الرحمن، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر، منهم أبو سعيد الخُدْريّ، وأُسَيد بن حُضير؛ ورُمَيثة بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذي. والعجب لما رُوي عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث، وكراهيته للتحدّث به مع صحة نقله، وكثرة الرواة له، ولعلّ هذه الرواية لم تصح عن مالك. (انظر الروض الأنف ٣/٢٨٣ وما بعدها).

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٢) تاريخ الاسلام (المغازي). والحديث فيه انقطاع وجهالة.

معه؛ فقالوا: يا رسول الله، مِمّ سبّحت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرّجه الله عنه»[1].

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ للقبرِ لضمّة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن مُعاذ»[2].

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك سَمِعْنا به إلاّ لسعْدٍ أبي عَمْرو

وقالت أمّ سعد، حين أحتُمِل نعشُه وهي تبكيه - **قال ابن هشام**: - وهي كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر، وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج:

وَيْلُ أمّ سعدٍ سعداً صرامةً وحَدّاً
وسُودداً ومجداً وفارساً مُعَدّاً
سُدّ به مَسَدّاً يَقُدُّ هاماً قدّاً

---

(١) معاذ بن رفاعة، وإن خرّج له البخاري، ضعّفه ابن معين، وقال الأسدي: لا يُحتجّ بحديثه.
وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٤٣٢، وأحمد في المسند ٣/٣٢٧ من طريق: محمد بن بشر، حدّثنا محمد بن عمرو، حدّثني يزيد بن عبدالله بن أسامة بن زيد الليثي ويحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة الزرقي، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: لهذا العبد الصالح، الذي تحرّك له العرش، وفتحت له أبواب السماء شدّد عليه، ففرّج الله عنه، وقال مرة: فتحت. وقال مرة: ثم فرّج الله عنه. وقال مرة: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن.

وأخرج أحمد أيضاً ٣/٣٦٠ و٣٧٧ من طريق أبي إسحاق، حدّثني مُعاذ بن رفاعة الأنصاري الزرقي، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوماً الى سعد بن مُعاذ حين توفي قال: فلما صلّى عليه رسول الله ووُضع في قبره، وسُوّي عليه، سبّح رسول الله ﷺ تسبيحاً طويلاً، ثم كبّر فكبّرنا، فقيل: يا رسول الله لِمَ سبّحت ثم كبّرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرّجه الله عزّ وجلّ عنه. وصحّحه الحاكم في المستدرك ٣/٢٠٦ مختصراً، ووافقه الذهبي في تلخيصه. وانظر: سير أعلام النبلاء ١/٢٨٣.

(٢) الحديث رواه عقبة بن مكرم، عن ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سعد بن ابراهيم، عن نافع، عن صفية بنت أبي عبيد، عن عائشة. وإسناده صحيح، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٤٣٠ من طريق شبابة بن سوّار، عن ابي معشر، عن سعيد المقبري.

يقول رسولُ الله ﷺ: «كلّ نائحة تكذب، إلاّ نائحة سعد بن مُعاذ»[1].

الشهداء يوم الخندق: قال ابن إسحاق: ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلاّ ستة نفر.

من بني عبد الأشهل: سعد بن مُعاذ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو، وعبدالله بن سهل. ثلاثة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلِمة: الطُفيل بن النعمان، وثعلبة بن غُنيمة. رجلان.

ومن بني النجّار، ثم من بني دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غرِب، فقتله.

قال ابن هشام: سهمُ غربٍ وسهمٌ غربٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يُعرف من اين جاء ولا من أين مَن رمى به.

قتلى المشركين: وقُتل من المشركين ثلاثة نفر.

من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: منبّه بن عثمان بن عُبيد بن السَّبّاق بن عبد الدّار، أصابه سهم، فمات منه بمكة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أُميّة بن مُنبّه بن عُبيد بن السبّاق.

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبدالله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورّط فيه، فقُتل، فغلب المسلمون على جسده فقال رسولُ الله ﷺ: «لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه»، فخلّى بينهم وبينه.

قال ابن هشام: أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزُهْري.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لُؤَيّ، ثم من بني مالك بن حِسْل:

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٢/٧، ٨ من طريق الفضل بن دكين قال: حدّثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد.

عمرو بن عبد ودّ، قتله عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدّثني الثقة أنه حُدّث عن ابن شهاب الزُّهْريّ أنه قال: قتل عليّ بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ودّ وابنه حِسْل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ودّ، ويقال: عمرو بن عبد.

الشهداء يوم بني قُرَيظة: **قال ابن إسحاق**: واستُشهد يوم بني قُرَيظة من المسلمين، ثم من بني الحارث بن الخزرج: خلّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو، طُرحت عليه رَحًى، فشدخته شدخاً شديداً[1]، فزعموا أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ له لأجر شهيدين»[2].

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان، أخو بني أسد بن خُزَيمة، ورسولُ الله ﷺ محاصرٌ بني قُرَيظة، فدُفن في مقبرة بني قُرَيظة التي يدفنون فيها اليوم، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام[3].

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسولُ الله ﷺ فيما بلغني: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنّكم تغزونهم». فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة[4].

ما قيل من الشِّعر في أمر الخندق وبني قُرَيظة

قال ضرار بن الخطّاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فِهْر، في يوم الخندق:

ومُشفِقة تظنّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسَة طَحُونا[5]
كأنّ زهاءها أُحُد إذا ما ... بدتْ أركانُه للنّاظرينا

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) أنساب الأشراف ١/٢٤٤، ٢٤٥.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٥٩٣، الإصابة ٤/٩٦.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٩٣.
(٥) العرندسة: الشديدة، صفة لموصوف محذوف أي كتيبة.

تـرى الأبـدان فيهـا مُسْبِغَـاتٍ على الأبـطال واليَلَبَ الحصينـا[1]

وجُـرْداً كـالـقِـداح مُسَوَّمـات نَؤُمّ بهـا الغُـواة الخـاطئينـا

كـأنّـهـم إذا صـالُـوا وصُـلْنـا بـبـاب الخَنْـدَقَيْن مُصافِحُـونـا

أُنـاسٌ لا تَـرى فـيهـم رَشيـدا وقـد قـالـوا ألَسْنـا راشـدينـا

فـأحْجَـرنـاهم شهـراً كَـرِيتـاً[2] وكـنّـا فـوقهـم كـالـقـاهـرينـا

نُـراوحُـهُـم ونـغْـدُو كـلَّ يـوم عليهـمْ في السَّـلاح مـدجَّجينـا

بـأيْـديـنـا صـوارِمُ مُـرْهَـفـاتٌ نقـدّ بهـا المفـارق والشئـونـا[3]

كـأنّ وميـضـهـنّ مُـعَـرَّيـات إذا لاحتْ بـأيـدي مُصْلِتينـا[4]

وميض عـقيـقـة لـمعت بليـل تـرى فيهـا العقـائق مستبينـا[5]

فـلولا خَـنْـدَقٌ كـانـوا لـديـه لَـدَمّـرْنـا عليهم أجْمعينـا[6]

ولـكـنْ حـال دونَـهُـم وكـانـوا بـه من خـوفنـا مُـتَـعـوِّذيـنـا

فـإنْ نَـرْحـل فـإنّـا قـد تـركْنـا لـدى أبيـاتكم سعـداً رَهِينـا

إذا جـنّ الـظلامُ سمعتَ نَـوْحى على سعْـد يُـرَجّعْنَ الحنينـا

وسـوف نَـزُوركم عمّـا قـريب كـمـا زُرْنـاكُـمُ مُـتـوازرينـا

بجَمْـعٍ من كِنـانـة غيـر عُـزْلٍ كـأُسْدِ الغابِ قـد حَمَتِ العَرِينا[7]

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سَلمة، فقال:

وسـائلةٍ تُـسـائـل مـا لَـقِـيـنَـا ولـو شَهِـدَتْ أرَتْـنـا صـابـريـنـا

صَـبَـرْنـا لا نـرى لله عِـدْلاً علـى مـا نَـابـنـا مـتـوكّـلـيـنـا

وكـان لـنـا النبيُّ وزيـرَ صِـدْقٍ بـه نـعلو البَـرِيّـة أجـمعينـا

نُـقـاتـل معشـراً ظلمـوا وعـقّـوا وكـانـوا بـالـعداوة مُـرْصـدينـا

---

(١) الأبدان: الدروع. اليَلَب: الدرق.

(٢) كريتاً: كاملاً.

(٣) الشؤون: مجمع عظام الرأس.

(٤) المُصْلت: الذي جرّد سيفه من غمده.

(٥) العقيقة: السحابة التي ينشقّ عنها البرق.

(٦) في البدء والتاريخ «أخمصينا».

(٧) في البدء والتاريخ ٤/٢٢٠، ٢٢١ ثلاثة أبيات.

نُعاجلهم إذا نهضوا إلينا | بضَرْب يُعْجِل المتسرّعينا
تَرانا[1] في فَضَافِضَ سابغاتٍ | كغُدْران الملا مُتَسَرْبِلينا
وفي أَيْمانِنا بيضٌ خِفافٌ | بها نشفي مِراح الشَّاغبينا
بباب الخَنْدَقَيْن كأنَّ أُسْداً | شَوابكُهُنَّ يَحْمِين العرينا
فوارسنا إذا بَكَرُوا وراحوا | على الأعداء شُوساً مُعلِمِينا[2]
لننْصر أحمداً والله حتّى | نكونَ عبادَ صِدقٍ مخلصينا
ويعلم[3] أهلُ مكّة حين ساروا | وأحزابٌ أتَوْا متحزّبينا:
بأنَّ الله ليس له شريك | وأنّ الله مولى المؤمنينا
فإمّا تقتلوا سعداً سَفَاهاً | فإنّ الله خيرُ القادرينا
سيُدْخِلُهُ جناناً طيّباتٍ | تكون مقامةً للصّالحينا
كما قد ردّكم فَلاًّ[4] شريداً | بغَيظِكم خَزَايا[5] خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيْراً | وكِدْتُم أن تكونوا دامِرينا
بريح عاصف هبَّتْ عليكمْ | فكنتمْ تحتها متكمّهينا[6]

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى السَّهمّي، يوم الخندق:

حَيِّ الديارَ محا معارِفَ رسْمِها | طولُ البِلَى وتراوُح الأحقابِ
فكأنّما كتب اليهودُ رُسومَها | إلاّ الكَنيفَ ومَعْقِد الأطْناب[7]
قفْراً كأنّك لم تكنْ تَلهو بها | في نعمة بأوانسٍ أتراب[8]
فاتْركْ تذكُّر ما مضى من عيشةٍ | ومحلّةِ خَلَق المقام يَباب

---

(١) في البدء والتاريخ «رأتنا».
(٢) الشوش: من ينظرون بمؤخّر عيونهم كِبْراً.
(٣) في البدء والتاريخ «سيعلم».
(٤) الفلّ: المنهزمون.
(٥) في البدء والتاريخ «يغيظكم حزاباً».
(٦) المتكمّه في الأصل من وُلد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون. وفي البدء والتاريخ ٤/٢٢١ ثمانية أبيات.
(٧) الكنيف: حظيرة الماشية. مَعْقِد: وتد. والأطناب: الحبال التي تُشدّ بها الخيام.
(٨) الأتراب: المتساويات في السنّ.

واذكُـرْ بـلاءَ معـاشـرٍ واشكُـرْهـمُ ... سـاروا بـأجمعهم مـن الأنصـاب
أنصـاب مكـة عـامِـدين ليثْـرب ... في ذي غَيـاطِلَ جَحْفَـل جَبْجـاب[1]
يـدع الحُـزُونَ منـاهجـاً معلومـةً ... في كـلّ نشْـرٍ ظـاهـر وشعـاب[2]
فيهـا الجيـادُ شـوازبٌ مجنـوبـةٌ ... قُبُّ البـطون لـواحق الأقْـراب[3]
من كـلِّ سَلْهبـةٍ وأَجْـرَد سلْهَب ... كـالسيـدِ بـادَرَ غَفْلة الـرُّقـاب[4]
جيشُ عُـيَيْنـةُ قـاصـدٌ بلوائـه ... فيـه وصَخْـرٌ قـائـدُ الأحـزاب
قَرْمـان[5] كـالبـدْرَين أصبح فيهما ... غَيْث الـفقيـر ومَعْقِـل الهُـرّاب
حتى إذا وردوا المـدينـةَ وارْتَـدَوْا ... لـلمـوت كـلَّ مُجَـرَّب قَـضّـاب
شهـراً وعشـراً قـاهـرين محمـداً ... وصِحابُه في الحرب خير صِحاب
نـادوا بـرحلتهـم صبيحـة قُلتُم ... كِـدْنـا نكـون بهـا مـع الخُيَّـاب
لـولا الخنـادق غـادروا من جَمْعهم ... قَتْـلى لـطَيْـرٍ سُـغَّـب[6] وذِئـاب

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

هـل رَسْم دارسـةِ المقـام يَبـابِ ... مـتكـلّم لـمحـاور بجـواب[7]
قفْـر عَفَـا رِهمُ السّحـاب رُسومَـه ... وهُبـوبُ كـلّ مُطلّـةٍ مِرْبـابِ[8]
ولقـد رأيت بهـا الحلول يـزينَـهم ... بِيضُ الـوُجوه ثـواقب الأحْسابِ[9]
فَـدع الـدّيار وذِكْـر كـلّ خَرِيـدة ... بَيضـاء آنسـةِ الحديث كَعـاب[10]
واشـكُ الهُموم إلى الإلـه ومـا تـرى ... من معشر ظَلَموا الـرسـول غضـاب

---

(١) الغياطل: الأصوات. ويقصد «بذي غياطل» جيشاً كثير الأصوات. جبجاب: كثير.
(٢) الحُزُون: ما ارتفع من الأرض. المناهج: الطرق الواضحة. النشر: ما ارتفع من الأرض. والشعاب: جمع شعب: المنخفض بين جبلين.
(٣) الشوازب: الضامرة. القبّ: الضامرة. لواحق الأقراب: ضامرة الخواصر.
(٤) السلهبة: الطويلة. السيد: الذئب.
(٥) قَرْمان: مثنى قَرْم وهو السيد.
(٦) سُغَّب: جائعة.
(٧) اليَباب: القفْر. المحاور: من يجادلك في الكلام.
(٨) الرِّهْم: المطر. مِرْباب: ثابتة.
(٩) الحلول: البيوت المجتمعة. ثواقب: مزهرة.
(١٠) الخريدة: المرأة الناعمة. والكَعاب: التي نهد ثديها في أول ما ينهد.

ساروا بأجمعهم إليه وألّبوا ... أهل القُرى وبوادِيَ الأعراب
جيش عُيَيْنةُ وابنُ حرْب فيهمُ ... مُتخمِّطُون بحلبة الأحزاب[1]
حتى إذا وردوا المدينة وارتَجَوْا ... قتْلى الرّسول ومَغْنَم الأسلاب
وغَدَوْا علينا قادرين بأيْدِهم ... رُدُّوا بغَيْظِهم على الأعقاب
بهُبُوب مُعصِفةٍ تُفرِّق جَمْعهم ... وجنودِ ربِّك سيِّد الأرباب
فكفى الإلٰه المؤمنين قتالَهُمْ ... وأثابَهم في الأجر خيرَ ثواب
من بعد ما قَنَطوا ففرَّق جمْعهم ... تنزيلُ نصر مليكنا الوهّاب
وأقرَّ عينَ محمدٍ وصِحابِه ... وأذلَّ كلَّ مكذِّب مُرْتاب
عاتي الفؤاد موقَّع ذي ريبةٍ ... في الكُفْر ليس بطاهر الأثواب
عَلِق الشقاءُ بقلبه ففؤادُه ... في الكفر آخرُ هذه الأحقاب

وأجابه كعب بن مالك أيضاً، فقال:

أبقى لنا حَدَثُ الحروب بقيّةً ... من خير نِحْلة ربّنا الوهّاب
بيضاءَ مُشْرِقة الذُّرَى ومَعاطناً ... حُمَّ الجُذوع غزيرة الأحْلاب[2]
كاللُّوب يُبْذل جَمّها وحَفيلُها ... للجارِ وابن العمّ والمُنْتاب[3]
ونزائعاً مثل السِّراح نَمَى بها ... عَلفُ الشعير وجِزَّة المِقْضاب[4]
عَرِي الشَّوَى منها وأَرْدَف نَحضَها ... جُرْدُ المُتون وسائر الآراب[5]
قُوداً تَراح إلى الصِّياح إذ غَدَت ... فعلَ الضَّراء تَراح للكَلّاب[6]
وتَحوط سائمة الدِّيار وتارةً ... تُرْدي العِدا وتثوبُ بالأسلاب
حُوشُ الوحوش مُطارة عند الوَغَى ... عُبْس اللقاء مُبينة الإنجاب[7]

(١) متخمّطون: مختلطون. الحلبة: الخيل المُعَدّة للسباق.
(٢) الذرى: الأعالي: المَعَاطن: مبارك الإبل حول الماء. الجذوع: الأعناق، والأحلاب: ما يُحلب منها.
(٣) اللوب: الأراضي ذات الحجارة السّود. جمّها: ما اجتمع من لبّها. المنتاب: القاصد.
(٤) النزائع: الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى. السراح: الذئاب. جزّة المقضاب: ما يقطع لها من النبات.
(٥) الشَوَى: القوائم. النحض: اللحم. جُرْد: ملس. المتون: الظهور. والآراب: الأعضاء.
(٦) قُود: طوال. تراح: تنشط. الضراء: الكلاب المعلّمة. الكلاب: الصائد بالكلاب.
(٧) الحوش: النافرة. عُبْس: شديدة. الإنجاب: الكرم.

عُلِفت على دَعَـةٍ فصارتْ بُـدَّنـاً دُخْسَ البَضِيع خفيفَةَ الأقصــاب[1]
يَغْدُون بـالـزَّغْفِ المُضاعف شَكـه وبِمُتْرَصَاتِ في الثِّقـافِ صِياب[2]
وصَوارم نَـزَع الصيَّـاقِـل غُـلْبهـا وبكُـلّ أرْوع مـاجـدِ الأنسـاب[3]
يَصِـل اليمين بمـارنٍ مُتقـاربٍ وُكِـلَت وقـيعتُـه إلى خَـبَّـاب[4]
وأغـرّ أزْرق في الـقـنـاةِ كـأنَّـه في طُخْيـةِ الظَّلْمـاء ضوء شِهـاب[5]
وكتيبـةٍ يَنْفِي القِـرانَ قَتِيـرُهـا وَتـرُدّ حـدّ قَـوَاحِـذَ الـنَّشـاب[6]
جـأْوَى مُلَمْلَمـة كـأنّ رمـاحـهـا في كـلّ مَجْمَعـة ضَـرِيمـةُ غـاب[7]
يـأوي إلـى ظـلّ الـلواء كـأنّـه في صعـدةِ الخطّيّ فيءُ عُقـاب[8]
أعْيَت أبـا كـربٍ وأعْيَت تُـبَّعـاً وأبَتْ بَسـالـتُهـا على الأعْـراب
ومَـوَاعظ من ربِّنـا نُـهـدَى بـهـا بلسـان أزْهَـرَ طيِّـب الأثـواب
عُـرِضَتْ علينا فـاشتَهَيْنا ذِكْـرهـا من بعد ما عُـرِضَت على الأحـزاب
حِكَماً يراهـا المُجْرِمـون بَـزَعْمِهم حَـرجـا ويَفْهـمُهـا ذَوُو الألبـاب
جـاءت سَخِينة كي تغـالب ربَّهـا فَلَيُغْلَبنّ مُغـالِبُ الـغَـلاّب[9]

---

(١) دخس: كثيرة اللحم. الأقصاب: الأمعاء.
(٢) الزَغْف: ما لان من الدروع. المُتْرَصات: القويّات. صياب: صائبة.
(٣) غُلْبها: صدأها. الماجد: الشريف.
(٤) المارن: الرمع الليّن. وقيعته: صنعته. خبّاب: عبد صانع للسيوف.
(٥) الأغرّ الأزرق: السنان الجيّد. الطُخْية: الشدّة.
(٦) القران: تقارن النبل. القتير: مسامير حلق الدرع، ويريد به الدروع. قواحذ. النشّاب: النبال التي أصابت الأفخاذ.
(٧) الجأوى: التي يخالط سوادها حُمرة. ململمة: مجتمعة. الضريمة: الملتهبة.
(٨) الصعدة: القناة المستقيمة. الخطّيّ: الرمح. الفيء: الظلّ. العُقاب: طائر جارح قويّ المخالب أعقف المنقار حادّ البصر يُطلق على المذكّر والمؤنّث.
(٩) كان هذا الاسم مما سُمّيت به قريش قديماً، ذكروا أنّ قُصَيّاً كان إذا ذبح ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجُزها فصنع منه خزيرة، وهو لحم يُطبخ ببُرّ فيُطعمه الناس. فسُمّيت قريش بها سَخينة. وقيل: إنّ العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلزة، وهو الوبر والدم، وتأكل قريش الخزيرة والفتّة فنفست عليهم ذلك فلقّبوهم: سَخينة، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره، ورسول الله ـ ﷺ ـ منهم، ولتركه أدباً مع النبيّ عليه السلام، إذ كان قُريشاً، ولقد استنشد عبدالملك بن مروان بما قاله الهوزاني في قريش:
يا شدّة ما شددنا غير كاذبة على سَخينة لولا الليل والحرم

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به، قال: حدّثني عبدالملك بن يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبَير، قال: لمّا قال كعب بن مالك:

جاءت سَخِينةُ كي تغالبَ ربَّها ... فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاّب

قال رسولُ الله ﷺ: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

من سرّه ضربٌ يُمَعمِعُ بعضُه ... بعضاً كَمَعْمَعَة الأباء المُحْرَقِ[1]
فلْيأتِ مأسدةً تُسَنّ سيوفُها ... بين المذاد وبين جِزْع الخَنْدق[2]
دَرِبوا بضرْب المُعْلِمين وأسْلَموا ... مُهُجَات أنْفُسِهم لربّ المَشْرق
في عُصْبةٍ نَصَرَ الإلَه نبيّه ... بهم وكان بعبدهِ ذا مَرْفق
في كلّ سابغةٍ تَخُطُّ فضولُها ... كالنِّهْي هبَّتْ ريحُه المُتَرَقْرق[3]
بيضاء مُحْكمة كأنّ قَتِيرها ... حَدَق الجَنادِب ذات شَكٍّ مُوثَق[4]
جَدْلاء يَحْفِزها نِجادُ مُهَنّد ... صافي الحَديدة صارِم ذِي رَوْنق[5]
تِلْكم مع التّقْوى تكون لِباسَنا ... يوم الهياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَق
نَصِل السّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا ... قُدُماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق
فترى الجماجِم ضاحياً هاماتُها ... بَلْه الأكُفِّ كأنّها لم تُخْلَق[6]

= فقال: ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع اللقيب بسَخينة، فدلّ هذا على أنّ هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشيء. (راجع الروض الأنف ٣/ ٣٠٠).

(١) المعمعة: صوت اتّقاد النار. الأباء: الأغصان الملتفّة.
(٢) المأسدة: المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب. المذاد: مكان حفر الخندق.
(٣) السابغة: الدروع الكاملة. تخطّ فضولها: ينجرّ على الأرض ما زاد منها. النِّهْيُ: غدير الماء.
(٤) القتير: مسامير الدروع. الجنادب: جمع جُندب، نوع صغير من الجراد. والشكّ: إحكام في الصنع. موثق: قوية.
(٥) الجدلاء: الدرع القويّة النسج. يحفزها: يرفعها. النجاد: حمائل السيف. رونق السيف: طلاوته وصفاؤه وبريقه.
(٦) بلْه: اسم فعل بمعنى اترك.

نَلْقى العـدوّ بفَخْمـةٍ ملْمُـومـة تنفي الجُموع كفَصْد رأس المَشْرق[1]
ونُعِـدّ لـلأعـداء كـلَّ مُـقَـلَّص ورْدٍ ومحجـولِ القـوائم أبـلق[2]
تَـرْدِي بفُـرسـانٍ كـأنّ كُماتَهم عنـد الهِيـاج أُسـود طَـلٍّ مُلْثِق[3]
صُدُقٌ يُعاطـون الكُمَاةَ حُتُوفَهم تحت العَمـاية بالوشيج المُزْهِق[4]
أمـر الإلـه بـرَبْطها لِعَـدُوّه فـي الحـرْب إنّ الله خيـرُ مُـوَفِّق
لـتكـون غيـظاً لـلعـدوّ وحُيَّـطاً لـلدار إنْ دَلَـفت خُيـولُ النُّـزَّق
ويُعيـننـا الله الـعـزيـز بقـوّة منه وصِدْقِ الصَّبـر ساعـةَ نلتقي
ونُـطيـعُ أمـرَ نبيّنا ونُجيبـه وإذا دعـا لكـريهـةٍ لم نُسْبَق
ومتى يُنـاد إلى الشّدائـد نَـأْتِها ومتى نَـرَ الحومـات فيهـا نُعْنق[5]
مـن يتَّبـع قـوْل النّبيّ فـإنّـه فينـا مُـطاع الأمـر حقّ مُصَـدّق
فبـذاك يَنْصرنـا ويُظْهـر عـزّنـا ويُصيبنـا مـن نَيْـل ذاك بمِـرْفَق
إنّ الـذيـن يكـذّبـون محمـداً كفـروا وضلّوا عن سبيـل المتَّقي

قال ابن هشام: أنشدني بيته:

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته:

من يتّبع قول النّبيّ

أبو زيد. وأنشدني:

تنفي الجُموع كرأس قُدْس المشرق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

لقـد علم الأحـزاب حين تـألَّبـوا علينـا ورامُـوا ديننـا مـا نُـوادِعُ

---

(١) الملمومة: المجتمعة. أي كتيبة مجتمعة.
(٢) المقلص: الفرس الخفيف. والورد: الأحمر الضارب الى الصُفرة. ومحجول القوائم: في قوائمه بياض.
(٣) الطلّ: المطر الضعيف.
(٤) العماية: ظلمة الغبار. الوشيج: الرماح.
(٥) نُعنق: نسرع.

أضاميم من قيس بن عَيْلان أَصْفَقَت ... وخِنْدف لم يـدْرُوا بمـا هـو واقـع[1]
يـذودوننـا عن ديننـا ونَـذُودهـم ... عن الكُفـر والـرحمن راء وسـامـع
إذا غـايظونـا في مقامٍ أعـاننـا ... على غيـظهم نصرٌ من الله واسـع
وذلـك حِـفْظُ الله فـينـاً وفـضْـلـه ... علينـا ومن لم يـحفظِ الله ضـائـع
هـدانـا لـدين الحقّ واختـاره لنـا ... ولله فـوق الصـانعين صنـائـع

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

ألا أبـلِغْ قـريـشـاً أنّ سَـلْعـاً ... ومـا بين العُـرَيض إلى الصِّمَـاد[2]
نـواضحُ في الحـروب مُـدَرَّبـاتٌ ... وخـوصٌ ثُقِّبتْ من عـهـد عـاد[3]
رواكِـد يَـزْخَـر المُـرَّار فـيـهـا ... فليست بـالجِمـام ولا الثِّمـاد[4]
كـأنّ الغـاب والبَـرْديَّ فـيـهـا ... أجَشّ إذا تـبـقَّـع لـلحَـصـاد[4]
ولم نجعل تجـارتَنـا اشتـراء الـ ... ـحـمـيـرِ لأرض دَوْسٍ أو مُـراد
بـلادُ لـم تُـثَـر إلاّ لـكَـيْـمـا ... نُجَـالـد إنْ نَشِـطْتـم للجِلادِ
أثـرنـا سِـكَّـةَ الأنـبـاط فـيـهـا ... فـلم تـر مثـلهـا جَلَهَـاتِ واد[5]
قصـرنـا كـلّ ذي حُضْـرٍ وطُـول ... عـلى الغـايـات مُقْتَـدِر جـواد[6]
أجيبـونـا إلى مـا نَجْتَـديكم ... من القـول المُـبَيَّـن والسَّـداد[7]
وإلاّ فـاصـبـروا لـجِلاد يـومٍ ... لكم منّـا إلى شَطْر المَـذاد[8]
نُصَبِّـحكم بكـلّ أخـي حُـروب ... وكـلّ مُـطَهَّـم سَـلس القِـيـاد

---

(١) أضاميم: جماعات. وأصفقت: اجتمعت على أمر.
(٢) سلع: جبل بالمدينة. والعريض: واد بالمدينة.
(٣) نواضح: حدائق تُسقى بالنضح. خوص: آبار ضيقة.
(٤) المرار: نهر. الجمام: الآبار كثيرة الماء. الثماد: الماء القليل.
(٥) الأجشّ: العالي الصوت. تبقّع: صار فيه بقع علامة النضج.
(٦) السكة: النخيل المصطف. جلهات: وادي. ما كشفت عنه السيول فأبرزته.
(٧) الحضر: الجري. وذو الحضر: يريد الخيل.
(٨) نجتديكم: نسألكم.
(٩) الشطر: الناحية. والمذاد: حيث حفر الخندق بالمدينة.

وكـلِّ طِـمـرَّة خَـفِـق حشـاهـا ... تَـدِفّ دفيفَ صفْـراء الـجـراد[1]

وكـلِّ مُـقَـلَّص الآراب نَـهْـدٍ ... تميم الخَلْق من أُخْـرٍ وهـادي[2]

خُيـول لا تُـضـاعُ إذا أُضِـيعَـتْ ... خيـولُ النـاس في السَّنـة الجَمـادِ

يُنَـازِعْـن الأعِـنَّـة مُصْـغِيـات ... إذا نـادى إلى الفَـزَع المُنـادي

إذا قـالت لنـا النُّـذُر استعـدُّوا ... تـوكّـلنـا عـلى ربّ الـعـبـاد

وقلنـا لـن يُفَـرِّج مـا لَقِـينـا ... سـوى ضـرب القـوانِس والجِهاد[3]

فـلم تـر عُصبـةً فيمـن لقِينـا ... مـن الأقـوام مـن قـارٍ وبـادي

أشـدَّ بسـالـةً مِـنَّـا إذا مـا ... أرَدْنـاه وألْيـنَ فـي الـوِداد

إذا مـا نـحن أشْـرَجْنـا عليهـا ... جِيادَ الجُدْل في الأُرَب الشِّـداد[4]

قَـذَفْنـا في السَّـوابغ كـلَّ صَقْـرٍ ... كَـريـمٍ غيـر مُعْـتَـلِثِ الـزِّنـاد

أشـمَّ كـأنَّـه أسَـدٌ عَـبُـوس ... غَـدَاةَ بَـدَا ببطْنِ الجزع غـادي

يُغَشّـى هـامـةَ البَـطل المُـذَكّـي ... صَبِيَّ السيفِ مُسْترخى النِّجـاد[5]

لـنُـظْـهِـر دِيـنَـك الـلّـهـمّ إنّـا ... بكَفّـكَ فاهـدِنا سُبُـل الرشـاد

قال ابن هشام: بيته:

قصرنا كَل ذي حُضـر وطَوْل

والبيت الذي يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أشمّ كأنه أسد عَبوس

والبيت الذي يتلوه، عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مَناف بن وهْب بن حُذافة بن

---

(١) الطِمِرّة: الفَرَس الوثوب القوية. تدفّ: تقول دفّ الطائر: إذا حرّك جناحيه. صفراء الجراد: هي التي ألقت بيضها فهي خفيفة في طيرانها.

(٢) المقلص: الشديد. الآراب: قطع اللحم. النهد: الغليظ. والهادي: العنق. أي: كريم من أوله إلى آخره.

(٣) القوانس: أعالي بيض الحديد.

(٤) أشرجنا: ربطنا. الجدل: الدروع المحكمة النسج. الأرب: العقد الشديدة.

(٥) المُذكّي: شديد القوّة. صبيّ السيف: وسطه. النجاد: حمائل السيف.

جُمَح، يبكي عمرو بن عبد ودّ، ويذكر قتل عليّ بن أبي طالب إياه:

عمـرو بن عبـدٍ كـان أول فـارس ... جزع المَداد وكان فـارسَ يَلْيل[1]
سمْـحُ الخلائقِ مـاجـد ذو مِـرَّةٍ ... يَبغي القتـالَ بشِكـةٍ لم يَنْكُـل
ولقـد عَلِمتم حين ولَّـوْا عَنكُم ... أنّ ابن عبـدٍ فيهمُ لم يَعْجَل
حتى تَكَنَّفـه الكُمَـاةُ وكُلّهم ... يبغي مَقـاتله وليس بمُؤْتلي[2]
ولقـد تكنَّفت الأسِنَّـة فـارسـاً ... بجنـوب سَلْع غيـر نِكْس أمْيـل
تَسَـلُ النزالَ عليّ فـارسَ غـالب ... بجنـوبِ سُلْع، ليْتـه لم ينـزل
فـاذهبْ عليُّ فمـا ظفِـرْت بمثلـه ... فخراً ولا لاقيتَ مثـلَ المُعْضِـل
نفسي الفـداءُ لفارسٍ من غـالب ... لاقَى حِمام الموت لم يَتَحَلْحَل[3]
أعني الـذي جَزَع المَـداد بمُهْـرِه ... طلبـاً لثـأرِ معـاشـر لم يَخْـذُل

وقال مُسافع أيضاً يؤنّب فرسان عمرو الذين كانوا معه، فأجلوا عنه وتركوه:

عمـرو بن عبد والجيـادُ يقودُهـا ... خيـلٌ تُقـاد لـه وخيـلٌ تُنْعَـل[4]
أجْـلت فـوارسُـه وغـادر رهْـطُه ... رُكْنـاً عـظيمـاً كـان فيـه أوّل
عَجَبـاً وإنْ أعجبْ فقـد أبْصَرتـه ... مَهْمـا تسـومُ عليّ عَمْـراً يَنْـزِل[5]
لا تبعَـدَنّ فقـد أُصِبْتُ بقَتْلـه ... ولقِيتُ قبـل المـوتِ أمـراً يثقُـل
وهُبيـرة المسلوب ولّـى مُـدْبـراً ... عنـد القتـال مخـافـةَ أن يُقتلوا
وضِرار كـان البأسُ منه مُحْضَـراً ... ولّى كمـا ولّى اللّئيم الأعـزَل

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها له. وقوله: «عمراً ينزل» عن غير ابن اسحاق.

---

(١) جزع: قطع. المذاد: مكان بالمدينة حيث بُني الخندق. يَلْيل: وادٍ في بدر.
(٢) ليس بمؤتلي: أي ليس بمقصّر.
(٣) لم يتحلحل: لم يتزحزح.
(٤) تنعل: تلبس نعال الخيل وهي الحديد في أرجل الخيل لتقوى على المشي.
(٥) تسوم: تطلب.

قال ابن إسحاق: وقال هُبيرة بن أبي وهْب يعتذر من فراره، ويبكي عمراً، ويذكر قتل عليٍّ إيّاه:

لَعَمْريَ ما ولّيت ظهري محمداً	وأصحابه جُبناً ولا خِيفَة القتْلِ
ولكنّني قلّبت أمري فلم أجد	لسيْفي غَناءً إنْ ضربتُ ولا نَبْلي
وقفْت فلمّا لم أجِدْ لي مقدّماً	صَدِدتُ كضِرغام هِزبرٍ أبي شِبْل
ثَنى عِطْفَه عن قِرْنه حين لم يَجِد	مَكَرّاً وقِدْماً كان ذلك من فِعْلي
فلا تَبْعَدن يا عمرو حَيّاً وهالِكاً	وحُقّ لحُسْن المدح مثلُك من مِثلي
ولا تُبْعَدَن يا عمرو حيّاً وهالِكاً	فقد بِنتَ محمود الثنا ماجد الأصل[1]
فمَنْ لِطِراد الخيلِ تُقْدَع بالقنا	وللفخْر يوماً عند قَرْقَرة البُزْل[2]
هُنالك لو كان ابنُ عَبدٍ لزَارَها	وفرَّجها حقّاً فتًى غيرُ ما وَغْل[3]
فعنك عليٌّ لا أرى مثلَ موقفٍ	وقفْت على نجدِ المُقدَّم كالفَحْلِ[4]
فما ظفِرتْ كفّاكَ فخراً بمثله	أمِنْت به ما عِشْت من زلّةِ النَّعل

وقال هُبيرة بن أبي وهْب يبكي عمرو بن عبد ودّ، ويذكر قتل عليّ إياه:

لقد علِمت عُلْيا لُؤَيّ بن غالب	لفَارسُها عمرو إذا ناب نائبُ
لفَارسها عمرو إذا ما يَسُومه	عليٌّ وإنّ الليث لا بدّ طالِب
عشِيّة يَدْعوه عليٌّ وإنّه	لفارسُها إذ خام عنه الكتائب[5]
فيا لهْفَ نفسي إنّ عمراً تركتُه	بيثْرِب لا زالت هُناك المصائب

وقال حسّان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ودّ:

بقيّتكم عمرو أبَحْناه بالقنَا	بيثرب نَحْمي والحُماة قليلُ
ونحن قتلناكم بكلّ مُهنّد	ونحن وُلاة الحرب حين نَصُول

---

(١) الثنا: الذِكْر الجميل.

(٢) قرقرة البزل: أصوات الإبل الكريمة.

(٣) الوغل: الفاسد.

(٤) عنك: اسم فعل أمر بمعنى ابتعد.

(٥) خام: جبن.

ونحن قتلناكم ببدْر فأصْبَحت معاشِرُكم في الهالكين تَجُول

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ودّ:

أمسى الفتى عمرو بن عبدٍ يبتغي بجنوب يثْرِبَ ثأرَه لم يُنْظَر
فلقد وجدتُ سُيوفنا مشهورةً ولقد وجدتُ جيادَنا لم تُقْصَر
ولقد لقيتَ غداةَ بدر عُصْبةً ضربوك ضرباً غيرَ ضرْب الحُسَّر
أصبحت لا تُدْعى ليوم عظيمةٍ يا عمرو أو لجسيمٍ أمرٍ مُنْكَر

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشِعر يُنكرها لحسّان.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً:

ألا أبلغْ أبا هِدْم رسولاً مُغَلغلة تَخُبُّ بها المَطِيُّ[1]
أكنتُ وليَّكم في كلّ كُرهٍ وغيري في الرّخاء هو الوليّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآني رُفِعْت له كما احتُمِل الصّبيّ

قال ابن هشام: وتُروى هذه الأبيات لربيعة بن أُميّة الدّيلي، ويُروى فيها آخرها:

كَبَبْتَ الخزرجيّ على يَدَيْه وكان شفاءَ نفسي الخزرجيّ

وتُروَى أيضاً لأبي أسامة الجُشَميّ.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت في يوم بني قُرَيظة يبكي سعد بن مُعاذ ويذكر حُكمه فيهم:

لقد سَجمت من دَمع عينيَ عَبرةٌ وحُقّ لعيني أن تفيض على سعْد
قتيل ثَوَى في معركٍ فُجِعتْ به عُيونٌ ذواري الدَّمْع دائمةُ الوَجْد[2]
على مِلّةِ الرحمن وارثَ جَنّةٍ مع الشهداء وَفدها أكرم الوفد

---

(١) المغلغلة. الرسالة الخطية المحمولة من بلد الى بلد.

(٢) ذواري: ساكبة.

فإنْ تكُ قد ودّعتنا وتركتنا ... وأمسيْت في غَبراء مُظلمة اللَّحْد
فأنت الذي يا سعد أُبْتَ بمشهد ... كريم وأثواب المكارم والحمد
بحُكْمك في حَيَّيْ قُرَيظة بالذي ... قضى الله فيهم ما قَضَيْت على عَمْد
فوافق حُكْمَ الله حُكْمك فيهمُ ... ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْت ما كان من عهد
فإنْ كان رَيْبُ الدَّهْر أمضاك في الأُلَى ... شَرَوْا هذه الدنيا بجنّاتها الخُلْد
فنِعم مَصِير الصادقين إذا دُعوا ... إلى الله يوماً للوَجاهة والقصد

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يبكي سعد بن مُعاذ، ورجالاً من أصحاب رسولُ الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومي هل لما حُمّ دافعٌ ... وهل ما مَضى من صالح العيش راجعُ
تذكّرت عصْراً قد مضى فتهافتتْ ... بناتُ الحَشَى[1] وانْهَلّ منّي المَدامع
صبابةُ وجْدٍ ذكَّرَتْني أحِبَّةٌ ... وقتلى مضى فيها طُفَيل ورافع
وسعدٌ فأضْحَوا في الجِنان وأوْحَشَت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفَوْا يوم بدرٍ للرسولِ وفَوْقَهم ... ظِلالُ المنايا والسيوف اللّوامع
دعا فأجابوه بحَقٍ وكلُّهم ... مُطيع له في كلّ أمر وسامع
فما نَكلوا حتى تولّوا جماعةً ... ولا يَقْطع الآجال إلاّ المصارع
لأنّهم يرجُون منه شفاعةً ... إذا لم يكن إلاّ النبيّون شافع
فذلك يا خيرَ العِباد بلاؤنا ... إجابتُنا لله والموت ناقِع
لنا القدم الأولى إليك وخَلفُنا ... لأولنا في مِلّة الله تابِع
ونَعْلَم أنّ المُلْك لله وحْدَه ... وأنّ قضاء الله لا بدّ واقع

وقال حسّان بن ثابت أيضاً في يوم بني قُرَيْظة:

لقد لقِيَتْ قُريظةُ ما سآها ... وما وَجَدَتْ لذُلٍ من نصير
أصابهم بلاءٌ كان فيه ... سوى ما قد أصاب بني النضير
غداةَ أتاهُم يَهْوِي إليهم ... رسولُ الله كالقمر المنير
له خَيْلٌ مُجنَّبة تَعادَى ... بفُرْسان عليها كالصّقورِ

---

(١) بنات الحَشَى: القلب وما اتّصل به من أعضاء.

تـركْنـاهم ومـا ظفِـروا بشـيءٍ ... دمـاؤهـم عليـهـم كـالـغـديـر
فهم صـرعى تحُوم الـطيـرُ فيهم ... كـذاك يُـدان ذو العَنَـد الـفَجُـور
فـأنـذِرْ مثلَهـا نُصْحـاً قـريشـاً ... من الـرحمـن أن قبِلت نَـذِيـري

وقال حسّان بن ثابت في بني قُرَيظة:

لقـد لقيتْ قُـريـظةُ مـا سـآهـا ... وحـلّ بـحصـنـهـا ذُلٌّ ذلـيـل
وسعـد كـان أنْـذَرهـم بنُصْـح ... بـأنّ إلٰـهكـم ربٌّ جـلـيـل
فمـا بَـرِحـوا بنقْض العهـد حتى ... فَـلاَهم في بـلادهـم الـرسـول[1]
أحـاط بحِصْنهـم منّـا صُفـوف ... لـه من حَـرّ وَقْعتهـم صليـل

وقال حسّان بن ثابت أيضاً في يوم بني قُرَيْظة:

تفـاقـد معشَـرٌ نصـروا قـريشـاً ... وليس لهـم ببَلْدتـهـم نـصيـر[2]
هـم أُوتـوا الـكتـاب فضيّعـوه ... وهـم عُمْـي من الـتـوراة بُـور[3]
كـفـرتم بـالقُـران وقـد أتيْتـم ... بتصـديـق الـذي قـال النـذيـر
فـهـان على سَـراة بـنـي لُـؤَيّ ... حـريقٌ بـالبُـوَيْـرَة مسـتـطيـر[4]

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، فقال:

أدام الله ذلـك مـن صنـيـع ... وحـرّق فـي طـرائقهـا السعيـرُ
سـتعـلم أيّنـا مـنـهـا بنُـزْهٍ ... وتـعلم أيّ أرضَيْنـا تـضِيـر[5]
فـلو كـان النَّخيـل بهـا رِكـابـاً ... لـقـالـوا لا مُقـام لـكم فسيـروا

وأجابه جبل بن جوّال الثعلبيّ أيضاً، وبكى النضيرَ وقُرَيظة، فقال:

ألا يـا سعـد سعـد بني مُعـاذ ... لـمـا لقِيتْ قُـرَيْـظَة والـنضيـرُ
لَعَمْـرك إنّ سعـد بنـي مُعـاذ ... غـداة تـحمَّلوا لـهـو الـصَّبُـور
فـأمّـا الـخـزْرجيّ أبـو حُـبـاب ... فـقـال لقَيْنُـقـاع لا تـسيـروا

---

(١) فلاهم: ضربهم بالسيوف.
(٢) تفاقد: هلك.
(٣) بور: هَلْكى.
(٤) البُوَيْرة: مكان لبني قُرَيظة.
(٥) النزه: البعد.

وبُـدِّلـت المـوالـي مـن حُـضَـيـر أُسَيْداً والـدوائـرُ قـد تـدور
وأَقْـفـرتِ الـبُـوَيْـرةُ مـن سَـلام وسَعْيَـة وابـن أخـطـب فهـي بُـور
وقـد كـانـوا ببلدتـهـم ثـقـالاً كمـا ثُقُلت بمَيْـطانَ الصّخـور[1]
فـإنْ يـهـلِكْ أبـو حَـكـم سَـلام فـلا رثُّ الـسّـلاح ولا دَثُـور[2]
وكـلّ الـكـاهنَـيـن وكـان فـيـهـم مـع اللّين الخضـارمـةُ الصُّقُـور
وجـدنـا المجْـد قـد ثَبَتُـوا عليـه بـمـجـدٍ لا تُـغَـيِّـبـه الـبُـدُور
أقيمُـوا يـا سَـراةَ الأوس فيـهـا كـأنَّـكـم مـن الـمـخْـزاةِ عُـور
تـركـتم قِـدْركـم لا شـيء فيـهـا وقِـدْر الـقـوم حـامـيـةٌ تَـفُـور

مقتل سلام بن أبي الحُقَيْق

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قُرَيظة، وكان سلام بن أبي الحُقَيق، وهو أبو رافع فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أُحُد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحُقيق، وهو بخيبر، فأذِن لهم[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْريّ، عن عبدالله بن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أنّ هذين الحيَّين من الأنصار: الأوس والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحْلين، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله ﷺ غَناء إلاّ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت

---

(١) ميطان: جبل بالمدينة.
(٢) الدثور: المتغير.
(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً؛ قال: فتذاكروا: مَن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيق، وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذِن لهم.

فخرج إليه من الخزرج من بني سَلِمة خمسة نفر: عبدالله بن عَتِيك، ومسعود بن سِنان، وعبدالله بن أنيس، وأبو قَتادة، الحارث بن ربعيّ، وخُزاعيّ بن أسود[1]، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبدالله بن عَتِيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدِموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلاّ أغلقوه على أهله. قال: وكان في عِلِّية له إليها عجلة[2] قال: فأسندوا فيها، حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا. ناس من العرب نلتمس المِيرة. قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه، قال: فلما دخلنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجرة، تخوُّفاً أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته، فنوّهت[3] بنا وابتدرناه، وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلاّ بياضه كأنه قُبْطية[4] مُلقاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منّا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قَطني قَطني[5]: أي حسْبي حسْبي. قال: وخرجنا، وكان عبدالله بن عَتِيك رجلاً سيّء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوُثِئت[6] يده

---

(١) في تاريخ الإسلام (المغازي)، أو الإصابة ١/ ٤٢ «أسد بن خزاعي».

(٢) العجلة: جذع النخلة يُنقر في أماكن منه للصعود عليها.

(٣) نوّهت: شهرت.

(٤) القبطية: ثياب بيض كانت تُصنع في مصر.

(٥) وقال بعضهم: إنّما هو قطي، ودخلت النون على حال دخولها في قدني. ومن العرب من يقول: قطن فلاناً أو فلان كذا، أي يكفيه، فيزيد نوناً على قطّ وينصب بها ويخفض ويضيف الى نفسه فيقول: قطني. (لسان العرب).

(٦) الوثْء: إصابة العظم بلا كسر. ووضْم: يصيب اللحم ولا يبلغ العظم. ويقال في الدعاء: اللهم تأيده. (تاج العروس ١/ ٤٨١).

وثئاً شديداً ـ ويقال: رِجْله، فيما قال ابن هشام ـ وحملناه حتى نأتي به مَنْهَراً[1] من عيونهم، فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران، واشتدّوا في كل وجه يطلبوننا قال: حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم، فاكتنفوه وهو يقضي بينهم. قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات؟ قال: فقال رجل منّا: أنا أذهب فأنظر لكم، فانطلق حتى دخل في الناس. قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه، وتحدّثهم وتقول: أما والله لقد سمعتُ صوت ابن عَتِيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: أنّى ابن عَتِيك بهذه البلاد؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت: فاظ[2] وإلٰه يهود، فما سمعتُ من كلمةٍ كانت ألذّ إلى نفسي منها. قال: ثم جاءنا الخبر فاحتملْنا صاحبَنا فقدِمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوّ الله، واختلفنا عنده في قتله، كلّنا يدّعيه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيافكم»، قال: فجئناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبدالله بن أنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام»[3].

قال ابن إسحاق: فقال حسّان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحُقَيْق:

لله دَرّ عِصابةٍ لاقيتَهم	يا بن الحُقَيق وأنت يا بن الأشرفِ
يَسْرون بالبِيض الخِفاف إليكم	مَرَحاً كأسْدٍ في عرينٍ مُغْرِفِ[4]
حتى أتوْكم في محلّ بلادِكم	فسَقَوْكُم حتْفاً ببِيض ذُفَّفِ[5]
مُسْتَبْصِرين لنصر دِينِ نبيّهم	مستصغرين لكلّ أمر مُجحِف

قال ابن هشام: قوله: «ذُفَّف» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) المَنْهر: شقّ في الحصن نافذ يجري منه الماء. (تاج العروس ١٤/٣١٦).

(٢) فاظ: مات.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) مغرف: ملتفّ الأغصان.

(٥) ذُفَّف: سريعة القتل.

إسلام عَمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي، قال حدّثني عمرو بن العاص من فيه، قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون منّي، فقلت لهم: تعلمون والله أنّي أرى أمر محمد يعلو الأمور عُلُوّاً مُنْكراً، وإنّي قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشيّ فنكون عنده، فإنْ ظهر محمد على قومنا كنّا عند النجاشيّ، فإنّا إن نكون تحت يديه أحبّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإنْ ظهر قومنا فنحن مَن قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلاّ خير، قالوا: إنّ هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحبّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأَدَم[1]، فجمعنا له أَدَماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدِمنا عليه.

فوالله إنّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، لو قد دخلت على النّجاشيّ وسألته إيّاه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنّي قد

---

(١) الأدم: الجلد.

أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديتَ إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أَدَماً كثيراً، قال: ثم قرّبته إليه، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك، إنّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعْطِنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخِيارنا، قال: فغضب، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقّت لي الأرض لَدَخلت فيها فرقاً منه؛ ثم قلت له: أيّها الملك، والله لو ظننت أنّك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أنْ أُعطيك رسول رجل يأتيه الناموس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطِعْني واتّبعه، فإنّه والله لَعلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عمّا كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً الى رسول الله ﷺ لأسْلم، فلقيت خالدَ بنَ الوليد، وذلك قبل الفتح، وهو مُقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[2]، وإنّ الرجل لنبيّ، أذهبُ والله فأُسْلم، فحتّى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدِمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إنّي أبايعك على أن يغفر لي ما تقدّم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخّر؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عمرو، بايعْ، فإنّ الإسلام يجبّ[3] ما كان قبله، وإنّ الهجرة تجُبّ ما كان قبلها»؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت[4].

---

(١) الناموس: هو جبريل عليه السلام، وكذا يسميه أهل الكتاب.

(٢) في سير أعلام النبلاء ٣/٦٠ «المِيسم».

(٣) يجبّ: يقطع.

(٤) رجال الحديث ثقات، عدا راشد مولى حبيب، فلم يوثّقه غير ابن حبّان، وأخرجه من طريق =

قال ابن هشام: ويقال: فإنّ الإسلام يُحِتّ[1] ما كان قبله، وإنّ الهجرة تُحتّ ما كانَ قبلها.

إسلام عثمان بن طلحة: **قال ابن إسحاق:** ، وحدّثني من لاأتّهم: أنّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزِّبَعْرى السَّهْميّ:

أنشُد عثمانَ بنَ طلْحة حلفَنا	ومُلقَى نِعال القوم عن المُقَبَّل[2]
وما عقد الآباء من كلّ حِلفه	وما خالدٌ من مثلها بمُحَلَّل
أمِفْتاحَ بيت غير بيتِك تبتغي	وما يُبْتَغى من مجد بيت مُؤَثَّل
فلا تأمننّ خالداً بعد هذه	وعثمان جاء بالدُّهَيْم[3] المُعَضَّل

وكان فتح بني قُريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجّة، وولّى تلك الحجّة المشركون.

= ابن إسحاق بنحوه أحمد في المسند ٤/١٩٨، ١٩٩، والواقدي في المغازي ٢/٧٤١ - ٧٤٥ من طريق عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: قال عمرو بن العاص.. بأبسط من رواية ابن إسحاق.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٢١) في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، من طريق ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً، وحوّل وجهه الى الجدار.. وفيه: فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبيّ ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا»؟ قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجّ يهدم ما كان قبله...». وانظر سير أعلام النبلاء ٣/٥٩، ٦٠.

(١) يُحتّ: يُسْقط.

(٢) المُقَبَّل: اسم مكان من قَبَّل، ويريد به الحجر الأسود.

(٣) الدُّهيم: الداهية.


Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

غزوة بني لِحْيان[1]

«بسم الله الرحمن الرحيم»

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي قال: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهري ربيع، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قُرَيظة، إلى بني لِحْيان يطلب بأصحاب الرجيع: خُبيب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غِرّة.

فخرج من المدينة ﷺ، واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غُراب، جبل بناحية المدينة على طريقه الى الشام، ثم على محيص[2]، ثم على البتراء، ثم صفّق[3] ذات اليسار،

---

(١) أنظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٥٣٥ ـ ٥٣٧، الطبقات الكبرى ٢/٧٨ ـ ٨٠، تاريخ الطبري ٢/٥٩٥، المحبّر ١١٤، البدء والتاريخ ٤/٢٢٢، أنساب الأشراف ١/٣٤٨ رقم ٧٣٤، الكامل في التاريخ ٢/١٨٨، عيون الأثر ٢/٨٣ نهاية الأرب ١٧/٢٠٠، ٢٠١، عيون التواريخ ١/٢٢٣، ٢٢٤، تاريخ الإسلام (المغازي)، الروض الأنف ٣/٣٠٥.

(٢) في الأصول، وتاريخ الطبري ٢/٥٩٥ «مخيض» والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٥/٦٧.

(٣) صفّق: عدل.

فخرج على يَيْن[1]، ثم على صخيرات اليمام[2]، ثم استقام به الطريق على المحجّة من طريق مكة فأغذّ[3] السير سريعاً، حتى نزل على غرّان[4]، وهي منازل بني لِحْيان، وغرّان واد بين أمج وعُسفان، إلى بلد يقال له: ساية[5]، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رءوس الجبال. فلما نزلها رسولُ الله ﷺ وأخطأه من غِرّتهم ما أراد. قال: لو أنّا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أنّا قد جئنا مكة، فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم[6]، ثم كرّ وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً[7].

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجّه راجعاً: «آيبون تائبون إن شاء الله لربّنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال»[8].

---

(١) يَيْن: بالفتح ثم السكون. قال الزمخشري: يَيْن عين بواد يقال له حَوْرتان. وقال غيره: واد بين ضاحك وضويحك، وهما جبلان أسفل الفرش.. وقال نصر: ناحية من أعراض المدينة على بريد منها وهي منازل أسلم بن خزاعة. (معجم البلدان ٥/٤٥٤).

(٢) صُخيرات: تصغير جمع صخرة. وهي صخيرات الثُمام بالثاء المثلّثة المضمومة. (معجم البلدان ٣/٣٩٥).

(٣) أغذ: أسرع.

(٤) الغرّان: بفتح أوله وتشديد ثانيه، تثنية الغرّ. اسم موضع. (معجم البلدان ٤/١٩١).

(٥) ساية: اسم واد من حدود الحجاز. يُطْلَع إليه من الشراة. (معجم البلدان ٣/١٨٠).

(٦) كُراع الغميم: بالضمّ. موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عُسْفان بثمانية أميال. وهذا الكُراع جبل أسود في طرف الحَرّة يمتدّ اليه. (معجم البلدان ٤/٤٤٣).

(٧) تاريخ الطبري ٢/٥٩٥، تاريخ الإسلام (المغازي).

(٨) أخرجه البخاري في المغازي (٥/٤٩) باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ومسلم في الحج (٤٢٥) و(٤٢٨) و(٤٢٩) باب ما يقول إذا ركب الى سفر الحج وغيره، وباب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، وأبو داود في الجهاد (٢٥٩٨) باب ما يقول الرجل إذا سافر، والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٠٠) باب ما يقول إذا خرج مسافراً، و(٣٥١١) باب ما جاء يقول إذا ركب دابّة، والدارمي في الاستئذان باب (٥٠)، ومالك في الموطّأ، كتاب الحجّ (٩٥٢) باب جامع الحج، وأحمد في المسند ١/٢٥٦ و٢/٥ و١٠ و١٥ و٢١ و٣٨ و٦٢ و١٠٥ و١٤٤ و١٥٠ و٣/١٨٧ و١٨٩ و٤/٢٣١ و٢٨٩ و٢٩٨ و٣٠٠، والطبراني في المعجم الكبير ٧/٣٢٢ رقم ٧٠٩٢، وابن جُمَيْع الصيداوي في معجم الشيوخ ٦٤ رقم ٥، وابن سعد في الطبقات ٢/٧٩، والواقدي في المغازي ٢/٥٣٧.

والحـديث في غـزوة بني لِحْيـان، عن عـاصم بن عمـر بن قَتـادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالـك؛ فقال كعب بن مـالك في غزوة بني لِحْيان:

لـو آنَّ بني لِحْيان كـانوا تناظروا [1] لَقُوا عُصَباً [2] في دارهم ذات مَصْدَقِ
لقُوا سَرَعـاناً يمـلأ السِّرْب رَوْعُـه [3] أمـام طَحُـون كـالمَجَـرَّة فَيْلَق [4]
ولكنَّـهم كـانـوا وبـاراً [5] تـتبَّـعتْ شِعـاب حجـازٍ غيـر ذي مُتَنَفَّق [6]

غزوة ذي قَرَد [7]

ثم قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة؛ فلم يُقِم بها إلّا ليالي قلائل، حتى أغار عُيَيْنة بن حصْن بن حُذَيفة بن بدر الفَزَاريّ؛ في خيل من غَطَفان على لقاح [8] لـرسول الله ﷺ بـالغابـة، وفيها رجـل من بني غفار وامـرأة له، فقتلوا الـرجل واحتملوا المرأة في اللقاح.

قـال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمـر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر، ومن لا أتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، كـلٌّ قد حـدّث في غزوة

---

(١) تناظروا: انتظروا.
(٢) العُصَب: الجماعات.
(٣) السَّرَعان: الذين يتقدّمون الجيش، والسِّرب: الطريق.
(٤) الطَحون: الكتيبة الضخمة. والمجرّة: مجموعة من النجوم. والفيلق: الكتيبة.
(٥) الوبار: جمع وبر دُويبة صغيرة تشبه الهرّة.
(٦) المتنفّق: الذي له منفذ ينفذ منه.
(٧) وهي غزوة الغابة. أنظر عنها في: المغازي للواقدي ٢/٥٣٧ - ٥٤٩، والطبقات الكبرى ٢/٨٠ - ٨٤، وتاريخ الطبري ٢/٥٩٦ - ٦٠٤، وأنساب الأشراف ١/٣٤٨ رقم ٧٣٥، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٣، والمحبّر ١١٤ والكامل في التاريخ ٢/١٨٨ - ١٩١، ونهاية الأرب ١٧/٢٠١ - ٢٠٣، ومجمع الزوائد ٦/١٤٣، ١٤٤ وعيون التواريخ ١/٢٢٤ - ٢٢٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٣/٢٨٦ - ٢٩٦، وعيون الأثر ٢/٨٤ - ٨٨، والروض الأنف ٤/١٤ - ١٧.
(٨) اللقاح: الإبل الحوامل.

ذي قَرَد[1] بعضَ الحديث: أنه كان أول من نـذِر[2] بهم سَلَمة بن عمرو بن الأكوع الأسلميّ، غدا يريد الغابة[3] متوشّحاً قوسه ونَبْله، ومعه غلام لطلحة ابن عُبيد الله معه فَرَس له يقوده، حتى إذا علا ثنيّة الوداع نظر الى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سَلْع، ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يشتدّ في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحِق بالقوم، فجعل يردّهم بالنَّبْل، ويقول إذا رمى: خُذْها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرُّضَّع، فإذا وجّهت الخيل نحوه انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى، ثم قال: خُذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرُّضَّع، قال: فيقول قائلهم: أُوَيْكِعنا هو أول النهار[4].

تسابق الفرسان: قال: وبلغ رسولَ الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع، فترامت الخيول الى رسول الله ﷺ.

وكان أول من انتهى الى رسول الله ﷺ من الفرسان: المقداد بن عمرو، وهو الذي يقال له: المقداد بن الأسود، حليف بني زُهْرة، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار، عبّاد بن بِشْر ابن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء، أحد بني عبد الأشهل، وسعد بن زيد، أحد بني كعب بن عبد الأشهل، وأُسَيد بن ظهير، أخو بني حارثة بن الحارث: يُشَكّ فيه، وعُكاشة بن مِحصَن، أخو بني أسد بن خُزَيمة، وأبو عيّاش، وهو عُبيد بن زيد بن الصامت، أخو بني زُرَيق. فلما اجتمعوا الى رسول الله ﷺ أمّر عليهم سعد بن زيد، فيما بلغني، ثم قال: أخرج في طلب القوم؛ حتى ألحقك في الناس[5].

وقد قال رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيق، لأبي

---

(١) ذو قرد: قال السهيلي: بضمّتين، هكذا ألفيته مقيّداً عن أبي عليّ. والقرد في اللغة الصوف الرديء، يقال في مثل: عثرت على المغزل بآخرة فلم تدع بنجد قردة. (الروض الأنف ٤/١٤).

(٢) نَذِر: علم به فحذره.

(٣) الغابة: قال ابن سعد: هي على بريد من المدينة بطريق الشام.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٥٩٦، ٥٩٧، الطبقات الكبرى ٢/٨١.

(٥) الطبري ٢/٦٠١.

عيّاش: «يا أبا عيّاش، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً، هو أفرس منك فلحِق بالقوم»؟ قال أبو عياش: فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى بي خمسين ذِراعاً حتى طرحني، فعجبت أنّ رسول الله ﷺ: يقول «لو أعطيته أفرس منك»، وأنا أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بني زُريق أنّ رسولُ الله ﷺ أعطى فرس أبي عيّاش مُعاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلْدة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعدّ سَلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أُسَيد بن ظُهَير، أخا بني حارثة، والله أعلم أيّ ذلك كان. ولم يكن سَلَمة يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رِجْليه. فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا[1].

محرز بن نَضْلة ومقتله: قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمرو بن قَتادة: أنّ أول فارس لحِق بالقوم مُحرز بن نَضْلة، أخو بني أسد بن خُزَيمة ـ وكان يقال لمحرز: الأخرم، ويقال له قمير ـ وأنّ الفزع لما كان، جال فرس لمحمود بن مَسْلمة في الحائط، حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرساً صنيعاً[2] جامّاً[3]، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخْل هو مربوط فيه: يا قُمَير، هل لك في أن تركب هذا الفَرَس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطينه إيّاه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذّ الخيل بجمامه[4]، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قفوا يا معشر بني اللكيعة[5] حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرِيّه[6]

---

(١) تاريخ الطبري ٦٠١/٢، ٦٠٢، والحديث في مجمع الزوائد ١٤٢/٦، ١٤٤ وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي وهو ضعيف.

(٢) الفرس الصنيع: الذي يخدمه أهله، ويقومون عليه.

(٣) يقال: جمّ الفرس، إذا تُرك ولم يُركب.

(٤) الجِمام: كالسحاب، الراحة، والباء هنا للسببية.

(٥) اللكيعة: اللئيمة.

(٦) يقصد بالآريّة هنا الموضع الذي يُربط به الفرس.

من بني عبد الأشهل فلم يُقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقُتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقّاص بن مجزّز المُدْلجيّ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم.

أفراس المسلمين: **قال إبن اسحاق**: وكان اسم فرس محمود: ذا اللّمّة[1].

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق[2]، واسم فرس المقداد بعزجة[3]، ويقال: سبحة، واسم فرس عُكّاشة بن مِحْصَن: ذو اللّمّة[4]، واسم فرس أبي قتادة: حزوة[5]، وفرس عبّاد بن بِشْر: لمّاع[6]، وفرس أُسَيد بن ظُهَير: مسنون[7]، وفرس أبي عيّاش: جُلوة[8].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض من لاأتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك: أنّ مُجزّزاً إنّما كان على فَرَس لعُكّاشة بن مِحْصَن، يقال له الجناح[9]، فقُتِل مُجزّز واستُلبت الجناح.

قتلى المشركين: ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربْعيّ،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٠٢، ٦٠٣.

(٢) فضل الخيل للدمياطي ١٧٨ و١٨٣، الحلبة ١٥٢ و١٥٩ و١٨٦.

(٣) فضل الخيل ١٦٨، ١٦٩، عقد الأجياد ٣٢٦، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ٤٥.

(٤) فضل الخيل ١١٧ و١٧١، ١٧٢، أنساب الخيل للكلبي ٣٠، وحلبة الفرسان ١٥٣، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ٨١.

(٥) فضل الخيل ١٧٤، الحلبة ٦٣.

(٦) فضل الخيل ١٧٥، المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ١٨٨.

(٧) المخصّص (الخيل ١٩٤)، الحلبة ١٩٥.

(٨) الحلبة ٥٥ والبعزجة: شدّة جري في مغالبة، كأنه منحوت من بعج إذا شقّ، وعزّ، أي: غلب. وأما سبحة فمن سبح إذا علا عُلُوّاً في اتّساع ومنه: سبحان الله، وسَبَحات الله: عظمته وعلوّه، لأن الناظر المفكر في الله سبحانه يسبح في بحر لا ساحل له، وأما حزوة: فمن حزوت الطير إذا زجرتها، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته، قال الشاعر:

تـرى الأمـعـز المحزو فـيـه كـأنـه ... من الحر واستقبالـه الشمس مسطح

وجلوة: من جلوت السيف، وجلوت العروس، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها. ومسنون من سننت الحديدة إذا صقلتها. (الروض الأنف ٤/١٥).

(٩) المخصّص (الخيل ١٩٦)، الحلبة ١٣٤.

أخو بني سَلِمة، حبيب بن عُيينة بن حصْن، وغشَّاه بُرده، ثم لحِق بالناس.

وأقبل رسولُ الله ﷺ في المسلمين.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم.

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مُسَجّى بُبرد أبي قَتادة، فاسترجع الناس وقالوا: قُتل أبو قَتادة، فقال رسولُ الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنّه قتيلٌ لأبي قَتادة، وضع عليه بُرْده، لتعرفوا أنه صاحبه.

وأدرك عُكّاشة بن محصَن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح، فقتلهما جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد، وتلاحق به الناس، فنزل رسولُ الله ﷺ به، وأقام عليه يوماً وليلة؛ وقال له سَلَم بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرّحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيّة السرْح، وأخذت بأعناق القوم؟ فقال له رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني: إنّهم الآن لَيُغبَقون[1] في غَطَفان.

تقسيم الفَيْء بين المسلمين: فقسّم رسولُ الله ﷺ في أصحابه في كل مئة رجل جَزُوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع رسولُ الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة[2].

لا نَـذْر في معصية: وأقبلت امرأة الغِفاريّ[3] على ناقة من إبل رسول الله ﷺ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر، فلما فرغت، قالت: يا رسول الله، إنّي قد نذرت لله أن أنحرها إن نجّاني الله عليها؛ قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: بئس ما جَزَيْتها أنْ حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنّما هي ناقة من

---

(١) الغبق: شرب اللبن بالعشيّ.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٣، ٦٠٤.

(٣) اسمها وليل.

إبلي، فارجعي الى أهلك على بركة الله[1].

والحديث عن امرأة الغفاريّ وما قالت، وما قال لها رسولُ الله ﷺ، عن أبي الزُّبير المكّي، عن الحَسَن بن أبي الحَسَن البصْريّ.

ما قيل من الشعر في يوم ذي قَرَد: وكان مما قيل من الشِعر في يوم ذي قَرَد قول حسّان بن ثابت:

لـولا الـذي لاقتْ[2] وَمسّ نُسُورها ... بجَنـوب سـايَـةَ أمسِ في التَقْـوادِ
لَـلَقينكـم يحـمِلْنَ كُـلَّ مُـدَجّـج ... حـامي الحقيقـة مـاجِدِ الأجـداد
ولَـسـرّ أولادَ الـلّقـيـطة أنّـنـا ... سِلْمٌ غَـداة فـوارس المِـقْـداد
كُنّـا ثمـانيـة وكـانـوا جَحْفـلاً ... لجِباً فشُكّـوا بـالـرِّمـاح بَـداد
كنّـا من الـقـوم الـذين يَلُونَـهم ... ويُـقَـدّمـون عِـنـان كـلّ جـواد
كـلّا وربّ الـرّاقصـات الى مِـنى ... يَقْـطَعن عُـرْض مخـارِمِ الأطْـواد[3]
حتى نُبيل[4] الخيل في عَـرَصـاتِكم ... ونَـؤوب بـالـمَـلَكـاتِ والأولاد
رَهْـواً بـكـلّ مُـقَـلّص وطِـمـرّةٍ ... في كـلّ مُعْتـرك عَـطَفْن ووادي[5]
أفـنـى دوابـرهـا ولاح مُتُـونَـهـا ... يـومٌ تُـقـادُ بـه ويـومُ طِـراد
فـكـذاك إنّ جيـادَنـا مَلْبـونـةٌ[6] ... والحـربُ مُشْعَلة بـريـح غَـواد
وسيـوفنـا بيضُ الحـدائـد تَجْتلي ... جُنَنَ الحـديـد وهـامَـة المُـرْتـاد[7]
أخـذ الإلـهُ عليـهـمُ لـحَـرامـه ... ولـعـزّة الـرحـمـن بـالأسْـداد
كـانـوا بـدارٍ نـاعمين فبُـدِّلـوا ... أيـامَ ذي قَـرَد وُجُـوه عـبـاد

---

(١) المغازي للواقدي ٢/٥٤٨.
(٢) الضمير في لاقت وما بعدها للخيل، والنسر كالنواة في باطن حوافر، وفي الفرس عشرون عضواً، كل عضو منها يسمّى باسم طائر، النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعْدانة وهي الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغُراب والصرد والصّقْر والحرب والناهض، وهو فرخ العقاب والخطاب الخ. (الروض الأنف ٤/١٩)
(٣) الراقصات: الإبل. والرقص للإبل: نوع من المشي. المخارم: الطرق. الأطواد: الجبال.
(٤) نُبيل الخيل: نجعلها تبول.
(٥) الرهو: المشي في تُؤدة. المُقَلّص: المشمّر. طمرّة: فرسة سريعة. روادي: سريعة.
(٦) ملبونة: تسقي اللبن.
(٧) تجلى: تقطع. الجُنَن: الأسلحة. والمُرتاد: المحارب.

قال ابن هشام: فلما قالها حسّان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف أن لا يكلّمه أبداً؛ قال: انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد! فاعتذر إليه حسّان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكنّ الرويّ وافق اسم المقداد؛ وقال أبياتاً يُرضي بها سعداً:

إذا أردتُم الأشدّ الجَلْدا أو ذا غَناء فعليكم سَعْدا
سعد بن زيد لا يُهَدّ هدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْنِ شيئاً.

وقال حسّان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أَظَنّ عُيَيْنَةُ إذ زارها بأنْ سوف يَهْدِم فيها قُصورا
فأُكْذِبْت ما كنتَ صدّقْته وقُلتم سَنَغْنَمُ أمراً كبيرا
فعِفْتَ المدينة إذ زُرْتها وآنَسْت للأُسْد فيها زئيرا
فولّوْا سِراعاً كشدّ النّعام ولم يكشفوا عن مُلِطّ حصيرا[1]
أميرٌ علينا رسولُ المليك أحبب بذاكَ إلينا أميرا
رسولٌ نُصدّق ما جاءه ويتلُو كتاباً مُضيئاً مُنيرا

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قَرَد للفوارس:

أتحسَبُ أولادُ اللّقيطة أنّنا على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وإنّا أُناسٌ لا نرى القتْل سُبّةً ولا نَنْثني عند الرّماح المداعس[2]
وإنّا لَنَقري الضّيف من قَمَع الذُرا ونَضْرب رأسَ الأبْلخ المُتشاوس[3]
نرُدّ كُماة المُعْلَمين إذا انتخَوْا بضرْب يُسَلّي نخْوة المُتَقاعِس[4]

---

(١) مُلَط: من قولهم: الطّت النّاقة بذَنَبها إذا وضعته بين فخذيها؛ يريد أنهم لم يستطيعوا الإغارة على العير ولم يكشفوا ما تستتر به.
(٢) المَداعس: المطاعن.
(٣) قمع الذرا: أعالي الأسنمة. الأبلخ: المتعاظم. المتشاوس: الجريء في القتال.
(٤) انتخوا: تكبّروا. المتقاعس: الراكب رأسه.

بكلّ فتىً حامي الحقيقة ماجدٍ كريمٍ كسِرْحان الغَضاة مُخالس[1]
يَذُودون عن أحْسابهم وتِلادِهم ببِيضٍ تَقُدّ الهامَ تحت القَوانِس
فسائِلْ بني بدْر إذا ما لَقِيتَهم بمَا فعل الإخوانُ يوم التَّمارُس
إذا ما خَرجتمْ فاصدقوا من لَقِيتُم ولا تَكْتُموا أخباركم في المجالس
وقولوا زَلَلْنَا عن مَخالب خادر به وحَرٌّ ففي الصدر ما لم يُمارِس[2]

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وإنّا لَنُقْري الضَّيفَ» أبو زيد.

قال ابن إسحاق: وقال شدّاد بن عارض الجُشَميّ، في يوم ذي قَرَد: لعُيَينة بن حصْن، وكان عُيَيْنة بن حصْن يُكَنَّى بأبي مالك:

فهلّا كررتَ أبا مالك وخيلُك مُدبرة تُقْتَل
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر وهَيْهات قد بعُد المُقْفَل[3]
وطَمَّنْتَ نَفسَك ذا مَيْعة مِسحَ الفضاء إذا يُرْسَل[4]
إذا قَبَّضَتْه إليك الشمَا لَ جاشَ كما اضطَرم المِرْجَل
فلما عرفتم عِبادَ الإلـ ـه لم يَنْظر الآخرَ الأول
عرفتم فَوارِسَ قد عُوِّدُوا طِرَاد الكُماة إذا أسهلوا[5]
إذا طَرَدُوا الخيلَ تَشْقَى بهم فِضاحاً وإن يُطْرَدوا ينْزِلوا
فيعتصموا في سواء المُعَا م بالبِيض أخلَصَها الصَّيْقَل

---

(١) السرحن: الذئب. وغضاة: جمعها غضا: شجر خشبه من أصلب الخشب وجمره شديد الالتهاب، ويقال ذئب الغضا: مَثَل يُضرب في الخداع والاحتيال.

(٢) الخادر: الأسد الذي يلازم الخدْر وهو بيته. الوَحَر: الحقْد.

(٣) عَسْجَر: موضع بمكة.

(٤) «ذامَيْعة»: ذو نشاط. المسح: الكثير الجري.

(٥) أسهلوا: نزلوا السهل.

غزوة بني المُصْطَلِق[1]

في شعبان سنة ستّ

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جُمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المُصْطَلِق من خُزاعة[2]، في شعبان سنة ست[3].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفَارِيّ؛ ويقال: نُمَيلة بن عبدالله اللَّيْثِيّ.

سببها: **قال ابن إسحاق**: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، وعبدالله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حِبّان، كلٌّ قد حَدّثني بعضَ حديث بني المُصْطَلِق، قالوا: بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ بني المُصْطَلِق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرار أبو جُويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ. فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم، حتى لقِيهم على ماء لهم يقال له:

(١) انظر عنها في: المغازي لعروة ١٩٠، ١٩١، المغازي للواقدي ١/٤٠٤ وما بعدها، الطبقات الكبرى ٢/٦٣ - ٦٥، تاريخ خليفة ٨٠، تهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٣٣٦، أنساب الأشراف ١/٣٤١ رقم ٧٢٩، الدرر ٢٠٠ وما بعدها، المحبّر ١١٤، الكامل في التاريخ ٢/١٩٢ - ١٩٤، نهاية الأرب ١٧/١٦٤ - ١٦٦، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/٦٠٤ - ٦١٠، مجمع الزوائد ٦/١٤٢، ١٤٣ عيون الأثر ٢/٩١ - ٩٦، سيرة ابن كثير ٣/٢٩٧ - ٣٠٣، عيون التواريخ ١/٢٢٨ - ٢٣٠.

(٢) وهم بنو جُذيمة بن كعب من خُزاعة، فجذَيمة هو المُصطلق وهو مفتعل من الصَّلْق، وهو رفع الصوت. (الروض الأنف ٤/١٧).

(٣) الطبري ٢/٦٠٤.

المُرَيْسيع[1]، من ناحية قُدَيد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المُصْطَلِق، وقتل من قتل منهم، ونفّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه[2].

استشهاد ابن صُبابة خطأ: وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صُبابة؛ أصابه رجل من الأنصار من رهْط عُبادة بن الصّامت، وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأ[3].

الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة للناس، ومع عمر بن الخطّاب أجير له من بني غِفَار، يقال له: جَهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسِنان بن وبر[4] الجُهَنيّ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجُهَنيّ: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهجاه: يا معشر المهاجرين[5]: فغضب عبدالله بن أبيّ بن سلول، وعنده رهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حَدَث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش[6] إلّا

---

(١) المُرَيْسيع، وهو ماء لخُزاعة، وهو من قولهم: رسعت عين الرجل: إذا دمعت من فساد.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٤، الكامل ٢/١٩٢.

(٤) وقيل إنه: سنان بن تميم، من جُهينة بن سود بن أسلم حليفي الأنصار. (الروض الأنف انظر الروض الأنف ٤/١٥.

(٥) وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما، قال: دعوها فإنّها منتنة، يعني: إنّها كلمة خبيثة، لأنّها من دعوى الجاهلية، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً، فإنّما ينبغي أن تكون الدعوة يا للمسلمين؛ فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجّه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يُجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبي موسى الأشعريّ في جلده النابغة الجَعْديّ خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر، فأقبل يشتدّ بعصبة له. والقول الثاني: إنّ فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلّا في حدّ، والقول الثالث: اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سدّ الذريعة وإغلاق باب الشرّ، إما بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلْد.

فإن قيل: إنّ النبيّ ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها؟ قلنا: قد قال: دعوها فإنّها منتنة، فقد أكّد النّهي، فمن عاد إليها بعد هذا النّهي، وبعد وصف النبيّ ﷺ لها بالإنتان وجب أن يؤدّب. (الروض الأنف ٤/١٧).

(٦) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين.

كما قال الأول: سَمِّنْ كلبَك يأكلْك، أما واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. ثم أقبل على مَن حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحْللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطّاب، فقال: مُرْ به عبّاد بن بِشْر فلْيقتلْه. فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يَقتل أصحابه! لا ولكنْ أذِّن بالرحيل»، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس[1].

نفاق ابن أُبَيّ: وقد مشى عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول إلى رسول الله ﷺ، حين بلغه أنّ زيد بن أرْقم قد بلغه ما سمع منه، فحلِف بالله: ما قال، ولا تكلّمت به. ـ وكان في قومه شريفاً عظيماً ـ، فقال من حضر رسولَ الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال، حَدَباً على ابن أُبَيّ بن سلول، ودفْعاً عنه[2].

قال ابن إسحاق: فلمّا استقلّ رسول الله ﷺ وسار، لقيه أُسَيْد بن حُضَيْر، فحيّاه بتحيّة النُّبوّة وسلّم عليه، ثم قال: يا نبيّ الله، والله لقد رحت في ساعة منكَرَة، ما كنت تروح في مثلها؛ فقال له رسول الله ﷺ: «أوَ ما بلغَك ما قال صاحبكُم»؟ قال: وأيّ صاحب يا رسول الله قال: «عبدالله بن أُبَيّ»؛ قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إنْ رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ»، قال: فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت، هو والله الذّليل وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله، ارفقْ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنّ قومَه لينظمون له الخَرَز ليُتَوّجوه، فإنّه ليرى أنّك قد استلبته مُلكاً[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٠٥، ٦٠٦، الكامل في التاريخ ٢/١٩٣، تاريخ الإسلام (المغازي) والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦/٦٥، ٦٦)، سورة المنافقون، ومسلم في كتاب البرّ والصلة (٢٥٨٤) باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٦، الكامل ٢/١٩٣.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدْر يومهم ذلك حتّى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبدالله بن أُبَيّ.

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النقيع؛ يقال له: بقعاء[1]. فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوّفوها؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوها، فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفّار». فلما قدِموا المدينةَ وجدوا رِفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بني قَيْنُقاع وكان عظيماً من عظماء يهود، وكهفاً للمنافقين، مات في ذلك اليوم[2].

ما نزل في ابن أُبَيّ: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أُبَيّ ومن كان على مثل أمره، فلما نزلَت أخذ رسول الله ﷺ بأُذُن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأُذُنه[3]. وبلغ عبدَ الله بنَ عبدالله بن أُبَيّ الذي كان من أمر أبيه.

موقف عبدالله من أبيه: قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن قَتادة: أنّ عبدالله أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّه بلغَني أنّك تريد قتل عبدالله بن أُبَيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّي، وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تَدَعْني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبَيّ يمشي في النّاس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ: «نترفّق به ونُحسن صحبته ما بقي معنا»[4].

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٦٠٧ «نقيع». وهما قولان. انظر معجم البلدان.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٠٧ وانظر الحديث عند مسلم (٢٧٨٢) كتاب صفات المنافقين واحكامهم.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٠٧، الكامل في التاريخ ٢/١٩٣، ١٩٤، البخاري ٦/٦٥.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٠٨، الكامل في التاريخ ٢/١٩٤، تاريخ الإسلام (المغازي).

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحَدَث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنّفونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؛ أما واللهِ لو قتلته يوم قلتَ أقتُله. لأُرْعِدتْ له آنُف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته» قال: قال عمر: قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله ﷺ أعظمُ بركةً من أمري[1].

مخادعة مِقْيَس: قال ابن إسحاق: وقدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكة مسلماً، فيما يظهر: فقال يا رسول الله، جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دِيةَ أخي، قُتل خطأً. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صُبابة؛ فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً؛ فقال في شِعر يقوله:

شفى النفسَ أنْ قد بات بالقاع مُسْنَداً ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِعِ[2]

وكانت همومُ النَّفْس من قبل قتْلِهِ ... تُلِمُّ[3] فتَحْميني وطاءَ المَضاجِعِ

حللْتُ به وِتْرِي وأدركت ثُؤرَتي[4] ... وكنتُ إلى الأوثان أوّل راجِعِ

ثأرتُ به فِهْراً وحمَّلْت عَقْلَه ... سَراةَ بني النَّجّار أربابَ فارِعِ[5]

وقال مِقْيَس بن صُبابة أيضاً:

جَلَّلْتُه ضربةً لها وشَلٌ[6] ... من نافع الجَوْفِ يعلُوهُ وينصرِمُ

فقلتُ والموتُ تغشاهُ أَسِرَّتُه[7] ... لا تأمَنَنَّ بني بكرٍ إذا ظُلِموا

قال ابن هشام: وكان شعار المسلمين يوم بني المُصْطَلِق: يا منصور، أمِت أمِت.

---

(1) تاريخ الطبري ٢/٦٠٨، ٦٠٩، الكامل في التاريخ ٢/١٩٤.

(2) الأخادع: يريد الأخدعان: وهما عِرْقان بالقفا.

(3) تُلمّ: تحيط، أو تحلّ.

(4) الوتر: طلب الثأر. والثؤرة: الثأر.

(5) فارع: حصن لبني النجّار بالمدينة.

(6) الوشل: القطر. ويريد بناقع الجوف: الدم.

(7) الأسِرّة: التكسّر الذي يكون في جلد الوجه والجبهة.

قتل بني المُصْطَلِق: **قال ابن إسحاق:** وأصيب من بني المُصْطَلِق يومئذ ناس، وقتل عليّ بن أبي طالب منهم رجلين، مالكاً وابنه، وقتل عبدالرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم، يقال له: أحمر، أو أُحَيْمر.

جُويرية بن الحارث رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبْياً كثيراً، فشا قَسْمه في المسلمين؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن اسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَير، عن عُروة بن الزُّبير، عن عائشة. قالت: لما قسّم رسول الله ﷺ سبايا بني المُصْطَلِق، وقعت جُويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشمّاس، أو لابن عمٍ له، فكاتَبَتْه على نفسها، وكانت امرأة حُلوةُ مُلاَّحة[1]، لا يراها أحد إلاّ أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالِله ما هو إلاّ أن رأيتها على باب حجْرتي فكرِهتها: وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار سيّد قومه، وقد أصابني من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قَيْس بن الشمّاس، أو لابن عمٍّ له، فكاتَبْتُه على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي؛ قال: «فهل لك في خيرٍ من ذلك»؟ قالت: «وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوّجك»؛ قالت: نعم يا رسول الله؛ قال: «قد فعلت»[2].

---

(١) المُلاَّحة: الشديدة الملاحة.

(٢) وكان نظره عليه السلام لجُوَيرية حتى عرف من حُسنها ما عرف، فإنّما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حُرّة ما ملأ عينه منها، لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها، كما نظر الى المرأة التي قالت له: إنّي قد وهبت لك نفسي يا رسول الله، فصعّد فيها النظر ثم صوّب، ثم أنكحها من غيره، وقد ثبت عنه عليه السلام الرُّخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها، وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة: لو نظرت إليها فإنّ ذلك أحرى أن يؤدم بينكما، وقال مثل ذلك لمحمد بن مَسْلمة حين أراد نكاح ثُبيتة بنت الضّحّاك، وقد أجازه مالك في إحدى الروايتين عنه، وفي مُسْنَد البزّار، من طريق أبي بكرة: لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج، وأورد في الباب قوله=

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أنّ رسول الله ﷺ قد تزوّج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضِرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إيّاها مائة أهل بيت من بني المُصْطَلِق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركةً منها[1].

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق ومعه جُويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدِم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضِرار بفداء ابنته؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيَّبهما في شِعْبٍ من شِعاب العقيق، ثم أتى إلى النَّبيّ ﷺ وقال: يا محمد، أصبتُم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيَّبْتَهما بالعقيق، في شِعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما اطّلَع على ذلك إلاّ الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبيّ ﷺ، ودُفعت إليه ابنته جُويرية، فأسلمت، وحسُن إسلامها؛ فخطبَها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فزوّجه إيّاها، وأصدقها أربعمائة دِرْهم.

قال ابن اسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أنّ القوم قد همّوا بقتله، ومنعوه ما قِبَلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون في ذِكر غزوهم، حتى هَمَّ رسول الله ﷺ بأن يغزوهم، فبيناهم على ذلك قدِم وفْدهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه

= عليه السلام لعائشة: أُريتكِ في المنام يجيء بك المَلَك في سُرقة من حرير، فكشفت عن وجهك، فقال: هذه امرأتك، فقلت: إن يكن من عند الله يُمْضه. وهذا الاستدلال حَسَن. (الروض الأنف ٤/ ١٩)، والخبر في تاريخ الإسلام (المغازي).

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١١٨، تاريخ الإسلام (المغازي)، تاريخ الطبري ٢/ ٦١٠.

لنُكْرمه، ونؤدّي إليه ما قِبَلنا من الصدقة، فانشمر[1] راجعاً، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنّا خرجنا إليه لنقتله، ووالله ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...﴾ إلى آخر الآية[2].

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، كما حدّثني من لا أتّهمَ عن الزُّهْرِيّ، عن عُروة، عن عائشة رضي الله عنها، حتى إذا كان قريباً من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.



(١) انشمر: أسرع.

(٢) سورة الحجرات - الآية ٦.

خبر الإفْك في غزوة بني المُصْطَلِق[1]

قال ابن إسحاق: حدّثنا الزُّهْرِيّ، عن علقمة بن وقّاص، وعن سعيد بن جُبير، وعن عُروة بن الزُّبير، وعن عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة، قال: كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت لك الذي حدّثني القوْم.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزُّبير، عن أبيه، عن عائشة وعبدالله بن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبدالرحمن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكلٌّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه، وكلٌّ كان عنها ثقة، فكلّهم حدّث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه؛ فلما كانت غزوة بني المُصْطَلِق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنّ معه، فخرج بي رسول الله ﷺ.

قالت: وكان النّساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق[2] لم يهِجْهُنّ اللحم

---

(١) انظر عنه في: صحيح البخاري ٥/٥٥ ـ ٦١ باب حديث الإفك، وتاريخ الطبري ٢/٦١٠ ـ ٦١٩، والكامل في التاريخ ٢/١٩٥ ـ ١٩٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وسيرة ابن كثير ٣/٣٠٤ ـ ٣١١، وعيون الأثر ١٧/٩٦ ـ ١٠٣، وعيون التواريخ ١/٢٣٠ ـ ٢٣٧.

(٢) العُلَق: جمع علقة: ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية.

فيثقُلْن، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هَوْدَجي، ثم يأتي القوم الذين يرحِّلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة فنزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عُنُقِي عِقْدٌ لي، فيه جَزْع ظِفار[1]، فلما فرغت انسَلّ من عُنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحْل ذهبت ألتمسه في عُنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتّى وجدته، وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يرحّلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنّون أنّي فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب. قد انطلق الناس.

قالت: فتلفّفت بجلبابي، ثم اضطَجعت في مكاني، وعرفت أنْ لو قد افتُقدت لرُجِع إليّ، قالت: فوالله إني لمضطَجعة إذ مرّ بي صَفْوان بن المعطّل السُلَميّ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته[2]، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ!

---

(١) الجَزْع: الخَرَز. ظِفَار: مدينة باليمن يُنسب إليها هذا الخَرَز.

(٢) وهو صفوان بن ربيضة بن خُزاعي بن محارب بن مُرّة بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بهْثة بن سُليم السُلمي. الذَكْوانيّ، يُكنّى أبا عمرو، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين، حتى يأتيهم به، ولذلك تخلّف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، وقد رُوي في تخلّفه سبب آخر، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحّة هذا حديث أبي داود أنّ امرأة صفوان اشتكت به الى النبيّ - ﷺ - وذكرت أشياء منها أنه لا يصلّي الصبح، فقال صفوان: يا رسول الله إنّي امرؤ ثقيل الرأس لا استيقظ حتى تطلع الشمس. فقال له النّبيّ عليه السلام: فإذا استيقظت فصلِّ، وقد ضعّف البزّار حديث أبي داود هذا في مُسنَده. وقُتل صفوان بن المعطّل شهيداً في خلافة معاوية، واندقّت رِجْله يوم قُتل. فطاعن بها، وهي متكسّرة حتى مات، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمشاط. (الروض الأنف ٤/ ٢٠).

وأنا متلفِّفة في ثيابي؛ قال: ما خلَّفك يرحمكِ الله؟ قالت: فما كلَّمته، ثم قرَّب البعير، فقال: اركبي، واستأخر عنّي. قالت: فركبتُ، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً، يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتُقِدْتُ حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما أطمأنّوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج[1] العسكر، ووالله ما أعلم بشيءٍ من ذلك.

ثم قدِمْنا المدينة، فلم ألبثْ أن اشتكيتُ شكوىً شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبَويّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلاّ أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لُطْفه بي، كنت إذا اشتكيت رحِمني، ولَطُف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمّي تمرّضني - **قال ابن هشام:** وهي أم رُومان، واسمها زينب بنت عبد دهمان، أحد بني فِراس بن غَنْم بن مالك بن كِنانة - قال: «كيف تِيكُم»، لا يزيد على ذلك.

قال ابن إسحاق: قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي: لو أذنْتَ لي، فانتقلت إلى أمّي، فمرّضَتْني؟ قال: «لا عليك». قالت: فانتقلت إلى أمّي، ولا عِلم لي بشيءٍ مما كان، حتى نَقِهتُ من وجعي بعد بضعٍ وعشرين ليلة، وكنّا قوماً عُرْباً لا نتّخذ في بيوتنا هذه الكُنُفَ التي تتّخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنّما كنّا نذهب في فُسَح المدينة، إنّما كانت النّساء يخرجن كلّ ليلة في حوائجهنّ، فخرجت ليلةً لبعض حاجتي ومعي أمّ مِسْطَح بنت أبي رُهْم بن المُطّلب بن عبدَ مناف، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن تَيْم، خالة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: قالت: فوالله إنّها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها[2]؛ فقالت: تعِس مِسْطَح! ومِسْطَح لَقَب واسمه عوف، قالت: قلْت: بئس لَعَمْر الله ما قلتِ لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت: أوَ ما بلغكِ الخبرُ يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل

---

(١) ارتعج: اضطّرب. وفي تاريخ الطبري ٢/٦١٢ «فارتجّ».
(٢) مِرْطها: كساؤها.

الإفك، قالت: قلت: أَوَقد كان هذا؟ قالت: نعم واللهِ فقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتّى ظننت أنّ البكاء سيصدع كبدي قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لكِ، تحدّث الناس بما تَحدّثوا به، ولا تذكرين لي من ذَلك شيئاً! قالت: أي بُنَية، خفّضي عليكِ الشأن، فوالله لقَلّما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبّها، لها ضرائر، إلاّ كثَّرن وكثَّرَ الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيُّها الناس، ما بال رجال يُؤْذُونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحقّ، واللهِ ما علمت منهم إلاّ خيراً، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمت منه إلاّ خيراً، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلاّ وهو معي».

قالت: وكان كُبْر ذلك[1] عند عبدالله بن أُبَيّ بن سَلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مِسْطَح وحَمْنَة بنت جحش، وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني[2] في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدِينها فلم تقل إلاّ خيراً، وأما حَمْنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادّني[3] لأختها، فشقِيت بذلك.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أُسَيْد بن حُضَير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمُرْنا بأمرك، فوالله إنّهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم؛ قالت: فقام سعد بن عُبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً فقال: كذبتَ لَعَمْر الله، لا نضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلاّ أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا

---

(١) كُبْر ذلك: إثمة.

(٢) في الأصول: تناصبني ولكن قال السهيلي في الروض الأنف أنّ الحديث في تناصيني من المناصاة، أي: المساواة. (الروض الأنف ٤/٢١).

(٣) في تاريخ الطبري ٢/٦١٤ «تضارّني». بالراء.

من قومك ما قلت هذا، فقال أُسَيْد: كذبت لَعَمْر الله، ولكنّك منافق تجادل عن المنافقين: قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرّ. ونزل رسول الله ﷺ، فدخل عليَّ.

قالت: فدعا عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما: فأمّا أسامة فأثنى عليّ خيراً، وقاله: ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلاّ خيراً، وهذا الكذِب والباطل؛ وأما عليّ فإنه قال: يا رسول الله إنّ النساء لكثير، وإنّك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنّها ستصدُقُك. فدعا رسول الله ﷺ بُرَيْرَة ليسألها؛ قالت: فقام إليها عليّ بن أبي طالب، فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقي رسولَ الله ﷺ؛ قالت؛ فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنت أعِيب على عائشة شيئاً، إلاّ أنّي كنت أعجن عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله[1].

قالت: ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إنّه قد كان ما قد بلغكِ من قول الناس، فاتّقي الله، وإنْ كنت قد قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده؛ فواللهِ ما هو إلاّ أن قال لي ذلك، فقلّص[2] دمعي حتى ما أحسّ منه شيئاً، وانتظرت أبَوَيّ أن يجيبا عنّي رسولَ الله ﷺ، فلم يتكلّما قالت: وايْمُ الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن ينزّل اللهُ فيّ قرآناً يُقرأ به في المساجد، ويُصَلَّى بِه، ولكنّي قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذّب به الله عنّي، لِما يعلم من براءتي، أو يُخبر خبراً؛ فأما قرآن ينزل فيّ، فواللهِ لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك. قالت: فلما لم أر أبَوَيّ يتكلّمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسولَ الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه؛ قالت: والله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام؛ قالت: فلما أن استعجما عليّ، استعبرت

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٦١٥ «فيأتي الداجن فيأكله».

(٢) في تاريخ الطبري ٢/٦١٥ «فتقلّص».

فبكيت؛ ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً. والله إنّي لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة، لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدّقونني. قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره؛ فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[1]. قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه، فسُجِّي بثوبه ووُضعت له وسادة من أدَمٍ تحت رأسه، فأمّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أنّي بريئة، وأنّ الله عزّ وجلّ غير ظالمي، وأمّا أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجنّ أنفسهما، فَرَقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ، فجلس، وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان[2] في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: «أبشِري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك»، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فَخَطَبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمِسْطَح بن أثاثة، وحسّان بن ثابت، وحَمْنَة بنت جحش، وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة، فضُربوا حَدّهم[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني أبي إسحاق بن يسار، عن بعض رجال بني النَّجّار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له إمرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنتِ يا أمَّ أيّوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خيرٌ منك[4].

قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً

(١) سورة يوسف ـ الآية ١٨.
(٢) الجُمان: اللؤلؤ.
(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢/٦١١ ـ ٦١٦، وفي تفسير الطبري باختلاف ١٨/٧١ ـ ٧٤.
(٤) تاريخ الطبري ٢/٦١٧.

لَكُمْ بَلْ هُوَ خيرٌ لَكُمْ، لكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ ، وَالَّـذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وذلك حسَّان بن ثابت. وأصحابه الذين قـالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه.

قال ابن هشام: والـذي تولّى كِبْره عبدالله بن أُبَيّ، وقـد ذكر ذلـك ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هـذا. ثم قال تعـالى: ﴿لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَّ المُؤْمِنُـونَ وَالمُؤْمِنَـاتُ بِـأَنْفُسِهِمْ خَيْـراً﴾[2]: أي فقـالـوا كمـا قـال أبـو أيـوب وصاحبته، ثم قال: ﴿إذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَـا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[3].

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال، أبـو بكر، وكـان ينفق على مِسْطَح لقرابتـه وحاجتـه: والله لا أنفق على مِسْطَح شيئـاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعـائشة، وأدخـل علينا، قـالت: فأنـزل الله في ذلك: ﴿وَلاَ يأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى وَالمَسَاكِينَ والمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُـوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِـرَ اللهُ لَكُمْ، واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

قال ابن هشام: يقـال: كِبْره وكُبْـره في الروايـة، وأما في القـرآن فكِبْره بالكسر.

قال ابن هشام: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُم﴾ ولا يـأل أولوا الفضـل منكم ـ قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِيّ:

ألا ربَّ خصمٍ فيـك ألـوى رددْتُـه نصيـح على تَعْـذالـه غيرُ مُؤْتَـلِ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: ولا يـأتل أُولـوا الفضل: ولا يحلف

---

(١) سورة النور ـ الآية ١١.

(٢) سورة النور ـ من الآية ١٢.

(٣) سورة النور ـ الآية ١٥.

(٤) سورة النور ـ الآية ٢٢.

أولوا الفضل، وهو قول الحسن بن أبي الحَسَن البصْرِيّ، فيما بَلَغَنا عنه.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾[1] وهو من الألية، والألية: اليمين. قال حسّان بن ثابت:

آليتُ ما في جميع الناس مجتهداً   منّي ألِيَّة برٍّ غير إفْنَادِ[2]

وهذا البيت في أبياتٍ له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها. فمعنى: أن يؤتوا في هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[3] يريد: أن لا تضلّوا: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ﴾[4] يريد أن لا تقع على الأرض.

وقال ابن مفرّغ الحِمْيَريّ:

لاذَعَرْتُ السَّوَامَ في وَضَح الصُّبْـ   ـح مُغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا

يوم أُعطِي مخافة الموت ضَيْماً   والمنايا يرصُدْنني أنْ أحِيدا

يريد: أن لا أحيد؛ وهذان البيتان في أبياتٍ له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إنّي لأحبّ أن يغفر الله لي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ صفوان بن المُعَطّل اعترض حسّان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسّان قال شعراً مع ذلك يعرّض بابن المعطّل فيه، وبمن أسلم من العرب من مُضَر، فقال:

أمسى الجلابيبُ قد عزُّوا وقد كثروا   وابنُ الفُرَيْعةِ أمسى بَيْضَةَ البلدِ[5]

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٢٦.

(٢) الإفناد: الكذب.

(٣) سورة النساء - الآية ١٧٦.

(٤) سورة الحج - الآية ٦٥.

(٥) الجلابيب: لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم. بيضة البلد: أي منفرد.

قـد ثَكِلَتْ أُمُّهُ من كنتَ صـاحبَهُ أو كـان مُنْتَشِباً في بُـرْثُنِ الأسـد[1]
مـا لقتيلي الـذي أغْـدُوا فـآخـذه من دِيَـةٍ فيـه يُعْـطاهـا ولا قَـوَدِ
مـا البحرُ حين تَهبُّ الـريحُ شـامِيَةً فيَغْـطَئِلُّ ويَـرْمي العِبْر بـالـزَّبَـد[2]
يـومـاً بـأغْلَبَ منّي حينَ تُبْصِـرُني مِلْغيْظٍ أفري كفَرْيِ العـارض البَرِدِ[3]
أمّـا قـريشٌ فـإنّي لن أُسَـالِمَهـمْ حتى ينيبُـوا من الغيَّـاتِ لـلرُّشْـدِ
ويتـرُكـوا الـلّاتَ والعُـزَّى بمعْـزِلـةٍ ويسجُـدُوا كلّهم للواحـد الصَّمَـدِ
ويشهـدوا أن مـا قـال الـرسـولُ لَهُمْ حقٌّ ويُـوفـوا بعهـدِ الله والـوُكُـدِ

فاعترضه صفوان بن المعطّل، فضربه بالسيف، ثم قـال: كما حدّثني يعقوب بن عُتبة:

تَـلَقَّ ذُبـاب السّيفِ عنّي فـإنّني غـلامٌ إذا هُـوجِيتُ لست بشـاعـرِ[4]

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني محمد بن إبـراهيم بن الحارث التّيْميّ: أنَّ ثـابت بن قيس بن الشّمـاس وثب على صفـوان بن المعطّل، حين ضـرب حسّان، فجمع يـديه إلى عُنقه بحبل، ثم انـطلق به إلى دار بني الحـارث بن الخزرج، فلقِيه عبد الله بن رَواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أمـا أعجبك ضـرْب حسّان بالسيف! والله ما أراه إلاّ قد قتله، قال له عبـدالله بن رواحَة: هـل علم رسـول الله ﷺ بشيءٍ مما صنعت؟ قـال: لا والله؛ قال: لقـد اجترأت، أطلِق الـرجلَ، فـأطلقه، ثم أتـوا رسولَ الله ﷺ، فـذكروا ذلـك له، فـدعـا حسّـان وصفـوان بن المعطّل؛ فقـال ابن المعطّل: يـا رسـول الله: آذاني وهجـاني، فاحتملني الغضب، فضربته، فقال رسول الله ﷺ لحسّان: «أحسِن يا حسّان، أتشوّهت[5] على قومي أنْ هداهم الله للإسلام»، ثم قال: أحسِن يـا حسّان في

---

(١) البرثن: يد الأسد مع أصابعه.
(٢) يغطئلّ: يتحرّك. العِبْر: جانب البحر.
(٣) أفري: أقطع. العارض البَرِد: السحاب الحامل للبَرَد. والأبيات حتى هنا في تاريخ الطبري ٦١٨/٢.
(٤) تاريخ الطبري ٦١٨/٢.
(٥) أتشوّهت على قومي: أقبحت ذلك من فِعلهم حين سمّيتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله. هكذا قال السهيلي في (الروض الأنف ٢٢/٤).

الذي أصابك»، قال: هي لك يا رسول الله[1].

قال ابن هشام: ويقال: أَبْعَدَ أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن إبراهيم: أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضاً منها بَيْرُحاء، وهي قصر بني جُدَيلة اليوم بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طلحة بن سهل تصدَّق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسَّانَ في ضربته وأعطاه سيرين، أَمَة قبطيّة، فولدت له عبدَالرحمن بنَ حسّان، قال: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطّل، فوجدوه رجلاً حَصُوراً، ما يأتي النساء، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً[2].

قال حسّان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَى من لحوم الغَوافِل[3]

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦١٩.

(٣) حَصَان: فَعال بفتح الحاء يكثر في أوصاف المؤنّث: وفي الأعلام منها، كأنهم قصدوا بتوالي الفَتحات مشاكلة خفّة اللفظ لخفّة المعنى، أي المسمّى بهذه الصفات خفيف على النفس، وحَصَان من الحصن والتحصّن، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها، وقالت جارية من العرب لأمّها:

يا أمّتا أبصرني راكب ... يسير في مسحَنْفر لاحبِ

جلعت أحثي التراب في وجهه ... حَصْناً وأحمي حوزة الغائبِ

فقالت لها أمها:

الحَصَن أدنى لو تآبيته ... من حثْيك التُرْب على الراكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات الإيضاح. والرزان والثقال بمعنى واحد، وهي القليلة الحركة.

وقوله: وتصبح غَرْثَى من لُحوم الغوافل، أي خميصة البطن من لُحوم الناس، أي اغتيابهم وضرب الغَرث مثلاً، وهو عدم الطعم وخُلوّ الجوف وفي التنزيل ﴿أيحبّ أحدُكم أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخيه ميتاً﴾ ضرب المثل لأخذه في العِرْض بأكل اللحم. لأنّ اللحم ستْر على العظْم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستْره.

وقال: ميتاً، لأن الميت لا يحسّ، وكذا الغائب لا يسمع ما يقوله فيه المغتاب، ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت. =

عقيلة حيّ من لُؤَيِّ بن غالبٍ ... كِرام المساعي مجدُهم غير زائل
مهذَّبة قد طَيَّبَ الله خِيمها[1] ... وطهَّرها من كل سوء وباطل
فإنْ كنتُ قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رَفَعتْ سَوْطي إليَّ أناملي
وكيف ووُدّي ما حَييتُ ونُصْرتي ... لآل رسولِ الله زَيْنِ المحافل
له رَتَبٌ عالٍ على الناس كلِّهمْ ... تقاصَرُ عنه سَوْرَةَ المُتَطَاول
فإنَّ الذي قد قيل ليسَ بِلائطٍ ... ولكنَّه قولُ امرِيءٍ بي ماحِلٍ[2]

قال ابن هشام: بيته: «عقيلة حيّ» والذي بعده، وبيته: «له رتب عال»، عن أبي زيد الأنصاريّ.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أنّ امرأة مدحت بنت حسّان بن ثابت عند عائشة، فقالت:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بِريبةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَى من لُحوم الغوافِلِ

فقالت عائشة: لكن أبوها.

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسّان وأصحابه في فِرْيتهم على عائشة ـ **قال ابن هشام.** في ضرْب حسّان وصاحبيه ـ.

لقد ذاق حسّان الذي كان أهلَه ... وحَمْنةُ إذ قالوا هجيراً ومِسْطَحُ
تعاطَوْا بِرَجْم الغيب زوجَ نبيّهم ... وسَخْطة ذي العرش الكريم فأُتْرِحُوا[3]
وآذوا رسولَ الله فيها فَجُلِّلوا ... مَخازي تَبْقَى عُمِّموها وفُضِّحُوا
وصُبّت عليهم مُحْصَدات كأنّها ... شآبِيبُ قَطْر من ذُرى المُزْنِ تَسْفَح[4]

= وقوله: من لحوم الغوافل، يريد: العفائف الغافلة قلوبهنّ عن الشرّ، كما قال سبحانه: ﴿إنّ الّذينَ يَرْمُونَ المُحصنَاتِ الغَافلاتِ المؤمِناتِ﴾ جُعلن غافلات، لأنّ الذي رُمين به من الشرّ لم يَهْمَمْنَ به قطّ ولا خطر على قلوبهنّ، فهنّ في غفلة عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف. (الروض الأنف ٤/٢٣).

(١) الخِيَم: الطبع.

(٢) لائط: لاصق. ماحل: ماشي بالنميمة.

(٣) أُترحوا: من التَرَح وهو الحزن.

(٤) مُحصَدات. صفة لموصوف محذوف يعني سياطاً. والمحصدات: المفتولة. الشآبيب: الدفعات من المطر. تسفح: تسيل.



أمر الحديبية[1] في آخر سنة ستّ، وذِكْر بيعة الرضوان[2]

والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهيل بن عمرو:

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوّالاً وخرج في ذي القعدة معتمِراً، لا يريد حرباً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبدالله اللّيثيّ.

قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول

---

(١) يقال فيها: الحُديبية بالتخفيف، وهو الأعرف عند أهل العربية. قال الخطّابي: أهل الحديث يقولون: الحُديبيّة بالتشديد، والجُعْرّانة كذلك، وأهل العربية يقولونهما: بالتخفيف. وقال البكري: أهل العراق يشدّدون الراء والياء في الجُعرّانة والحُديبيّة، وأهل الحجاز يخفّفون. وقال أبو جعفر النّحاس: سألت كلّ من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحُديبية، فلم يختلفوا على أنّها بالتخفيف. (الروض الأنف ٤/٣٣).

(٢) أنظر عنها في: تاريخ الطبري ٢/٦٢٠ - ٦٣٩، وتاريخ خليفة ٨١، المحبّر ١١٥، المغازي لعروة ١٩٢ - ١٩٤، الدرر ٢٠٥ وما بعدها، جوامع السيرة ٢٠٧ وما بعدها، وصحيح البخاريّ ٥/٦١ - ٧٠، وصحيح مسلم، في الجهاد ٩٠ - ٩٧ صفحة ١٤٠٩ - ١٤١٣، والطبقات الكبرى ٢/١٩٥ - ١٠٥، والمغازي للواقدي ٢/٥٧١ - ٦٣٣، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٤، ٢٢٥، وأنساب الأشراف ١/٣٤٩ - ٣٥٢، والمعرفة والتاريخ ٣/٢٥٨، والكامل في التاريخ ٢/٢٠٠ - ٢٠٦، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١١٣ - ١٣٠، ونهاية الأرب ١٧/٢١٧ - ٢٣٣، ومرآة الجنان ١/١١، وسيرة ابن كثير ٣/٣١٢ - ٣٣٧، ومجمع الزوائد ٦/١٤٤ - ١٤٧، وعيون التواريخ ١/٢٣٨ - ٢٤٧.

الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحِق به من العرب، وساق معه الهَدْي، وأحرم بالعُمْرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنّما خرج زائراً لهذا البيت ومعظّماً له[1].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن الزُّهْريّ، عن عُروة بن الزُبير، عن مِسْوَر بن مَخْرمة، ومروان بن الحَكَم أنهما حدّثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحُدَيبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهَدْي سبعين بُدْنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كلّ بُدْنة عن عشرة نفر[2].

وكان جابر بن عبدالله، فيما بلغني، يقول: كنّا أصحاب الحُدَيبية أربع عشرة مئة[3].

قال الزّهْريّ: وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بعُسْفان لقِيه بِشْر بن سُفيان الكعبيّ ـ قال ابن هشام: ويقال بُسْر ـ فقال: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المطافيل[4]، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طُوَى[5] يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كُراع الغَميم[6] قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا ويْح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظنّ قريش، فوالله لا أزال

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٢٠.

(٣) أخرج نحوه البخاري في كتاب المغازي (٥/٦٣) باب غزوة الحديبية، ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٥٦) باب استحباب مبايعة الإمام. (ج ٣/١٤٨٤)، وانظر: تاريخ الطبري ٢/٦٢١، وتاريخ الإسلام (المغازي).

(٤) استعار العُوذ المطافيل للنساء مع أولادهنّ. والعُوذ هي الإبل حديثة النتاج. والمطافيل التي معها أولادها.

(٥) ذو طُوى: موضع قرب مكة.

(٦) كُراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»[1]، ثم قال: «مَن رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها»؟[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، قال: فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[3]، بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شقّ ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا نستغفر الله ونتوب إليه»، فقالوا ذلك، فقال: «والله إنّها للحِطّة[4] التي عُرضت على بني إسرائيل. فلم يقولوها»[5].

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ فقال: «اسلكوا ذات اليمين بين ظهريْ الحمش، في طريق تُخرجه على ثنيّة المرار مهبط الحُدَيبية من أسفل مكة، قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قَتَرَة[6] الجيش قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا سلك في ثنيّة المرار بركت ناقته، فقالت الناس: خلأت[7] الناقة، قال: «ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة يسألونني فيها صلة الرّحِم إلاّ أعطيتهم إياها». ثم قال للناس: «انزلوا»؛ قيل له: يا رسول الله: ما بالوادي ماء ننزل عليه، فأخرج سهماً من كِنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قَلِيب من تلك القُلُب. فغرزه في جوفه، فجاش الماء بالرواء[8] حتى ضرب الناس عنه بعَطَن[9].

---

(١) السالفة: صفحة العنق.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٢٢ و٦٢٣.

(٣) الأجرل: كثير الحجارة.

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿وقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾ ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهمّ حُطّ عنّا ذنوبنا.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٢٣.

(٦) القَتَرة: الغبار.

(٧) خلأت: بركت وحرنت عن المشي.

(٨) في تاريخ الطبري ٢/٦٢٤ «بالريّ».

(٩) العَطَن: مبرك الإبل حول الماء. والخبر في تاريخ الطبري ٢/٦٢٣، ٦٢٤.

قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم: أنّ الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جُندب بن عُمَير بن يَعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أبي حارثة، وهو سائق بُدن رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أفصى بن حارثة.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي بعض أهل العلم: أنّ البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجية، قد ظنّنا أنه هو الذي نزل بالسهم، فزعمت أسلم أنّ جارية من الأنصار أقبلت بدلْوها، وناجية في القَلِيب يميح على الناس[1]، فقالت:

يـا أيّها المائحُ دَلْوي دُونَكا ... إنّي رأيتُ النّاس يَحْمَدُونَكا
يُثْنونَ خيراً ويمجّدونكا

قال ابن هشام: ويُروَى:

إنّي رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق: فقال ناجية، وهو في القَلِيب يميح على الناس:

قد علمتْ جاريةٌ يَمَانِيهْ ... أني أنا المائحُ واسْمي ناجِيَهْ
وطَعنةٍ ذاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ[2] ... طَعَنتُها عند صدورِ العادِيَهْ

فقال الزُّهْريّ في حديثه: فلما اطمأنّ رسول الله ﷺ أتاه بُدَيل بن ورقاء الخُزاعيّ، في رجالٍ من خُزاعة، فكلّموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنّما جاء زائراً للبيت، ومعظّماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لِبشْر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش،

---

(١) يميح على الناس: يملأ دلاءهم.

(٢) الواهية: المسترخية من اتساعها.

إنكم تَعْجَلون على محمـد، إنّ محمداً لم يـأت لقتال، وإنّمـا جاء زائـراً هذا البيت، فاتّهموهم وجَبَهوهم[1] وقالوا: وإن كان جـاء ولا يريـد قتالاً، فـوالله لا يدخلها علينا عَنوةً أبداً، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب.

قـال الزُّهْـرِيّ: وكانت خُـزاعة عَيْبَـة نُصْـح[2] رسـول الله ﷺ، مسلمهـا ومشركها، لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة.

قال: ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص بن الأخْيَف، أخابني عامر بن لُؤَيّ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: هـذا رجل غـادر، فلما انتهى إلى رسـول الله ﷺ وكلّمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبُدَيـل وأصحابـه؛ فرجـع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

ثم بعثـوا إليـه الحُلَيس بن علقمـة أو ابن زَبّـان، وكـان يـومئـذٍ سيّـد الأحـابيش، وهو أحـد بني الحارث بن عبـد مَناة بن كِنـانـة، فلمـا رآه رسـول الله ﷺ قال: «إنّ هذا من قوم يتألّهون، فابعثـوا الهَدْي في وجهـه حتى يراه»، فلما رأى الهَدْي يسيل عليه من عُرْض[3] الوادي في قلائده[4]، وقد أكل أوبـاره من طول الحبس عن محلّه، رجع إلى قـريش، ولم يصل إلى رسـول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس، فإنّمـا أنت أعرابيّ لا علم لك[5].

قـال ابن إسحاق: فحـدّثني عبـدالله بن أبي بكـر: أنّ الحُلَيس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حـالفناكم، ولا على هـذا عاقدناكم. أَيُصَدّ عن بيت الله من جاء معظِّماً له! والذي نفس الحُلَيس بيده، لَتُخَلُّن بين محمد وبين ما جـاء له، أو لأنفـرنّ بالأحـابيش نفرةَ رجـلٍ واحد. قال فقالوا له: مَه، كُفَّ عنّا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[6].

---

(١) جبهوهم: واجهوهم بما يكرهون.

(٢) عَيْبة نُصح الرجل: موضع سِرّة.

(٣) عرض الوادي: جانبه.

(٤) القلائد: ما يعلق في أعناق الإبل علامة على انها هدى.

(٥) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٦٢٨.

قال الزُّهْريّ في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عُروة بن مسعود الثقفي؛ فقال: يا معشر قريش، إنّي قد رأيت ما يلقى منكم مَن بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وإنّي ولد ـ وكان عُروة لسبيعة بنت عبد شمس ـ وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت ومن أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمُتَّهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أوشاب الناس[1]، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها[2] بهم، إنّها قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل. قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنوة أبداً. وايْم الله، لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال: وأبو بكر الصِّدّيق خلف رسول الله ﷺ قاعد؛ فقال: امصُص بظْر الّلات[3]، أنَحْنُ ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قُحافة، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكنْ هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلّمه. قال: والمغيرة بن شُعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ، في الحديد. قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول: اكفُف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك؛ قال: فيقول عُروة: ويْحك! ما أفظعك وأغلظك! قال: فتبسّم رسول الله ﷺ؛ فقال له عُروة: من هذا يا محمد؟ قال؛ هذا ابن أخيك المغيرة بن شُعبة؛ قال: أي غدر، وهل غسلت سوءتك إلّا بالأمس.

قال ابن هشام: أراد عُروة بقوله هذا أنّ المغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيّان من ثقيف: بنو مالك رهْط المقتولين، والأحلاف رهْط المغيرة، فودَى عُروة المقتولين ثلاث عشرة دِية، وأصلح ذلك الأمر.

---

(١) أوشاب الناس: أخلاطهم.

(٢) بيضة الرجل: عشيرته. ويفضُها: يهلكها.

(٣) جاء في شرح نهاية الأرب ١٧ / ٢٢٤ (٥): أقام أبو بكر رضي الله عنه معبود عروة، وهو صنمه اللات مقام أمّه، لأن عادة العرب الشتم بلفظ الأم، فأبدله الصدّيق باللات، فنزّله منزلة امرأة تحقيراً لمعبوده.

قال ابن إسحاق: قال الزُّهْرِيّ؛ فكلّمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً.

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضّأ إلّا ابتدروا وضوءه، ولا بصق بصاقاً إلّا ابتدروه. ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه. فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إنّي قد جئت كسرى في مُلكه. وقيصر في ملكه، والنجاشيّ في ملكه، وإنّي والله ما رأيت ملكاً في قوم قطّ مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيءٍ أبداً، فرُوا رأيكم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ رسول الله ﷺ دعا خِراش بن أُميَّة الخُزَاعيّ، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعيرٍ له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلّوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض من لا أتّهم، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أنّ قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسينَ رجلاً، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأُخِذوا أخْذاً، فأُتِي بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل.

ثم دعا عمر بن الخطّاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إنّي أخاف قريشاً على نفسي. وليس بمكة من عدِيّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها، وغلظتي عليها، ولكنّي أدلّك على رجل أعزّ بها منّي، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنّما جاء زائراً لهذا البيت، ومعظّماً لحُرْمته[3].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٦٢٧، ونهاية الأرب ١٧/٢٢٦، وتاريخ الإسلام (المغازي).
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣١، تفسير الطبري ٢٦/٥٣، ٥٤.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣١.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمان بن عفان قد قُتِل[1].

بَيْعة الرضوان

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتِل: لا نبرح حتى نُناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بَيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله ﷺ يبايعنا على الموت، ولكنْ بايعنا على أن لا نَفِرّ.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلاّ الجَدّ بن قيس، أخو بني سَلِمة، فكان جابر بن عبدالله يقول: والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته. قد ضبأ[2] إليها، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أنّ الذي ذكر من أمر عثمان باطل[3].

قال ابن هشام: فذكر وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشَّعبيّ: أنّ أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سِنان الأسديّ.

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به عمّن حدّثه بإسناد له، عن ابن أبي مُلَيْكة عن ابن أبي عمر: أنّ رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٣١، ٦٣٢.

(٢) ضبأ إليها: احتمى بها.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٣.

أمر الهدنة: قال ابن إسحاق: قال الزُّهْريّ: ثم بعثت قريش سُهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لُؤَيّ، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائتِ محمداً فصالحه، ولا يكن في صُلحه إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنه دخلها علينا عَنوة أبداً[1]. فأتاه سُهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلّم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلّا الكتاب، وثب عمر بن الخطّاب، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أَوَلسنا بالمسلمين؟ قال. «بلى»، قال: أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فَعَلام نُعطي الدنيّة[2] في دِيننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غَرْزه[3]، فإنّي أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألستَ برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أَوَلسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أَوَليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»؛ قال: فعلام نُعطي الدنيّة في دِيننا؟ قال: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيّعني»! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدّق وأصوم وأصلّي وأُعْتِق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلّمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً[4].

شروط الصلح: قال: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: أكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال: فقال سُهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب: باسمك اللّهمّ، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهمّ، فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٣٣، نهاية الأرب ١٧/٢٢٩.

(٢) الدنيّة: الذّلّ.

(٣) إلزَمْ غَرْزه: أي الزم أمره.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤، نهاية الأرب ١٧/٢٢٩، ٢٣٠.

سُهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لوْ شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال: رسول الله ﷺ: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سُهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه، وإنّ بيننا عيبة مكفوفة[1]، وأنه لا إسلال ولا إغلال[2]، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم وأنّك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، السيوف في القرُب، لا تدخلها بغيرها[3].

أبو جندل بن سُهيل: فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسُهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سُهيل أبا جَندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلبيبه[4]، ثم قال: يا محمد، قد لجّت[5] القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت، فجعلَ ينْتِرُه[6] بتلبيبه، ويجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأُرَدّ إلى المشركين

---

(١) عيبة مكفوفة: أي صدور منطوية على ما فيها.
(٢) الإسلال: السرقة خفية. الإغلال: الخيانة.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٤، ٦٣٥.
(٤) في تاريخ الطبري ٢/٦٣٥ «بلببه».
(٥) لجّت: تمّت.
(٦) ينْتِره: يجذبه جذباً شديداً مع جفاء.

يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جَنْدل، آصبرْ واحتسِب، فإنّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله؛ وإنّا لا نغدر بهم»، قال: فوثب عمر بن الخطّاب مع أبي جَندل يمشي إلى جنبه؛ ويقول: إصبر يا أبا جندل، فإنّما هم المشركون، وإنّما دمُ أحدهم دمُ كلب. قال: ويُدْني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضنّ الرجل بأبيه، ونفذت القضية[1].

من شهدوا على الصلح: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخطّاب، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن سُهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقّاص، ومحمود بن مَسْلمة، ومِكْرز بن حفص، وهو يومئذٍ مُشرك، وعليّ بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة[2].

الإحلال: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلّ، وكان يصلّي في الحَرَم، فلما فرغ من الصلح قام إلى هدْيه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه، فيما بلغني، في ذلك اليوم خِراش بن أُميّة بن الفضل الخُزاعيّ[3]، فلما رأى الناس أنّ رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحُدَيبية، وقصّر آخرون. فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلّقين» قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «والمقصّرين»، فقالوا: يا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٣٥، ٦٣٦، نهاية الأرب ١٧/٢٣٢.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣٦، نهاية الأرب ١٧/٢٣٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٧.

رسـول الله: فلِمَ ظاهـرت الترحيم للمحلّقين دون المقصّـرين؟ قـال: «لم يشكُّوا»[1].

وقـال عبـدالله بن أبي نَجِيـح: حـدّثني مجـاهـد، عن ابن عبـاس: أنّ رسـول الله ﷺ أهدى عـام الحُدَيبيـة في هدايـاه جملاً لأبي جهـل، في رأسه بُرَة[2] من فضة، يغيظ بذلك المشركين[3].

نزول سورة الفتح: قال الزُّهْريّ في حديثه: ثم انصـرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كـان بين مكة والمـدينة، نـزلت سورة الفتـح: **﴿إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَـكَ الله مَا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَـا تَأَخَّـرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾**[4].

ثم كـانت فيه وفي أصحـابـه، حتى انتهى من ذكـر البيعـة، فقـال جـلّ ثناؤه: **﴿إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ الله، يَدُ الله فَوْقَ أَيْـدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَـإنَّمَـا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِـهِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَـا عَـاهَـدَ عَلَيْـهُ الله، فَسَيُؤْتِيـهِ أَجْـراً عَظِيماً﴾**[5].

---

(١) أخرج بنحوه البخـاري في كتـاب الحـج (٢/١٨٨، ١٨٩) بـاب الحلق والتقصيـر عنـد الإحلال، عن عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن عبدالله بن عمـر. ومسلم في كتاب الحج (٣١٦) باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصيـر، عن يحيى بن يحيى، ومحمـد بن رمـح، عن الليث، وعن قتيبـة، عن ليث، عن نـافـع. و(٣١٧) عن يحيى بن يحيى، قال قرأت على مالك، عن نـافع، عن عبـدالله بن عمر. و(٣١٨) و(٣١٩) و(٣٢٠) عن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وابن نمير وأبي كُريب، جميعاً عن ابن فضيل، قال زهير: حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. وأبو داود في كتاب المناسك (١٩٧٩) باب الحلق والتقصير. والترمـذي في كتاب الحـج (٩١٦) باب ما جاء في الحلق والتقصير. وابن ماجـة في كتاب المنـاسك (٣٠٤٣) و(٣٠٤٤) و(٣٠٤٥) باب الحلق. والدارمي في المناسك، باب (٦٤). ومالـك في الموطـأ كتاب الحـج (٨٩٦) بـاب الحـلاق. وأحمـد في المسنـد ١/٢١٦ و٢٥٣ و٢/١٦ و٣٤ و٧٩ و١١٩ و١٣٨ و١٤١ و١٥١ و٣/٢٠ و٨٩ و٤/٧٠ و١٦٥ و١٧٧ و٥/٣٨١ و٦/٣٩٣ و٤٠٢ و٤٠٣ وانـظر: تاريـخ الطبري ٢/٦٣٧. وظاهرتَ: قوّيت وأكّدت.

(٢) البُرة: حلقة تجعل في أنف البعير ليذلّ بها وكانت في العادة من خشب أو شعر.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨، نهاية الأرب ١٧/٢٣٣.

(٤) سورة الفتح ـ الآيتان ١ و٢.

(٥) سورة الفتح ـ الآية ١٠.

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾[1]. ثم القصّة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ﴾[2]... ثم القصّة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن الزُّهْريّ أنه قال: أولوا البأس الشديد: حنيفة مع الكذّاب.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيماً. وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً. وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا، وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[3].

ثم ذكر محبسه وكفّه إيّاه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفّهم عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾. ثم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[4].

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

---

(١) سورة الفتح ـ من الآية ١١.

(٢) سورة الفتح ـ من الآية ١٥.

(٣) سورة الفتح ـ الآيات ١٨ ـ ٢١.

(٤) سورة الفتح ـ الآية ٢٤ وبعض الآية ٢٥.

وكأنّ السّموط عكّفه السّلـ ـك بعطفَيْ جَيْداء أمّ غزال[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]، وَالمَعَـرَّة: الغُرْم، أي أن تصيبـوا منهم مَعَرَّة بغير عِلم فتُخرجوا دِيَته، فأمّا إثم فلَم يَخشه عليهم.

قـال ابن هشام: بلغني عن مجاهـد أنـه قـال: نـزلت هـذه الآيـة في الوليد بن الوليد بن المغيـرة، وسَلمة بن هشـام، وعيّاش بن أبي زبيعـة، وأبي جندل بن سُهيل، وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قـال تبارك وتعـالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّـذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ، حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني سُهيـل بن عمرو حين حمى أن يُكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأنَّ محمداً رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَـا وَأَهْلَهَا﴾[3] أي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الـرُّؤْيَا بِـالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِـدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّـرِينَ لا تَخَافُـونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾. أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف؛ يقـول: محلّقين رءوسكم، ومقصّرين معـه لا تخافـون، فعلم من ذلك مـا لم تعلموا ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيباً﴾[4] صُلح الحُدَيبية.

يقول الزُّهريّ: فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنّمـا كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووُضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضـاً، والتقوا فتفـاوضـوا في الحـديث والمنـازعـة، فلم يُكلِّم أحـدٌ

---

(١) السموط: جمع سمط: وهو القلادة.

(٢) سورة الفتح - من الآية ٢٥.

(٣) سورة الفتح - من الآية ٢٦.

(٤) سورة الفتح - الآية ٢٧.

بالإسلام يعقل شيئاً إلّا دخل فيه، ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر[1].

قال ابن هشام: والدليل على قول الزُّهْريّ أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحُدَيبية في ألفٍ وأربعمائة، في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.

أمر المُسْتَضْعَفين بمكّة بعد الصلح

قصّة أبي بصير: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ أتاه أبو بصير عُتبة[2] بن أسيد بن جارية، وكان ممن حُبس بمكة، فلما قدِم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهْب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤيّ، ومعه مولى لهم، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمْتَ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإنَّ الله جاعل لك ولِمَن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلقْ إلى قومك»؛ قال: يا رسول الله، أتردّني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: «يا أبا بصير، انطلق فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً».

فانطلق معهما، حتى إذا كان بذي الحُلَيفة[3]، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم؛ قال: أنظر إليه؟ قال: انظر، إن شئت. قال: فاستلّه أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً، قال: «إنّ هذا الرجل قد رأى فزعاً»؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال: «ويْحك! مالك»؟ قال: قتل

---

(1) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨.

(2) وقيل: عُبيد.

(3) ميقات أهل المدينة. بينها وبين المدينة ستة أميال.

صاحبكم صاحبي. فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشّحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وفت ذمّتك، وأدّى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، أو يُعبث بي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمّهِ مِحَشّ حرب[1] لو كان معه رجال»[2]!

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذي المَروَة، على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أمّه مِحَشّ حرب لو كان معه رجال»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيّقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلاّ قتلوه، ولا تمرّ بهم عِير إلاّ اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ، تسأله بأرحامها إلاّ آواهم، فلا حاجة لهم بهم. فآواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة[3].

قال ابن هشام: أبو بصير ثقفيّ.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ سُهيلَ بنَ عمرو قتل أبي بصير صاحبَهم العامريّ، أسند ظهره إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أؤخّر ظهري عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل؛ فقال أبو سفيان بن حرب: والله إنّ هذا لهو السَّفه، والله لا يُودَى[4] فقال في ذلك موهب بن رياح أبو أُنَيْس، حليف بني زُهْرة:

قال ابن هشام: أبو أنيس أشعريّ.

أتاني عن سهيلٍ ذَرْءُ[5] قولٍ ... فأيقظني وما بي من رُقادِ
فإنْ تكُنِ العِتابَ تريد منّي ... فعاتبْني فما بك من بعادي

---

(١) وفي الصحيح: ويل أمّه مِسْعَر حرب، ويقال حششت النار، وأرّثتها، وأذكيتها، وأثقلتها وسعّرتها بمعنى واحد.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٣٨، ٦٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٤٥، ٢٤٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٣٩، نهاية الأرب ١٧/٢٤٦، ٢٤٧.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٦٣٩.

(٥) ذرء: طرف.

اتُـوعِـدني وعبـدُ مَنـافَ حـولي بـمـخـزوم أَلَـهْـفـاً مَـن تُـعـادي
فـإنْ تـغمِـزْ قنـاتي لا تـجِـدني ضعيف العُـود في الكُـرَب الشِّـداد
أُسـامي الأكْـرمين أبـاً بقَـوْمي إذا وَطِيء الضعيفُ بهم أرادي[1]
هم منعـوا الـظواهـرَ غيـرَ شَـكٍّ إلى حيثُ البـواطـنُ فـالعـوادي
بـكـلِّ طِـمِـرَّة وبـكـل نَـهْـدٍ سَـوَاهِمَ قـد طُـوِين من الـطِّراد[2]
لهم بـالـخَيْـف قـد علِمَتْ مَعَـدٌّ رِوَاق الـمجْـدِ رُفِّـعَ بـالـعمـاد[3]

فأجابه عبدالله بن الزِّبَعْرَى، فقال:

وأمسى مَـوْهَـب كـحِـمـار سَـوْء أجـاز بـبـلدةٍ فـيـهـا يُـنـادي
فـإنَّ الـعبـدَ مثـلك لا يُنـاوي[4] سهيـلاً ضلَّ سعْيـكَ من تُعـادي
فـأَقْصِـر يـا بنَ قَيْن السُّـوء عنـه وعَـدِّ عـن المَقـالـة في البـلاد
ولا تـذكـر عِـتـاب أبي يـزيـد فهيـهـات البـحـور من الـثِّمـاد[5]

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أمُّ كُلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط في تلك المدَّة، فخرج أخَواها عمارة والوليد ابنا عُقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردَّها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحُدَيبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهريّ، عن عُروة بن الزُّبير، قال: دخلت عليه وهو يكتب كتابًا إلى ابن أبي هُنَيدة، صاحب الوليد بن عبدالملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ**

---

(١) أرادي: أرامي.
(٢) الطِمِرَّة: الفرس السريعة. النَّهد: الغليظ. طُوين: ضعفن. والطِّراد: الهجوم.
(٣) الخيف: موضع في مِنى. الرواق: بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل.
(٤) لا يناوي: لا يُعادي.
(٥) الثماد: الماء القليل.

فَلَا تَرجِعُوهُنَّ إِلَىٰ الكُفَّارِ، لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[1].

قال ابن هشام: واحدة العِصَم: عِصْمة، وهي الحبل والسبب. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

إلى المرء قيس نطيل السُّرى ونأخذ من كلّ حيٍّ عِصم

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَاسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ، وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا، ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

قال: فكتب إليه عُروة بن الزُّبير: إنّ رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذْن وليّه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين إذا هُنّ امتُحِنّ بمحنة الإسلام، فعرفوا أنّهنّ إنّما جئن رغبة في الإسلام، وأمر بردّ صدقاتهنّ إليهم إن احتبسن عنهم، إنْ هم ردّوا على المسلمين صَداق من حُبسوا عنهم من نسائهم، ذلك حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم. فأمسك رسول الله ﷺ النساء وردّ الرجال، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حُبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم مثل الذين يردّون عليهم، إن هم فعلوا، ولولا الذين حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله ﷺ النساء كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحُديبية لأمسك النساء، ولم يردُدْ لهنّ صداقاً، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد.

قال ابن إسحاق: وسألت الزُّهْريّ عن هذه الآية، وقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَىٰ الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ، فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ

(١) سورة الممتحنة ـ من الآية ١٠.
(٢) سورة الممتحنة ـ من الآية ١٠.

أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1] فقال: يقول: إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفّار، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم، فعوّضوهم من فَيْءٍ إن أصبتموه؛ فلما نزلت هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾**... إلى قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾**، كان ممّن طلّق عمر بن الخطّاب، طلّق امرأته قُرَيبة بنت أبي أُميَّة بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شِرْكهما بمكة، وأمّ كُلثوم بنت جَرْوَل أم عُبيدالله بن عمر الخُزاعيّة، فتزوّجها أبو جهم بن حُذيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما على شِرْكهما[2].

بُشْرى فتح مكة: قال ابن هشام: حدّثنا أبو عُبيدة: أنّ بعض من كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدِم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً؟ قال: «بلى، أفقُلْت لكم من عامي هذا»؟ قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جبريل عليه السلام».

---

(١) سورة الممتحنة ـ الآية ١١.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٤٠.


Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

ذكر المسير إلى خيبر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبيّ قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحُدَيبية ذا الحجّة وبعض المحرّم، وولي تلك الحجّة المشركون[2]، ثم خرج في بقية المحرّم إلى خيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُميلة بن عبدالله الليثيّ، ودفع الراية إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلميّ أنّ أباه حدّثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عمّ سَلَمة بن عمرو بن

---

(1) انظر عن الغزوة في: الطبقات الكبرى ٢/١٠٦ ـ ١١٧، والمغازي ١٩٥، وتاريخ خليفة ٨٢، والمغازي للواقدي ٢/٦٣٣ ـ ٧٠٥، وتاريخ الطبري ٣/٩ ـ ١٦، وأنساب الأشراف ١/٣٥٢ رقم ٧٣٧، والبدء والتاريخ ٤/٢٢٥، والمحبّر ١١٥، والكامل في التاريخ ٢/٢١٦ ـ ٢٢٤، ونهاية الأرب ١٧/٢٤٨ ـ ٢٦٦، وسيرة ابن كثير ٣/٣٤٤ ـ ٣٨٨، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وعيون الأثر ٢/١٣٠ ـ ١٤٣، ومرآة الجنان ١/١١، والروض الأنف ٤/٥٩ ـ ٦٦، ومجمع الزوائد ٦/١٤٧ ـ ١٥٥، وعيون التواريخ ١/٢٦٤ ـ ٢٧٠، وانظر صحيح البخاري ٥/٧٢ ـ ٨٤.

(2) تاريخ الطبري ٢/٦٥٧.

الأكوع، وكان اسم الأكوع سِنان: أنزل يا ابن الأكوع، فخذ لنا من هناتك[1]، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
إنّا إذا قوم بَغَوْا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أَبَيْنَا
فأنزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدام إنْ لاقَيْنا[2]

فقال رسول الله ﷺ: يرحمك الله؛ فقال عمر بن الخطّاب: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به! فقُتل يوم خيبر شهيداً[3]، وكان قتْله، فيما بلغني، أنّ سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فكَلَمه كَلْماً شديداً، فمات منه؛ فكان المسلمون قد شكّوا فيه، وقالوا: إنّما قتله سلاحه، حتى سأل ابن اخيه سَلَمَة بن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك، وأخبره بقول الناس؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنّه لَشهيد»، وصلّى عليه، فصلّى عليه المسلمون.

قال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتّهم، عن عطاء بن أبي مروان الأسْلميّ، عن أبيه، عن أبي معتّب بن عمرو: أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: «قفوا»، ثم قال: «اللهمّ ربَّ السموات وما أظللن وربَّ الأرضين وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أضللن، وربَّ الرياح وما أذْرَيْن فإنّا نسألك خَيْرَ هذه القرية وخيرَ أهلها وخيرَ ما فيها، ونعوذ

---

(١) هناتك: جمع الهنة: كناية عن كلّ شيء لا تعرف اسمه، أو تعرفه، فتكنّي عنه، وأصل الهنة: هنهة وهنوة. قال الشاعر:
على هنوات شأنها متتابع
وفي البخاري: أنّ رجلاً قال لابن الأكوع: ألا تنزل فتُسمعنا من هنيهاتك، صغّره بالهاء، ولو صغّره على لغة من قال هنوات لقال هنياتك، وإنّما أراد - ﷺ - أن يحدو بهم، والإبل تُستحثّ بالحداء، ولا يكون الحداء إلّا بشعر أو رجز. (الروض الأنف ٥٩، ٦٠).

(٢) انظر القول باختلاف الألفاظ في: الطبقات الكبرى ٢/١١١، وصحيح البخاري ٥/٧٢ في المغازي، ومناقب امير المؤمنين علي للواسطي ١٢٩، وتاريخ الإسلام (المغازي)، ونهاية الأرب ١٧/٢٤٩، وشرح المواهب اللدنية ٢/٢٦٢، وعيون الأثر ٢/١٣٠، وعيون التواريخ ١/٢٦٤، والكامل في التاريخ ٢/٢١٦، والمغازي للواقدي ٢/٦٣٨ و٦٣٩، ومجمع الزوائد ٦/١٤٨.

(٣) تاريخ الإسلام (المغازي).

بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها، أقدِموا بسم الله»[1]. قال: وكان يقولها عليه السلام لكلّ قرية دخلها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار، فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركِب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة، وإنّ قدمي لَتَمَسّ قدمَ رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمّال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم[2]، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش، قالوا: محمد والخميس[3] معه! فأدبروا هُرّاباً، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المنذَرين»[4].

قال ابن إسحاق: حدّثنا هارون عن حُميد، عن أنس بمثله.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر

---

(١) أخرج الترمذي حديثاً بنحو ألفاظ الدعاء في كتاب الدعوات (٣٥٨٩) باب ٩٦ قال: حدّثنا محمد بن حاتم المؤدّب، أخبرنا الحكم بن ظُهير، أخبرنا علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: شكا خالد بن الوليد المخزومي الى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق، فقال نبيّ الله ﷺ: «إذا أويت الى فراشك فقل اللهم ربّ السماوات السبع وما أظلّت، وربّ الأرضين وما أقلّت، وربّ الشياطين وما أضلّت، كن لي جاراً من شرّ خلقك كلهم جميعاً أن يفْرُط عليّ أحد منهم أو أن يبغي. عزّ جارك وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك لا إله إلا أنت». هذا إسناد حديث ليس إسناده بالقويّ. والحكم بن ظُهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث. ويروى هذا الحديث عن النبيّ ﷺ مرسل من غير هذا الوجه.

(٢) المساحي: مجارف الحديد. المكاتل: القُفف الكبيرة.

(٣) الخميس: الجيش.

(٤) أخرج البخاري في المغازي (٥/٧٣) باب غزوة خيبر، قال: حدّثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن حُميد الطويل، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليلٍ لم يُغِرْ بهم حتى يُصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس فقال النبيّ ﷺ: خربت خيبر إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين.

وانظر: نهاية الأرب ١٧/٢٥٠، ٢٥١، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والطبقات لابن سعد ٢/١٠٩.

سلك على عِصْر[1]، فبُني له فيها مسجد، ثم على الصَّهْبَاء[2]، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشـه، حتى نَزل بـوادٍ يقال لـه الرجيـع، فنزل بينهم وبين غَـطْفان، ليحـول بينهم وبين أن يمدّوا أهـل خيبر، وكـانوا لهم مـظاهـرين على رسـول الله ﷺ.

فبلغني أنَّ غَطَفان لما سمعتْ بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خـرجوا لِيُظاهروا يهـود عليه، حتى إذا سـاروا منقلة[3] سمعـوا خلفهم في أمـوالهم وأهليهم حسّاً، ظنّـوا أنّ القـوم قـد خـالفـوا إليهم، فـرجعـوا على أعقـابهم، فـأقـامـوا في أهليهم وأمـوالهم، وخلّوا بين رسـول الله ﷺ وبين خيبر[4].

وتـدنّى[5] رسول الله ﷺ الأمـوال يأخـذها مـالاً مـالاً، ويفتتحهـا حصنـاً حصناً. فكان أوّل حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قُتل محمود بن مَسْلمـة أُلقيت عليـه منه رحـاً فقتلته، ثم القَمُـوص، حصن بني أبي الحُقيق، وأصاب رسـول الله ﷺ منهم سبايـا، منهنّ صفية بنت حُيَيّ بن أخـطب، وكـانت عنـد كِنـانة بن الـربيع بن أبي الحُقَيق، وبنتيْ عمٍ لهـا؛ فـاصـطفى رسـول الله ﷺ صفيّة لنفسه.

وكان دِحْية بن خليفة الكلبيّ قد سأل رسولَ الله ﷺ صفيّة فلمّا أصفـاها لنفسه أعطاه ابنتيْ عمّها، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين[6].

أشيـاء نهى عنها الـرسول يـوم خيبـر: وأكـل المسلمـون لحـوم الحُمـر الأهلية من حُمُرها، فقام رسول الله ﷺ، فنهى الناس عن أمورٍ سمّاها لهم.

---

(١) عِصْـر: بكسر أولـه، وسكون ثـانيه، ورواه بعضهم بـالتحريـك، والأول أشهر وأكثر، وكـل حصن يُستحصن بـه يقال لـه عِصْر. وهـو جبل بين المـدينة ووادي الفُـرْع. (معجم البلدان ٤/١٢٨).

(٢) صهباء: اسم موضع بينه وبين خيبر روحة. (معجم البلدان ٣/٤٣٥).

(٣) منقلة: مرحلة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٩.

(٥) تدنّى: أي أخذ الأدنى فالأدنى. وفي تاريخ الطبري «وبدأ».

(٦) تاريخ الطبري ٣/٩.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزاريّ، عن عبدالله بن أبي سُلَيط، عن أبيه، فقال: أتانا نهي رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحُمُر الإنسية، والقدور تفور بها، فكفأناها على وجوهها[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح، عن مكحول: أنّ رسول الله ﷺ وسلم نهاهم يومئذٍ عن إتيان الحبالَى من السبايا، وعن أكل

---

(١) أخرج البخاري في كتاب الخمس ٦١/٤ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب، فقال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا عبدالواحد، حدّثنا الشيباني، قال: سمعت ابن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحُمُر الأهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ: اكفئوا القدور فلا تطعموا من لحوم الحُمر شيئاً. قال عبدالله: فقلنا إنّما نهى النبيّ ﷺ لأنها لم تخمّس قال: وقال آخرون: حرّمها البتّة وسألت سعيد بن جبير فقال: حرّمها البتّة.

وأخرج في كتاب النكاح ٧٣/٥ باب غزوة خيبر، قال: أخبرنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عُيينة، حدّثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صبّحنا خيبر بُكْرة فخرج أهلها بالمساحي فلما أبصروا بالنبيّ ﷺ قالوا: محمد والله محمد والخميس فقال النبيّ ﷺ: الله أكبر خربت خيبر إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي ﷺ أن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس.

وأخرج من طريق عبدالله بن عبد الوهاب، حدّثنا عبدالوهاب، حدّثنا أيوب، عن محمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: أكلت الحُمُر فسكت، ثم أتاه الثانية فقال: أكِلت الحُمر فسكت، ثم أتاه الثالثة فقال: أُفْنِيَت الحمر فأمر منادياً فنادى في الناس إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فأُكفئت القدور وإنها لتفور باللحم. وفي كتاب النكاح ١٢٩/٦ باب نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخراً. ومسلم في كتاب النكاح (٣٠) و(٣١) و(٣٢) باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نُسخ، ثم أبيح ثم نُسخ، واستقرّ تحريمه إلى يوم القيامة. وفي كتاب الصيد والذبائح (٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٨) و(٢٩) و(٣٠) و(٣١) و(٣٢) و(٣٣) و(٣٤) و(٣٥) باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية، و(٣٦) و(٣٧) باب في أكل لحوم الخيل. والترمذي في كتاب النكاح (١١٣٠) باب ما جاء في نكاح المتعة. في الأطعمة (١٨٥٤) باب ما جاء في لحوم الحمر الأهلية. والنسائي في الصيد (٢٠٢/٧ ـ ٢٠٤) باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية. وابن ماجة في الذبائح (٣١٩٢) و(٣١٩٣). وأحمد في المسند ٢١/٢ و١٠٢ و١٤٣ و١٤٤ و٢١٩ و٤٨/٤ و٨٩ و٩٠ و١٢٧ و١٣١ و١٩٣ و١٩٤ و١٩٥ و٣٠١ و٣٥٥ و٣٨٣، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣٨/٣ رقم ٣١٦٤ و٧٥٩٥/٧ و٧٧٧٣ و٧٨٢٤ و٧٥٩٥/٨ و٧٧٩٢ و٧٧٩٣، وابن جُمَيع الصيداوي ١٢٨ رقم ٨٠.

الحمار الأهلي، وعن أكل كلّ ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تُقْسَم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني سلّام بن كركرة، عن عمرو بن دينار؛ عن جابر بن عبدالله الأنصاري، ولم يشهد جابر خيبر: أنّ رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحُمر، أذِن لهم في أكل لحوم الخيل[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى تُجيب؛ عن حَنَش الصَّنْعانيّ، قال: غزونا مع رُوَيفع بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جَرْبة، فقام فينا خطيباً، فقال: يا أيّها الناس، إنّي لا أقول فيكم إلّا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «لا يحلّ لامرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرْعَ غيره، يعني إتيان الْحَبالى من السبايا، ولا يحلّ لامرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لامرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنَماً حتى يُقْسَم، ولا يحلّ لامرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابّةً من فَيْءِ المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه؛ ولا يحلّ لامرىءٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه»[3].

---

(1) أخرج الترمذي في كتاب الحدود (١٥٠٤) باب في كراهية كل ذي ناب وذي مخلب. و(١٥٠٦) و(١٥٠٧) وفي كتاب الأطعمة (١٨٥٧) باب ما جاء في الأكل في آنية الكفار. والنسائي في الصيد (٢٠٤/٧) باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية.

(2) أخرج نحوه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (٣٦) و(٣٧) باب في أكل لحوم الخيل.

(3) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب النكاح (٢١٥٨) باب في وطء السبايا، عن النفيلي، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق، عن حنش الصنعاني، عن رويفع بن ثابت الأنصاري، قال: قام فينا خطيباً، قال: أما إني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين قال: «لا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرع غيره» يعني إتيان الحبالى، «ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يُقسم». و(٢١٥٩) حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا أبو معاوية، عن ابن إسحاق، بهذا الحديث، قال: «حتى يستبرئها بحيضة» زاد فيه «بحيضة» وهو وهم من =

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن عبدالله بن قُسَيط؛ أنه حدّث عن عُبادة بن الصّامت، قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبْر الذَّهَب بالذهب العين، وتبْر الفضّة بالورق العين، وقال: «ابتاعوا تبر الذهب بالورِق العين، وتبر الفضّة بالذَّهَب العين»[1].

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال.

بنو سهْم: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدّثه بعضُ أسلَم: أنَّ بني سهْم مِن أسلم أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله لقد جُهِدْنا وما بأيدينا من شيء، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إيّاه، فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوّة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إيّاه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غَناء، وأكثرها طعاماً ووَدَكاً»،

= أبي معاوية. وهو صحيح في حديث أبي سعيد، زاد «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابّة من فيْء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فيْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه» قال أبو داود: الحيضة ليست بمحفوظة. وهو وهم من أبي معاوية. وأخرج الترمذي في النكاح (١١٤٠) باب الرجل يشتري الجارية وهي حامل، قال: حدّثنا عمر بن حفص الشيباني البصري، أخبرنا عبدالله بن وهب. أخبرنا يحيى بن أيوب، عن ربيعة بن سليم، عن بُسر بن عبيدالله، عن رويفع بن ثابت، عن النبيّ ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره». وقال: هذا حديث حسن. وقد رُوي من غير وجه عن رُوَيفع بن ثابت. والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون للرجل، إذا اشترى جارية وهي حامل، أن يطأها حتى تضع. وفي الباب عن ابن عباس وأبي الدرداء، والعِرباض بن سارية، وأبي سعيد. ورواه بسنده ونصّه أحمد في المسند ١٠٨/٤ و١٠٩.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع (٣٣٤٩) باب في الصرف، حدّثنا الحسن بن علي، حدّثنا بشر بن عمر، حدّثنا همام، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن مسلم المكي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «الذهب بالذهب تِبْرها وعَينها. والفضة بالفضة تبرها وعينها، والبُرّ بالبُر مُدْي بمُدي، والملح بالملح مدي بمدي، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة، والفضّة أكثرهما يداً بيد، وأما نسيئة فلا». وأخرج النسائي نحوه في كتاب البيوع ٢٧٤/٧ و٢٧٥ باب بيع البُرّ بالبُرّ. وفي باب بيع الشعير بالشعير. من طريق قتادة، عن أبي الخليل، عن مسلم المكّي، عن أبي الأشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب تبره وعينه وزناً بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزناً بوزن. . .».

فغدا الناس، ففتح الله عزّ وجلّ حصن الصَّعب بن مُعاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودَكاً منه[1].

مقتل مَرْحَب: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنيهم الوَطِيح والسُّلالِم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة[2].

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب الرسول ﷺ يوم خيبر: يا منصور أمِتْ أمِتْ.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن سهل بن عبدالرحمن بن سهل؛ أخو بني حارثة، عن جابر بن عبدالله، قال: خرج مرحب اليهوديّ من حصنهم، قد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول:

قد علِمتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكِي السّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحِيناً أضربُ ... إذا اللُّيوثُ أقبلتْ تَحَرَّبُ[3]
إنّ حِمَاي للحِمَى لا يُقْرَبُ

وهو يقول: [هل][4] من يبارز؟ فأجابه كعب بن مالك، فقال:

قد علمتْ خيبرُ أنّي كعبُ ... مُفَرِّجُ الغُمَّى جريءٌ صُلْبُ
إذ شبّتِ الحربُ تَلَتْها الحربُ ... معي حسامٌ كالعقيق عضْبُ
نَطَؤُكُم حتى يذلّ الصّعبُ ... نُعطِي الجزاء أو يفيء النَّهْبُ
بكفِّ ماضٍ ليس فيه عتْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٠.
(٢) تاريخ الطبري ٣/١٠.
(٣) تحرّب: مغضبة.
(٤) إضافة من الطبري ٣/١٠.

قَــد علمتْ خيبــرُ أنّي كعبُ   وأنّــني متى تـشبُ الـحــربُ
مـاضٍ على الهَـوْل جـريءٌ صلْبُ   مـعي حســامٌ كـالعقيـق عـضْـبُ
بـكـفِّ مــاضٍ لـيس فيــه عـتْبُ   نــدكُّـكُم حتّى يـذلّ الـصَّـعْبُ

قال ابن هشام: ومرحب من حِمْيَر.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن سهل، عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا»؟ قال محمد بن مَسْلَمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله، الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس، فقال: «فقم إليه، اللّهمَّ أعِنْهُ عليه». قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْريّة[1] من شجر العُشَر[2]، فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه، كلّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كلّ واحدٍ منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجلِ القائم، ما فيها فَنَنٌ، ثم حمل مرحب على محمد بن مَسْلمة، فضربه، فاتّقاه بالدَّرَقة، فوقع سيفه فيها، فعضّت به فأمسكته، وضربه محمد بن مَسْلمة حتّى قتله[3].

مقتل ياسر: قال ابن إسحاق: ثم خرج بعدَ مرحب أخوه ياسر، وهو يقول: من يبارز، فزعم هشام بن عُروة أنَ الزُبَير بن العوّام خرج إلى ياسر، فقالت أمّه صفيّة بنت عبدالمطّلب: يُقتل ابني يا رسول الله! قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله». فخرج الزُبَير فالتقيا، فقتلهُ الزُبير[4].

قال ابن إسحاق: فحدّثني هشام بن عُروة: أن الزُبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضْباً، قال: واللهِ ما كان صارماً، ولكنّي أكرهته.

---

(١) عُمْرية: عجوز.
(٢) العُشَر: شجر أملس ضعيف العود.
(٣) تاريخ الطبري ٣/١٠، ١١، تاريخ الإسلام (المغازي).
(٤) تاريخ الطبري ٣/١١.

فتح خيبر على يد عليّ: قال ابن اسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ، عن أبيه سفيان، عن سَلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصِّدّيق رضي الله عنه برايته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يكُ فتح، وقد جُهِد، ثم بعث الى عمر بن الخطّاب، فقاتل، ثم رجع ولم يك فَتْح، وقد جهِد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعْطِينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسولَه، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار». قال: يقول سَلَمَة، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فَتَفَل في عينه، ثم قال: «خذ هذه الراية، فامضِ بها حتى يفتح الله عليك»[1].

قال: يقول سَلَمَة: فخرج والله بها يأنح[2] يهرول هرولة، وإنّا لخلفه نتبع أثره، حتى ركّز رايته في رضْمٍ[3] من حجارة تحت الحصن، فاطّلع إليه يهوديّ من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. قال: يقول اليهوديّ: علوتم، وما أنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه[4].

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن الحسن، عن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ برايته؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطاح ترسه من يده، فتناول عليّ عليه السلام باباً كان عند الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير (١٢/٤) باب ما قيل في لواء النبيّ ﷺ، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٧) باب من فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وانظر طبقات ابن سعد ١١٠/٢ و١١١، ونهاية الأرب ٢٥٣/١٧، وتاريخ الإسلام (المغازي)، وتاريخ الطبري ١٢/٣.

(٢) يأنح؛ يعلو صوته.

(٣) رَضم ورضام: حجارة أو صخور بعضها على بعض، وهي دون الهضبة، (النهاية في غريب الحديث ٢٣١/٢).

(٤) مناقب امير المؤمنين علي للواسطي ١٣٢ رقم ٢١٧، تاريخ الإسلام (المغازي).

ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفرٍ سبعة معي: أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه[1].

حديث أبي اليُسْر: قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سفيان الأسلميّ، عن بعض رجال بني سَلِمة عن أبي اليُسْر كعب بن عمرو، قال والله إنّا لَمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عَشيّة، إذ أقبلت غنمٌ لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم، فقال رسول الله ﷺ: «مَن رجل يُطعمنا من هذا الغنم»؟ قال أبو اليُسْر؛ فقلت أنا يا رسول الله؛ فقال: «فافعل»؛ قال: فخرجت أشتدّ مثل الظليم[2]، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ مولّياً قال: اللّهمَّ أمتِعْنا به؛ قال: فأدركت الغنم وقد دخلت أُولاها الحصن، فأخذت شاتين من أُخراها، فأحتضنتهما تحت يدي، ثم أقبلت بهما أشتدّ، كأنه ليس معي شيء، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليُسْر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكاً، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى، ثم قال: أمتعوا بي، لَعَمْرِي. حتى كنت من آخرهم هُلكاً[3].

صفيّة رضي الله عنها، قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ القَمُوص، حصن بني أبي الحُقيق، أتى رسول الله ﷺ بصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وبأخرى معها، فمرّ بهما على قتلى من قتلى يهود؛ فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها؛ فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أعْزِبُوا[4] عنّي هذه الشيطانة»، وأمر بصفيّة فحِيزَت خلفه، وألقى عليها رداءه؛ فعرف المسلمون أنّ رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه. فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغني: حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أَنُزِعت منك الرحمة يا بلال، حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما»؟ وكانت صفيّة قد رأت في المنام وهي عروس بِكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، أنّ قمراً وقع

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٣، تاريخ الإسلام (المغازي)، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/٥٦.

(٢) الظليم: ولد النعام.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٤٩: رواه أحمد عن بعض رجال بني سلمة عنه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) أعزبوا: أبعدوا.

في حجْرها، فعرضت رؤياها على زوجها؛ فقال: ما هـذا إلاّ أنك تمنّين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمة خضّر عينها منها. فأتى بها رسولَ الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر[1].

وأتى رسـول الله ﷺ بكِنانـة بن الربيـع، وكان عنـده كنـز بني النضيـر، فسـأله عنـه، فجحد أن يكـون يعرف مكـانه، فـأتى رسـولَ الله ﷺ رجـل من يهود، فقال لرسول الله ﷺ: إنّي رأيت كِنـانة يـطيف بهذه الخـربة كـل غداة؛ فقال رسول الله ﷺ لكِنانة: «أرأيت إن وجـدناه عنـدك، أأقتلك»؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخِربة فحُفِرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عمّا بقي، فأبى أن يؤدّيه، فأمر بـه رسول الله ﷺ الـزُبير بن العـوّام، فقال: عـذّبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزُبير يقدح بزند في صـدره، حتى أشرف على نفسـه، ثم دفعه رسـول الله ﷺ إلى محمد بن مَسْلمـة، فضرب عنقه بـأخيـه محمود بن مَسْلمة[2].

صلح خيبر: وحاصـر رسول الله ﷺ، أهـل خيبر في حصنَيهم الـوَطيح والسُّلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلَكة، سألوه أن يسيّرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشِّقّ ونطاة والكِتيبة وجميع حصـونهم، إلاّ ما كـان من ذَينك الحصْنَيْن. فلمـا سمـع بهم أهـل فَـدَك قـد صنعوا ما صنعـوا، بعثوا إلى رسـول الله ﷺ يسألـونه أن يسيّـرهم، وأن يحقن دمـاءهم، ويخلّوا لـه الأمـوال، ففعـل. وكـان فيمن مشى بين رسـول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيِّصة بن مسعود، أخو بني حارثة، فلما نزل أهل خيبر على ذلـك، سألـوا رسول الله ﷺ أن يعـاملهم في الأموال على النصف، وقـالـوا: نحن أعلم بهـا منكم؛ وأعمرُ لهـا، فصالحهم رسـول الله ﷺ على النصف، على أنّا إذا شئنا أن نُخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهل فَدَك على مثل ذلـك،

(١) الحديث في مجمع الزوائد ١٥٢/٦، ١٥٣ وانظر: تاريخ الطبري ١٤/٣ وانظر عن زواج النبي ﷺ من صفية، الطبقات لابن سعد ٨٥/٨ وما بعدها، وتسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٦٦، والاستيعاب ١٨٧/٤، وأسد الغابة ٤٩٠/٥، والسمط الثمين ١١٨، وإمتاع الأسماع ٣٢١، والاصابة ٣٣٧/٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٤/٣.

فكانت خيبر فَيْئاً بين المسلمين، وكانت فَدَك خالصةً لرسـول الله ﷺ، لأنهم لم يَجْلِبوا عليها بخيلٍ ولا رِكاب[1].

قصّة الشاة المسمومة: فلما اطمأنّ رسول الله ﷺ أهدت لـه زينب بنت الحـارث، امرأة سلّام بن مِشْكَم، شاة مَصْلِيّـة[2]، وقـد سـألت أيّ عُضْـو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيـل لها: الـذراع؛ فأكثـرت فيها من السُّمّ، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها: فلما وضعتها بين يدي رسـول الله ﷺ، تناول الذراع، فلاك منها مُضْغة، فلم يُسُغْها، ومعه بِشْر بن البَـراء بن مَعْرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بِشْر فأساغها، وأمـا رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: «إنّ هذا العظْم ليخبرني أنّه مسموم»، ثم دعا بها، فاعترفت فقال: «ما حملكِ على ذلـك»؟ قالت: بلغتَ من قـومي ما لم يخف عليـك، فقلت: إنْ كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبيّاً فسيُخْبَر، قال: فتجـاوز عنها رسول الله ﷺ؛ ومات بِشْر من أكلته التي أكل[3].

قال ابن إسحاق: وحـدّثني مروان بن عثمـان بن أبي سعيد بن المُعَلّى، قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضـه الذي تُـوُفّي فيه. ودخلت أم بِشْـر بنت البـراء بن معرور تعـوده: يا أمّ بِشْـر، إنّ هذا الأوان وجـدت فيه انقـطاع أبهـري[4] من الأكلة التي أكلت مع أخيـك بخيبر. قـال: فإن كـان المسلمون ليرون أنّ رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النُّبوّة[5].

---

(١) تـاريخ الـطبري ١٤/٣، ١٥، تـاريخ خليفـة ٨٣، فتـوح البلدان ٣٤/١، تـاريـخ الإسلام (المغازي)، البداية والنهاية ١٩٨/٤.
(٢) مَصْلِيَّة: مسمومة.
(٣) تاريخ الطبري ١٥/٣.
(٤) الأبهر: عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها.
(٥) انظر ما أخرجه البخاري في كتاب المغـازي (٨٤/٥) باب الشـاة التي سُمّت للنبيّ ﷺ في خيبر، و(١٤١/٣) في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ومسلم (٢١٩٠) في السـلام، بـاب السّمّ، وأبـو داود في الـديـات (٤٥٠٨) و(٤٥٠٩) و(٤٥١٠) و(٤٥١١) و(٤٥١٢) و(٤٥١٣) و(٤٥١٤) بـاب فيمن سقى رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمـات أيُقاد منـه؟ وابن ماجـة في الـطب (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمـد في المسنـد ٣٠٥/١، و٣٧٣، والهيثمي في مجمـع الـزوائد ٢٩٥/٨، ٢٩٦ بـاب ما جـاء في الشاة المسمـومة، وقـال: رواه الطبـراني والبزّار، =

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي، ثم أنصرف راجعاً إلى المدينة[1].

جزاء الغالّ من الغنيمة: **قال ابن إسحاق**: فحدّثني ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبدالله بن مُطيع، عن أبي هُريرة، فقال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلام له، أهداه له رفاعة بن زيد الجذاميّ، ثم الضبينيّ[2].

قال ابن هشام: جُذام، أخو لَخْم.

قال: فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غربٌ[3] فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلاّ، والذي نفس محمد بيده: إنّ شملته الآن لتحترق عليه في النار، كان غلّها من فيْء المسلمين يوم خيبر». قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أصبت شِراكين لنعلين لي؛ قال: فقال: «يُقَدُّ لك مثلهما من النار»[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبدالله بن مُغفّل المُزَنيّ، قال: أصبت من فَيْء خيبر جِراب شحْم، فاحتملته على عاتقي إلى رَحْلي وأصحابي. قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عَليها، فأخذ بناحيته وقال: هَلُمَّ هذا نقسمهُ بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أُعْطِيكه، قال: فجعل يجابذني الجراب. قال: فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك. قال: فتبسّم رسول الله ﷺ ضاحكاً، ثم قال لصاحب المغانم: «لا أبا لك، خلِّ بينه وبينه». قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رَحْلي وأصحابي، فأكلناه[5].

= والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي)، وابن سعد في الطبقات ٢٠٢/٢، ٢٠٣، والطبري في تاريخه ١٥/٣.

(١) تاريخ الطبري ١٦/٣.

(٢) في تاريخ الطبري ١٦/٣ «الضُبَيْبيّ» من الضبيب بن جذام، له صحبة.

(٣) سهم غرب: مجهول الرامي، لا يُعرف من أين أتى.

(٤) تاريخ الطبري ١٦/٣ وانظر الحديث عند البخاري في المغازي ٨١/٥ باب غزوة خيبر.

(٥) أخرج البخاري في كتاب الخمس ٦١/٤ باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب. فقال: حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة، عن حُميد بن هلال، عن عبدالله بن مغفّل رضي الله =

حراسة أبي أيّوب للرسول: قال ابن إسحاق: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفيّة، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جمّلتها لرسول الله ﷺ ومشّطتها وأصلحت من أمرها أمُّ سُليم بنت مِلْحان، أم أنَس بن مالك. فبات بها رسول الله ﷺ في قُبّة له، وبات أبو أيّوب خالد بن زيد، أخو بني النّجّار متوشّحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ، ويُطيف بالقُبّة، حتى أصبح رسول الله ﷺ؛ فلما رأى مكانه قال: «مالك يا أبا أيّوب»؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكُفْر، فخفتها عليك. فزعموا أنّ رسول الله ﷺ، قال: «اللَّهمّ احفظ أبا أيّوب كما بات يحفظني»[1].

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُّهْريّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل: «مَن رجل يحفظ علينا الفجر لعلّنا ننام»؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ، ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلّي، فصلّى ما شاء الله عزّ وجلّ أن يصلّي. ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه، فنام فلم يوقظهم إلاّ مسّ الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هبّ، فقال: «ماذا صنعت يا بلال»؟ قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك؛ قال: «صدقت»؛ ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضّأ، وتوضّأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلّم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصّلاة فصلّوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أقِم الصّلاة لِذِكري﴾»[2].

شعر ابن لُقَيم في فتح خيبر: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ،

= عنه قال: كنا محاصرين قصر خيبر فرمى إنسان بجراب فيه شحم، فنزوت لآخذه فالتفتّ فإذا النبيّ ﷺ فاستحييت منه.

(١) انظر: تاريخ الطبري ١٧/٣.

(٢) سورة طه ـ الآية ١٤ والخبر في تاريخ الطبري ١٧/٣.

فيما بلغني، قد أعطى ابن لُقَيم العَبْسي، حين افتتح خيبر، ما بها من دجاجة أو داجن، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابن لُقَيم العَبْسِيّ في خيبر:

رُميت نطاةُ[1] من الرسول بفَيلق ... شهباءَ[1] ذات مناكب وفقار

واستيقَنَتْ بالذُّلّ لما شُيِّعَتْ ... ورجال أسْلَم وسطها وغِفار

صبَّحت بني عمرو بن زُرعة غَدْوة ... والشَّقّ[2] أظلم أهلُه بنهار

جرّت بأبطحها الذُّيول فلم تَدعْ ... إلاّ الدّجاج تَصيح في الأسحار

ولكلّ حصن شاغِل من خَيْلهم ... من عبد أشهل أو بني النجّار

ومهاجرين قد أعلموا سِيماهم ... فوق المَغافِر[3] لم يَنُوا لِفرار

ولقد علمتُ ليغلبَنّ محمدٌ ... وليثوينّ بها إلى أصفار[4]

فرّت يهود يوم ذلك في الوغى ... تحت العَجاج غمائم الأبصار

قال ابن هشام: فرت: كشفت، كما تفرّ الدّابّة بالكشف عن أسنانها: يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار، يريد الأنصار.

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، أرضخ لهنّ[5] رسول الله ﷺ من الفَيْء، ولم يضرب لهنّ بسهم[6].

قال ابن إسحاق: حدّثني سليمان بن سُحَيم، عن أمية بن أبي الصَّلْت، عن امرأة من بني غفار، قد سمَّاها لي، قالت: أتيت رسولَ الله ﷺ في نسوة من بني غِفار، فقلنا يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر، فنداوي الجرحى، ونُعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «على بركة الله». قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حَدَثَة،

---

(١) نطاة: حصن بخيبر. الشهباء: كثيرة العتاد: تلمع الأسلحة فيها كالشهب.
(٢) الشَّقّ: حصن بخيبر.
(٣) المغافر: ما توضع على الرؤوس وقاية لها من ضرب السلاح.
(٤) يثوينّ: يقيمنّ. وأصفار: جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية.
(٥) أرضخ لهنّ: أعطاهنّ قليلاً من أقلّ من السهم.
(٦) تاريخ الطبري ٣/١٧.

فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة[1] رحْله. قالت: فوالله لَنَزل[2] رسول الله ﷺ إلى الصُّبح وأناخ، ونزلت عن حقيبة رَحْله، وإذا بها دم منّي، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبّضت إلى الناقة واسْتحْيَيْت؛ فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم، قال: «ما لكِ؟ لعلّكْ نفِسْتِ»؟ قالت: قلت: نعم، قال: «فأصْلِحي من نفسك، ثم خُذي إناءً من ماء، فاطرحي فيه ملحاً، ثم أغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك».

قالت: فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر، رضخ لنا من الفَيْء، وأخذ هذه القلادة التي تَرِين في عنقي فأعطانيها، وعلّقها بيده في عُنقي، فوالله لا تفارقني أبداً.

قالت: فكانت في عُنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تُدفن معها. قالت: وكانت لا تَطَّهَّر من حَيضة إلاّ جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يُجعل في غُسلها حين ماتت[3].

شهداء خيبر: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين، من قريش. ثم من بني أميّة بن عبد شمس، ثم من حُلفائهم: ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة بن عمرو بن بُكَيْر بن عامر بن غَنْم بن دودان بن أسد، وثقيف[4] بن عمرو، ورِفاعة بن مسروح.

ومن بني أسد بن عبدالعُزّى: عبدالله بن الهُبيب، ويقال: ابن الهَبِيب، فيما قال ابن هشام، ابن أُهَيْب بن سُحَيم بن غيرَة، من بني سعد بن ليث، حليف لبني أسد، وابن أختهم.

---

(١) حقيبة رَحْله: هي كلّ ما شُدّ في مؤخّر رَحْل أو قتب. والرحل هو المركب للبعير، وهو أصغر من القتب. وقال ابن الأثير في النهاية: الحقيبة: هي الزيادة التي تُجعل في مؤخّر القتب.

(٢) في سنن أبي داود ١/ ٨٤ «فوالله لم يزل».

(٣) الحديث بسنده ونصّه في سنن أبي داود، كتاب الطهارة (٣١٣) باب الاغتسال من الحيض، وفي مسند أحمد ٦/ ٣٨٠.

(٤) هكذا في الأصل، وفي المغازي لعروة ١٩٩، وطبقات ابن سعد ٣/ ٩٨، وتاريخ خليفة ٨٣، وحلية الأولياء ١/ ٣٥٢، والإصابة ١/ ٢٠٢ رقم ٩٦٠، وتاريخ الإسلام.

ومن الأنصار ثم من بني سَلِمة: بِشْر بن البراء بن معرور، مات في الشاة التي سُمّ فيها رسول الله ﷺ. وفُضَيل بن النعمان. رجلان.

ومن بني زُرَيق: مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زُريق.

ومن الأوس ثم من بني عبدالأشهل: محمود بن مَسلمة بن خالد بن عَدِيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

ومن بني عمرو بن عوف: أبو ضيَّاح[1] بن ثابت بن النُعمان بن أُمَيّة بن امريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب، وعُروة بن مُرَّة بن سُراقة، وأوس بن القائد[2]، وأُنيف بن حبيب، وثابت بن أثلة، وطلحة [بن يحيى بن مُليل بن ضمرة].

ومن بني غِفار: عمارة بن عُقبة، رُمي بسهم.

ومن أسلم: عامر بن الأكوع، والأسود الراعي، وكان اسمه أسْلَم.

قال ابن هشام: الأسود الراعي من أهل خيبر.

وممن استُشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزُّهْريّ، من بني زُهْرة: مسعود بن ربيعة، حليف لهم من القارة.

ومن الأنصار من بني عمرو بن عوف: أوس بن قَتادة.

حديث الأسود الراعي في خيبر: **قال ابن إسحاق**: وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بلغني: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، أعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم - وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال: يا رسول الله، إنّي كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: «اضرب في وجوهها، فإنّها سترجع إلى ربّها» - أو كما قال - فقال الأسود، فأخذ حفنة من الحَصَى، فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى

---

(١) قال في المغازي لعروة ١٩٩ «أبو الصباح أو أبو ضياح».

(٢) قيل: القائد، والفاتك، والفاكه. انظر: اسد الغابة ١/١٧٤، الإصابة ١/٨٦.

صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة، كأنّ سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلّى لله صلاة قطّ؛ فأُتي به رسول الله ﷺ، فوُضع خلفه، وسُجّي بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعرضت عنه؟ قال: «إنّ معه الآن زوجته من الحُور العِين»[1].

قال ابن اسحاق: وأخبرني عبدالله بن أبي نَجِيح أنه ذُكر له: أنّ الشهيد إذا ما أصيب تدلّت له زوجتاه من الحُور العِين، عليه تنفضان التراب عن وجهه، وتقولان: ترّب الله وجه من ترّبك، وقتَل من قتلكَ.

حديث الحَجّاج بن علاط السُّلَميّ: قال ابن إسحاق: ولما فُتحت خيبر، كلّم رسولَ الله ﷺ، الحَجّاجُ بنُ عِلاط السُّلميّ ثم البَهْزيّ[2]، فقال: يا رسول الله، إنّ لي بمكة مالاً عند صاحبتي أمّ شَيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده، له منها مُعرض بن الحَجّاج، ومال متفرّق في تُجار أهل مكة، فأْذَنْ لي يا رسول الله؛ فأذِن له، قال: إنه لا بُد لي يا رسول الله من أن أقول قال: «قل». قال الحَجّاج: فخرجت حتى إذا قَدِمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفاً ومَنعة ورجالاً، فهم يتحسّسون الأخبار، ويسألون الرُكْبان، فلما رأوني قالوا: الحَجّاج بن علاط ـ قال: ولم يكونوا عِلموا بإسلامي ـ عنده والله الخبر ـ أخبِرْنا يا أبا محمد، فإنه قد بَلَغَنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم، قال: فالتبطوا[3] بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حَجّاج؛ قال؛ قلت: هُزِم هزيمة لم

---

(١) الاستيعاب ١/٨٧، ٨٨، الإصابة ١/٣٨، ٣٩ رقم ١٣٢.

(٢) البَهْزي: بفتح الباء الموحّدة وسكون الهاء وبعدها زاي، نسبة الى بهْز بن امريء القيس... (اللباب ١/١٩٢) وانظر ترجمته في أسد الغابة ١/٣٨١، والإصابة ١/٣١٣ رقم ١٦٢٢.

(٣) التبطوا: ساروا ملازمين لها.

تسمعوا بمثلها قطّ، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ، وأُسِر محمد أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظْهُرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنّما تنتظرون أن يقدَم بهِ عليكم، فيُقتل بين أظْهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقْدَم خيبر، فأصيب من فلّ[1] محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التّجّار إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فَيْء محمد.

قال ابن إسحاقُ: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحثّ[2] جمْع سمعت به، قال: وجئت صاحبتي فقلت: مالي، وقد كان لي عندها مالٌ موضوع، لعلّي ألحق بخيبر، فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبقني التّجّار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبدالمطّلب الخبر، وجاءه عنّي، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التّجّار، فقال: يا حَجّاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حِفْظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم. قال: قلت: فاستأخر عنّي حتى ألقاك على خلاء، فإنّي في جمع مالي كما ترى، فانصرِف عنّي حتى أفرغ. قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العبّاس، فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإنّي أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت، قال: افعل. افعل؛ قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم، يعني صفيّة بنت حُيَيّ، ولقد افتتح خيبر، وانتثل[3] ما فيها، وصارت له ولأصحابه. فقال: ما تقول يا حَجّاج؟ قال. قلت: إي والله فاكتُمْ عنّي، ولقد أسلمت وما جئت إلاّ لآخذ مالي، فرقاً من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظْهر أمرك، فهو والله على ما تحبّ، قال: حتّى إذا كان اليوم الثالث لبس العبّاس حلّة له،

---

(١) الفلّ: المنهزمون.
(٢) كأحثّ: كأسرع.
(٣) انتثل: استخرج.

وتخلّق[1]، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلّد لحرّ المُصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وتُرِك عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه؛ قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً، فأخذ ماله، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه؛ قالوا: يا لعباد الله! انفلت عدو الله، أما والله لو عَلِمْنا لكان لنا وله شأن. قال: ولم ينشبوا[2] أن جاءهم الخبر بذلك[3].

ما قيل من الشعر في خيبر: قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسّان بن ثابت:

بئسما قاتلت خيابرُ[4] عمّا	جمعوا[5] من مزارع ونخيل
كرِهوا الموت[6] فاستُبيح حِماهم	وأقرّوا فعل اللئيم الذليل
أمِن الموت يهربون فإنّ المو	ت موت الهُزال غيرُ جميل[7]

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، وهو يعذر أيمن بن أم أيمن بن عُبيد، كان قد تخلّف عن خيبر، وهو من بني عوف بن الخزرج، وكانت أمّه أمّ أيمن

---

(١) تخلّق: تطيّب بالخلوق وهو أنواع من الطيّب يغلب عليها الزعفران.

(٢) لم ينشبوا: لم يلبثوا غير قليل.

(٣) الخبر بطوله في المعرفة والتاريخ ١/٥٠٧ - ٥٠٩، ومسند أحمد ٣/١٣٨، ١٣٩، ومسند أبي يعلى والبزّار ١٦٥، ١٦٦، والمصنف لعبد الرزاق ١/١٩٧، وتاريخ الطبري ٣/١٧ - ١٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤/١٧، ١٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٣/٢٤٧ - ٢٤٩ رقم ٣١٩٦، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٢٦٦ - ٢٦٨، وتاريخ الإسلام (المغازي)، والبداية والنهاية ٤/٢١٥ - ٢١٧، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٢٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٥٥ ورجال أحمد رجال الصحيح. وانظر المغازي للواقدي ٢/٧٠٤، ٧٠٥.

(٤) خيابر: أهل خيبر.

(٥) في البدء والتاريخ «جمعت».

(٦) في البدء والتاريخ «الحرب».

(٧) في البدء والتاريخ ٤/٢٢٧ البيتان الأولان فقط.

مولاة رسول الله ﷺ وهي أم أسامة بن زيد، فكان أخا أسامة لأمّه:

علـى حيـن أن قـالت لأيـمن أُمُّـهُ ... جَبُنْتَ ولم تشهـدْ فـوارسَ خـيبـرِ
وأيْـمنُ لـم يَـجبُـن ولـكـن مُـهْـرَه ... أضرَّ به شُرْبُ المـديـدِ المخمَّـر[1]
ولـولا الذي قـد كان من شأن مُهْره ... لَقـاتـل فيهم فـارساً غيـر أعْسـر
ولكنـه قـد صـدّه فِعْـل مُهْـره ... ومـا كـان منـه عنده غيـر أيْسَـر

قـال ابن هشـام: أنشـدني أبـو زيـد هـذه الأبيات لكعب بن مـالـك، وأنشدني:

ولـكنـه قـد صـدّه شـأن مُـهْـره ... ومـا كـان لـولا ذاكـم بمـقـصّـر

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جُنْدَب الأسلميّ:

يـا لَـعبـادِ الله فـيـمَ يُـرغَـبُ ... مـا هُـوَ إلاَّ مـأكـل ومـشـربْ
وجنَّةٌ فيها نعيم مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسلميّ أيضاً:

أنـا لِمَن أنكـرني[2] ابـن جُنْـدَبْ ... يـا رُبَّ قِـرْنٍ في مَكَـرِّي أنْكَبْ[3]
طاح بمَغْدَى[4] أنْسُرٍ وثعلبْ[5]

قـال ابن هشام: وأنشـدني بعض الرُّواة لِلشعـر قولـه: «في مَكَـرِّي»، و «طاح بمَغْدَى».

وقال كعب بن مالك في يوم خيبـر، فيما ذكـر ابن هشام، عن أبي زيـد الأنصاريّ:

---

(١) المديد المخمَّر: دقيق يُخلط بالماء ويُترك حتى يخمّر.
(٢) في المغازي للواقدي «أبصرني».
(٣) في المغـازي للواقدي: «يـا رُبَّ قرن قـد تركت انكب». والقِرْن: الذي يقـاوم في قتـال أو شدّة. (شرح أبي ذر ٣٤٩).
(٤) في المغازي «طاح عليه». وطاح: هلك. (الصحاح ٣٨٩).
(٥) القول في المغازي للواقدي ٢/٧٠١.

ونحن وردْنا خيبراً وفروضَه … بكلّ فتىً عاري الأشاجع مِذْوَدِ[1]
جوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوَى … جريء على الأعداء في كلّ مشهدِ
عظيم رماد القِدْرِ في كلّ شَتْوَة … ضَرُوبٍ بنصل المَشْرَفيِّ المُهنَّد
يرى القتْل مَدْحًا إن أصاب شهادةً … من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمي عن ذِمارِ محمّدٍ … ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كلّ أمرٍ يَريبه … يجود بنفسٍ دون نفس محمد
يصدّق بالإنباء بالغيب مخلصاً … يريد بذاك الفوز والعزَّ في غد

تقسيم خيبر وأموالها: قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشَّقّ ونَطاة والكتيبة، فكانت الشَّقّ ونَطاة في سُهْمان المسلمين[2]، وكانت الكتيبة خُمْسَ الله، وسهم النبيّ ﷺ، وسهم ذوي القُربى واليتامى والمساكين، وطُعْم أزواج النّبيّ ﷺ، وطُعْم رجال مَشَوْا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فَدَك بالصُّلح؛ منهم مُحَيِّصة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وَسْقاً[3] من شعير، وثلاثين وسْقاً من تمر، وقُسّمت خيبر على أهل الحُدَيْبية، من شهدِ خيبر، ومن غاب عنها، ولم يغِب عنها إلاّ جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، فقسّم له رسَول الله ﷺ كسهم مَن حَضَرها[4].

وكان وادياها، وادي السُرَير، ووادي خاص[5]، وهما اللذان قُسّمت عليهما خيبر، وكانت نَطاة والشَّق ثمانية عشر سهماً، نَطاة من ذلك خمسة أسهم، والشَّقّ ثلاثة عشر سهماً، وقُسّمت الشّقّ ونَطاة على ألف سهم، وثمانمائة سهم[6].

---

(١) الفروض: أماكن في الأنهار يُشرب منها. الأشاجع: عروق ظاهر اليد. مِذْود: مانع.
(٢) انظر ما أخرجه ابو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠١٣) باب ما جاء في حكم ارض خيبر.
(٣) الوَسْق: يريد به هنا إمّا حِمل البعير أو ستّين صاعاً. ومن معانيه أيضاً حمل النخلة وليس مُراد هنا.
(٤) تاريخ الطبري ١٩/٣، نهاية الأرب ٢٦٢/١٧.
(٥) قال السهيلي في الروض الأنف: أنه وادي خلص.
(٦) نهاية الأرب ٢٦٢/١٧.

وكانت عدّة الذين قُسّمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم، برجالهم وخيلهم. الرجال أربع عشرة مئة، والخيل مئتا فارس، فكان لكلّ فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكلّ راجل سهم؛ فكان لكلّ سهم رأس جُمع إليه مئة رجل[1]، فكانت ثمانية عشر سهماً جُمع[2].

قال ابن هشام: وفي يوم خيبر عرّب رسول الله ﷺ العُرْبَى من الخيل، وهجّن الهجين.

قال ابن إسحاق: فكان عليّ بن أبي طالب رأساً، والزُّبير بين العوّام، وطلحة بن عُبيد الله، وعمر بن الخطّاب، وعبدالرحمن بن عوف، وعاصم بن عديّ، أخو بني العَجْلان، وأُسَيد بن حُضَير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بياضة، وسهم بني عُبيد، وسهم بني حَرام من بني سَلِمة، وعُبيد السهّام.

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبيد السّهّام لما اشترى من السّهام يوم خيبر، وهو عُبيد بن أوس، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

قال ابن إسحاق: وسهم ساعدة، وسهم غِفار وأسلم، وسهم النّجّار، وسهم حارثة، وسهم أوس. فكان أول سهم خرج من خيبر بنَطاة سهم الزُّبَير بن العوّام، وهو الخوع، وتابعه السُّرَيْر ثم كان الثاني سهم بَيَاضة، ثم كان الثالث سهم أُسيد، ثم كان الرابع سهم بني الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومُزَينه وشركائهم، وفيه قُتل محمود بن مَسْلمة، فهذه نَطاة.

---

(١) نهاية الأرب ١٧/٢٦٢.

(٢) أخرج ابو داود في كتاب الخراج والإمارة (٣٠١٥) من طريق مجمع بن جارية الأنصاري. وكان أحد القرّاء الذين قرأوا القرآن، قال: قُسّمت خيبر على أهل الحديبية، فقسّمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشرة سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهماً.

ثم هبطوا إلى الشَّقّ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدِيّ، أخي بني العَجْلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ، ثم سهم عبدالرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النّجار، ثم سهم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طلحة بن عُبيد الله، ثم سهم غِفار وأسلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهما سلمة بن عُبيد وبني حَرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عُبيد السّهّام، ثم سهم أوس، وهو سهم اللفيف، جُمعت إليه جُهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب؛ وكان حَذْوه سهم رسول الله ﷺ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عَدِيّ.

ثم قسّم رسول الله ﷺ الكَتيبة، وهي وادي خاص[1]، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساءٍ أعطاهم منها، فقسّم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتي وسْق، ولعليّ بن أبي طالب مئة وسْق، ولأسامة بن زيد مئتي وسْق، وخمسين وسْقاً من نَوى، ولعائشة أمِّ المؤمنين مئتي وسْق، ولأبي بكر بن أبي قُحافة مئة وسْق، ولِعَقِيل بن أبي طالب مئة وسْق وأربعين وسْقاً، ولبني جعفر خمسين وسقاً. ولربيعة بن الحارث مئة وسقٍ، وللصَّلْت بن مَخْرمة وابنيه مئة وسقٍ، للصّلتَ منها أربعون وسقاً ولابي نَبقة خمسين وسقاً، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسْقاً، ولقيس بن مَخْرمة ثلاثين وسقاً، ولأبي القاسم بن مَخْرَمة أربعين وسقاً، ولبنات عُبيدة بن الحارث، وابنة الحُصين بن الحارث مئة وسق، ولبني عُبيد بن عبد يزيد ستّين وسقاً، ولابن أوس بن مَخْرمة ثلاثين وسقاً. ولِمسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رُمَيْثة أربعين وسقاً، ولنُعَيم بن هند ثلاثين وسقاً، ولبُحَيْنة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعُجَيْر بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم الحَكَم[2] ثلاثين وسقاً،

---

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: وادي خلص.

(٢) هو علقمة بن المطّلب، ويقال: عبدالله بن علقمة، وقال أبو عمر: هو مجهول، وقال ابن الفرضيّ: أبو نَبقة بن المطّلب بن عبد مناف، واسم أبي نَبقة: عبدالله، ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبدالله بن أبي نَبقة، ومن ولده: أبو الحسين المطّلبي إمام مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نَبقة بن المطلب بن عبد مناف. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(٣) الصحيح أنها أم حكيم وهي بنت الزُبير بن عبد المطّلب أخت ضُباعة، وكانت تحت ربيعة=

ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولابن الأرقم خمسين وسقاً، ولعبدالرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولحَمْنَة بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولأمّ الزُّبَير أربعين وسقاً، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وسقاً، ولابن أبي خُنَيس ثلاثين وسقاً، ولأمّ طالب أربعين وسقاً، ولأبي بصرة[1] عشرين وسقاً، ولنُميلة الكلبيّ خمسين وسقاً، ولعبدالله بن وهْب وابنتيه تسعين وسقاً، لابنيه منها أربعين وسقاً، ولأمّ حبيب بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولمَلْكُو بن عبْدة ثلاثين وسقاً، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق[2].

قال ابن هشام: قمح وشعير وتمر ونَوىً وغير ذلك، قسّمه على قدْر حاجتهم، وكانت الحاجة في بني عبدالمطّلب أكثر، ولهذا أعطاهم أكثر.

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ
نساءه من قمح خيبر

قسّم لهنّ مئة وسق وثمانين وسقاً، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً، وللمِقْداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأمّ رُمَيثة خمسة أوسُق. شهد عثمان بن عفان، وعبّاس وكتب.

وصيّة الرسول عند موته: قال إبن إسحاق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن ابن شهاب الزُّهْريّ، عن عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود **قال:** لم يُوصِ رسول الله ﷺ عند موته إلاّ بثلاث، أوصى للرَّهاويّين بجادّ مئة وسق من خيبر، وللداريّين بجاد مئة وسق، من خيبر، وللسبائيّين، وللأشعريّين بجاد مئة وسق من خيبر، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة؛ وألاّ

= ابن الحارث، وأما أمّ الحكم فهي بنت أبي سفيان. وهي من مسلمة الفتح. ولولا ذلك لقلت إنّ ابن إسحاق إيّاها أراد، لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد. (الروض الأنف ٤/٩٦).

(١) في نهاية الأرب ١٧/٢٦٤ «ولأبي نضرة».

(٢) نهاية الأرب ١٧/٢٦٣، ٢٦٤.

يُترك بجزيرة العرب دينان[1].

خبر فَدَك: قال ابن اسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبثّوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فَدَك، فقدِمت عليه رُسُلهم بخيبر؛ أو بالطائف، أو بعدما قدِم المدينة، فقبل ذلك منهم؛ فكانت فَدَك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يُوجَفْ عليها بخيلٍ ولا رِكاب[2].

تسمية النَّفر الداريِّين

الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وهم بنوا الدّار بن حبيب بن نمارة بن لَخْم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس، ونُعيم بن أوس وأخوه. ويزيد بن قيس،

---

(١) أخرج ابو داود جزءاً بمعنى الحديث في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣٠٢٩) باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب. قال: حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ أوصى بثلاثة فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم» قال ابن عباس: وسكت عن الثالثة، أو قال: فأُنسيتها. وقال الحُميدي عن سفيان: قال سليمان: لا أدري أذكر سعيد الثالثة فنسيتها أو سكت عنها؟ و(٣٠٣٢) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكون قبلتان في بلد واحد». وأخرج أحمد في المسند ١/٢٢٢ مثل الحديث الأول بالسند، عن ابن عباس قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلّ دمعه، وقال مرة: دموعه، الحصى. قلنا؛ يا أبا العباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال: «ائتوني اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع». فقالوا: ما شأنه أهجر. قال سفيان: يعني: هذى، استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأمر بثلاث، وقال سفيان مرة: أوصى بثلاث: قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. .» والباقي بمثله.

(٢) أخرج أبو داود في كتاب الخراج. (٣٠١٦) قال: حدّثنا حسين بن علي العجلي، ثنا يحيى يعني ابن آدم - ثنا ابن ابي زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري وعبدالله بن أبي بكر وبعض ولد محمد بن مسلمة، قالوا: بقيت بقية من أهل خيبر تحصّنوا فسألوا رسول الله ﷺ ان يحقن دماءهم ويسيّرهم، ففعل، فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وانظر تاريخ الطبري ٣/٢٠.

وعرفة بن مالك، سمّاه رسول الله ﷺ عبدالرحمن.

ـ قال ابن هشام: ويقال: عزّة بن مالك: وأخوه مُرّان بن مالك.

قال ابن هشام: مروان بن مالك.

قال ابن إسحاق: وفاكه بن نُعمان، وجَبَلَة بن مالك، وأبو هند بن برّ، وأخوه الطّيّب بن برّ، فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله.

فكان رسول الله ﷺ، كما حدّثني عبدالله بن أبي بكر، يبعث إلى أهل خيبر عبدالله بن رَواحة خارصاً[1] بين المسلمين ويهود، فيخْرُص عليهم، فإذا قالوا: تعدّيت علينا، قال: إن شئتم فلكم، وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السماوات والأرض.

وإنّما خرص عليهم عبدالله بن رَواحة عاماً واحداً، ثم أصيب بمُؤْتة يرحمه الله، فكان جبّار بن صخر بن أُميّة بن خنساء، أخو بني سَلِمة، هو الذي يخْرُص عليهم بعد عبدالله بن رَواحة.

فأقامت يهود على ذلك، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدَوْا في عهد رسول الله ﷺ على عبدالله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه[2].

قال ابن إسحاق: فحدّثني الزُّهْرِيّ عن سهل بن أبي حَثْمة، وحدّثني أيضاً بشير بن يَسار، مولى بني حارثة، عن سهلَ بن أبي حَثْمة، قال: أصيب عبدالله بن سهل بخيبر، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمراً، فوُجد في عين قد كُسِرت عُنقه، ثم طُرح فيها؛ قال: فأخذوه فغيّبوه، ثم قدِموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدّم إليه أخوه عبدالرحمن بن سهل، ومعه ابنا عمّه حُويِّصَةُ ومُحَيِّصة ابنا مسعود، وكان عبدالرحمن من أحدثهم سنّاً، وكان صاحب الدم، وكان ذا قَدَم في القوم، فلما تكلّم قبل ابنَيْ عمّه، قال رسول الله ﷺ: «الكُبْرَ الكُبْر».

---

(١) الخارص: الذي يقدّر الشيء نظراً بلا وزن ولا كيل، من الخرص: وهو الظنّ.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢٠، نهاية الأرب ١٧/٢٦٥.

قال ابن هشام: ويقال: كبِّر كَبِّر ـ فيما ذكر مالك بن أنس ـ فسكت، فتكلّم هو بعد، فذكروا لرسول الله ﷺ قَتْل صاحبهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أتسمّون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنسلّمه إليكم»؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنّا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أفَيَحْلِفون بالله خمسين يميناً ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ثم يبرءون من دمه»؟ قالوا: يا رسول الله، ما كنّا لنقبل أيْمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم. قال: فوداه[1] رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة[2].

قال سهل: فوالله ما أنسى بكرةً منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، عن عبدالرحمن بن بُجَيد بن قَيظيّ، أخي بن حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وايْم الله، ما كان سهل بأكثر علماً منه، ولكنه كان أسنّ منه، إنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكنّ سهلاً أوهم، ما قال رسول الله ﷺ: «احلفوا على ما لا عِلم لكم به»، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلّمته الأنصار إنه قد وُجد قتيل بين أبياتكم فَدُوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً، فوداه رسول الله ﷺ من عنده.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن شُعيب مثل حديث عبدالرحمن بن بُجَيد، إلاّ أنه قال في حديثه: دُوه أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً، فوداه رسول الله ﷺ من عنده[3].

---

(١) وداه: أعطاهم ديته.

(٢) نهاية الأرب ١٧/٢٦٥.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الأحكام ٨/١١٩، ١٢٠ باب كتاب الحاكم الى عمّاله والقاضي الى أمنائه، فقال: حدّثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن أبي ليلى. وحدّثنا اسماعيل، حدّثني مالك، عن أبي ليلى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سهل، عن سهل بن أبي حثمة أنه أخبره هو ورجال من كُبراء قومه أنّ عبدالله بن سهل ومُحيّصة خرجا الى خيبر من جَهْدٍ أصابهم فأخبر مُحيّصة أنّ عبدالله قُتل وطرح في فقير أو عين فأتى يهود فقال: «أنتم والله قتلتموه» قالوا: ما قتلناه والله، ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم وأقبل هو وأخوه حُوَيّصة، وهو أكبر منه، وعبد الرحمن بن سهل فذهب ليتكلّم وهو الذي كان بخيبر فقال=

عمر يُجْلي يهود خيبر: **قال ابن إسحاق**: وسألت ابنَ شهاب الزُّهْرِيَّ: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخْلهم، حين أعطاهم النخل على خرْجها، أبتَّ ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إيَّاها للضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني ابن شهاب: أنّ رسول الله ﷺ افتتح خيبر عَنوة بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله ﷺ، خمّسها رسول الله ﷺ، وقسّمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ، فقال: إنّ شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقرّكم ما أقرّكم الله، فقبلوا، فكانوا يعملونها. وكان رسول الله ﷺ يبعث عبدالله بن رَواحة، فيقسّم ثمرها، ويعدل عليهم في الخرْص، فلما توفّى الله نبيَّه ﷺ، أقرّها أبو بكر رضي الله عنه، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ، حتى تُوُفي: ثم أقرّها عمر رضي الله عنه صدراً من إمارته. ثم بلغ عمر أنّ رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: «لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان»؛ ففحص عمر ذلك، حتى بلغه الثَّبَتُ، فأرسل إلى يهود، فقال: إن الله عزّ وجلّ قد أذِنَ في جلائكم، قد بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دِينان»، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأْتِني به، أُنْفِذُه له، ومن لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتجهّز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده

= لمحيّصة: «كبِّرْ كبّر» يريد السِّنّ، فتكلّم حويّصة ثم تكلّم محيّصة فقال رسول الله ﷺ: «إما أن يدوا صاحبكم وإمّا أن يؤذنوا بحرب» فكتب رسول الله ﷺ إليهم به، فكتِب ما قتلناه، فقال رسول الله ﷺ لحُويّصة ومحيّصة وعبد الرحمن: «اتحلفون وتستحقّون دم صاحبكم»؟ قالوا: لا. قال: «أفتحلف لكم يهود»؟ قالوا: ليسوا بمسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة حتى أُدخلت الدار. قال سهل: فركضتني منها ناقة. وأخرجه مسلم في كتاب القسامة (٦) باب القسامة، وأبو داود في كتاب الديات (٤٥٢٠) باب القتل بالقسامة. والنسائي في القسامة ٨/٥، ٦ باب تبدئة أهل الدم في القسامة. وابن ماجة في الديات (٢٦٧٧) باب القسامة. ومالك في الموطّأ، كتاب القسامة (١٥٩١) باب تبدئة أهل الدم في القسامة.

عهد من رسول الله ﷺ منهم[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافع، مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر قال: خرجت أنا والزُبَير والمِقْداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهَدُها، فلما قدِمنا تفرّقنا في أموالنا، قال: فعُدِي عليّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، ففُدعت[2] يداي من مِرْفقي، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحباي، فأتياني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري؛ قال: فأصلحا من يدي، ثم قدِما بي على عمر رضي الله عنه؛ فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إنّ رسول الله ﷺ كان عامل يهودَ خيبر على أنّا نُخرجهم إذا شئنا، وقد عَدَوْا على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عدْوِهم على الأنصاريّ قبله، لا نشكّ أنّهم أصحابه، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فلْيَلحق به، فإني مُخْرجٌ يهودَ، فأخرجهم.

عمر يقسم وادي القرى: قال ابن إسحاق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر، عن عبدالله بن مَكنف، أخي بني حارثة، قال: لما أخرج عمر يهودَ من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جبّار بن صخر بن أميّة بن خنساء، أخو بني سَلِمة، وكان خارِصَ أهل المدينة وحاسِبَهم - ويزيد بن ثابت، وهما قسّما خيبر بين أهلها، على أصل جمَاعة السُهْمان، التي كانت عليها.

وكان ما قسّم عمر بن الخطّاب من وادي القرى، لعثمان بن عفّان خَطَر، ولعبدالرحمن بن عوف خطر، ولعمر بن أبي سلمة خَطَر، ولعامر بن أبي ربيعة خَطَر، ولعمرو بن سُراقة خَطَر، ولأَشْيَم خَطَر.

قال ابن هشام: ويقال: ولأسلم ولبني جعفر خَطَر، ولِمُعَيْقيب خَطَر، ولعبدالله بن الأرقم خَطَر، ولعبدالله وعُبيدالله خَطَران، ولابن عبدالله بن

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٠، ٢١، نهاية الأرب ١٧/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) الفدع: اعوجاج في المفاصل، كأنها أزيلت عن أماكنها.

جحش خَطَر، ولابن البُكَير خَطَر، ولمعتمِر خَطَر، ولزيد بن ثابت خَطَر، ولأُبَيّ بن كعب خَطَر، ولمُعَاذ بن عَفْراء خَطَر، ولأبي طلحة وحسن خَطَر، ولجبّار بن صخْر خَطَر، ولجابر بن عبدالله بن رئاب خَطَر، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبدالله بن عمرو خَطَر، ولابن حُضير خَطَر، ولابن سعد بنُ مُعاذ خَطَر، ولسلامة بن سلامة خطر، ولعبدالرحمن بن ثابت وأبي شَرِيك خَطَر، ولأبي عبس بن جبر خَطَر، ولمحمد بن مسلمة خطر، ولعُبادة بن طارق خَطَر.

قال ابن هشام: ويقال لقَتادة.

قال ابن إسحاق: ولجبر بن عَتِيك نصف خَطَر، ولأبنيْ الحارث بن قيس نصف خَطَر، ولابن حزمة والضَحّاك خَطَر، فهذا ما بَلَغَنَا من أمر خيبر ووادي القرى وَمَقاسِمها.

قال ابن هشام: الخَطَر: النصيب. ويقال أخطر لي فلان خَطَراً.



قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة والمهاجرين معه

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عُيَيْنة، عن الأجلح، عن الشَّعبيّ: أنّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قدِم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه[1]، والتزمه وقال: «ما أدري بأيّهما أنا أُسَرّ: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر»؟

قال ابن إسحاق: وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشيّ عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ، فحملهم في سفينتين، فقدِم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحُدَيبية.

من بني هاشم بن عبد مَناف: جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب، معه امرأته أسماء بنت عُميس الخثعميّة، وابنه عبدالله بن جعفر، وكانت وَلَدته بأرض الحبشة. قُتل جعفر بمُؤْتة من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ، رجل.

---

(١) احتجَ بهذا الحديث الثوريّ على مالك بن أنس في جواز المعانقة، وذهب مالك إلى أنه مخصوص بالنبيّ ﷺ، وما ذهب إليه سفيان من حمل الحديث على عمومه أظهر، وقد التزم النبيّ ﷺ زيدَ بن حارثة، حين قدِم عليه من مكة. وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام: «تمام تحيتكم المصافحة»، ومنها حديث آخر أنّ أهل اليمن حين قدِموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبيّ ﷺ: إنّ أهل اليمن قد سنّوا لكم المصافحة، وحديث آخر معناه تنزل على المتصافحين مائة رحمة تسعون منها للبادىء. وعن مالك فيها روايتان: الإباحة والكراهة، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك. (عن السهيلي في الروض الأنف ٤/٦٧).

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خَلَف بن أسعد ـ قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة بنت خَلَف ـ وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قُتل خالد بمرج الصُّفَّر في خلافة أبي بكر الصِّدّيق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أميّة بن محرِّث الكِناني، هلكت بأرض الحبشة. قُتل عمرو بأجنادَيْن من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أميّة أبو أُحَيْحة:

ألا ليت شِعْري عنك يا عمرو سائلاً	إذا شبَّ واشتدّت يداه وسُلِّحا
أتترك أمرَ القومِ فيه بَلابل	تكشف غيظاً كان في الصَّدْر مُوجَحا[1]

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص، حين أسلما، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيبة، من ناحية الطائف، هلك في مالٍ له بها:

ألا ليت مَيْتاً بالظُّرَيْبة شاهدُ	لما يَفْتَري في الدِّين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمرَ النِّساء فأصْبحا	يُعينان من أعدائنا من نُكابد

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عِرْضَه	ولا هو من سوء المقالة مُقْصِرُ
يقول إذا اشتدّت عليه أموره	ألا ليت ميْتاً بالظُّرَيْبة يُنشَرُ
فدع عنك ميتاً قد مشى لسبيله	وأقبِل على الأدنى الذي هو أفقرُ

ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطّاب على بيت مال المسلمين، وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعريّ عبدالله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

---

(١) البلابل: الاضطراب موجحاً: مستوراً.

ومن بني أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ: الأسود بن نوفل بن خُوَيلد. رجل.

ومن بني عبدالدّار بن قُصَيّ: جَهم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل، معه أبناه عمرو بن جَهم، وخُزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أمّ حَرْملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بني زُهرة بن كِلاب: عامر بن أبي وقّاص، وعُتبة بن مسعود، حليف لهم من هُذَيل. رجلان.

ومن بني تيم بن مُرّة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بأرض الحبشة. رجل.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أُهْبان. رجل.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب، مَحْمِيّة بن الجَزء، حليف لهم من بني زبيد، كان رسول الله ﷺ، جعله على خُمس المسلمين. رجل.

ومن بني عديّ بن كعب بن لؤيّ: مَعْمَر بن عبدالله بن نَضْلة. رجل.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبدشمس، معه امرأته عَمرة بنت السّعديّ بن وقدان بن عبد شمس. رجلان.

ومن بني الحارث بن فِهر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لَقِيط. رجل. وقد كان حمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشيّ مع عمرو بن أميّة الضّمْريّ في السفينتين، فجميع من قدِم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً.

وكان ممّن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدَم إلاّ بعد بدر، ولم يحمل

النجاشيّ في السفينتين إلى رسول الله ﷺ، ومن قدِم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مهاجرة الحبشة:

من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف: عُبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، أسد خُزيمة، حليف بني أُميّة بن عبد شمس، معه إمرأته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وابنته حبيبة بنت عُبيد الله، وبها كانت تُكَنّى أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكان اسمها رَملة، خرج مع المسلمين مهاجراً، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانيّاً، فخلّف رسول الله ﷺعلى امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة، قال: خرج عُبيدالله بن جحش مع المسلمين مسلماً، فلما قدِم أرض الحبشة تنصّر، قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فقّحنا وصأصأتم، أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد. وذلك أنّ ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضُرب ذلك له ولهم مثلاً: أي أنّا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فتُبصِروا، وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبدالله، رجل من بني أسد بن خُزيمة، وهو أبو أُميّة بنت قيس التي كانت مع أمّ حبيبة؛ وامرأته بركة بنت يَسار، مولاة أبي سُفيان بن حرب، كانتا ظئريْ[1] عُبيد الله بن جحش؛ وأم حبيبة بنت أبي سفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة. رجلان.

ومن بني أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ: يزيد بن زَمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، قُتل يوم حُنَين مع رسول الله ﷺ شهيداً؛ وعمرو بن أُميّة بن الحارث بن أسد، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: أبو الروم بن عُمير بن هاشم بن عبد

---

(١) الظئر: من تُرضع غير ولدها.

مَناف بن عبدالدار؛ وفِراس بن النضْر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبدالدار. رجلان.

ومن بني زهْرة بن كِلاب بن مُرّة: المطّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم، هلك بأرض الحبشة، ولدت له هنالك عبدالله بن عبدالمطّلب، فكان يقال: إنه كان لأوّل رجلٍ ورث أباه في الإسلام. رجل.

ومن بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ: عمرو بن عثمان بن كعب بن سعد بن تَيْم، قُتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقّاص. رجل.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب: هَبّار بن سفيان بن عبدالأسد، قُتل بأجنادَين، من أرض الشام، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وأخوه عبدالله بن سفيان، قُتل عام اليرموك بالشام، في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، يُشكّ فيه أقتل ثَمَّ أمْ لا؛ وهشام[1] بن أبي حُذيفة بن المغيرة، ثلاثة نفر.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: حاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهبْ بن حُذافة بن جُمَح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل. هلك حاطب هنالك مسلماً، فقدِمت امرأته وابناه، وهي أمّهما، في إحدى السفينتين؛ وأخوه حطّاب بن الحارث، معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار، هلك هنالك مسلماً، فقدِمت امرأته فُكَيْهة في إحدى السفينتين، وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب، وابناه جُنادة وجابر وأمّهما معه حَسَنة، وأخوهما لأمّهما شُرَحْبيل بن حَسَنة؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. ستة نفر.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدالله بن الحارث بن

---

(١) هشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، واسم أبي حُذيفة مِهْشَم، وذكر الواقدي هشاماً. هذا فيمن قدِم من الحبشة غير أنه قيل فيه: هاشم، ولم يذكره موسى بن عُقبة، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة. (الروض الأنف ٤/٦٧).

قيس بن عَـدِيّ بن سعد[1] بن سهم الشـاعر، هلك بـأرض الحبشة، وقيس بن حُذافة بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم، قُتل يوم اليمـامة في خـلافة أبي بكـر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وعبدالله بن حُذَافَة بن قيس بن عـديّ بن سعد بن سهم، وهـو رسول رسـول الله ﷺ إلى كسـرى. والحـارث بن الحـارث بن قيس بن عـدِيّ؛ وَمَعْمَـر بن الحارث بن قيس بن عـدِيّ؛ وبِشْر بن الحـارث بن قيس بن عَدِيّ؛ وأخ له من أمّه من بني تميم، يقـال له: سعيـد بن عمرو، قُتِـل بأجنـادَين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ وسعيد بن الحارث بن قيس، قُتل عام اليرموك في خلافة عمـر بن الخطّاب رضي الله عنـه، والسائب بن الحـارث بن قيس، جُـرح بالـطائف مع رسـول الله ﷺ، وقُتـل يـوم فِحْـل[2] في خـلافـة عمـر بن الخطّاب رضي الله عنـه، ويقـال: قُتـل يـوم خيبـر، يُشـكّ فيـه، وعُميـر بن رئـاب بن حُذَيفـة بن مِهْشَم بن سعد بن سهم، قُتـل بعين التمر مـع خالـد بن الوليد، مُنْصَرفه من اليمـامة، في خـلافة أبي بكـر رضي الله عنه. أحـد عشر رجلاً.

ومن بني عـديّ بن كعب بن لُؤَيّ: عُروة بن عبـدالعُزَّى بن حُـرثـان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عـدِيّ بن كعب، هلك بأرض الحبشـة؛ وعَدِيّ بن نضلة بن عبدالعُزَّى بن حرثان، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

وقد كان مع عديّ ابنه النُّعمان بن عديّ، فقدِم النعمان مع من قـدِم من المسلمين من أرض الحبشـة، فبقي حتى كـانت خـلافـة عمـر بن الخـطّاب، فاستعمله على مَيْسان، من أرض البصرة، فقال أبياتاً من شعر، وهي:

ألا هـل أتى الحسنـاءَ أنّ حليلَهـا   بمَيْسـان يُسْقَى في زُجاج وحَنْتَم[3]

---

(١) وقد ذكرت بعض النسخ هنا وفيما سيأتي: «سعيد» وهو تحريف. قال السهيلي في الروض الأنف: «وحيثما تكرّر نسب بني عـديّ بن سعـد بن سهم يقـول فيـه ابن إسحـاق «سعيـد» والناس على خلافه، إنّما هو سعد وإنما سعيد بن سهم أخـو سعد، وهـو جدّ آل عمـرو بـن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وفي سهم سعيدآخر وهو ابن سعيد المذكور».

(٢) فِحل: موضع بالشام: كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم.

(٣) الحنتم: جرار مصبوغة بخضرة.

إذا شئتُ غنّتْني دهاقينُ قريةٍ ورقّاصةٌ تجذُو على كلِّ مَنْسِمِ[1]
فإنْ كنت نَدْماني فبالأكبرِ اسقِني ولا تَسْقِني بالأصغرِ المُتثلّمِ
لعلّ أميرَ المؤمنين يسُوءه تنادُمنا في الجَوْسَق المتهدِّمِ[2]

فلما بلغت أبياته عمرَ، قال: نعم والله، إنّ ذلك ليسوءني، فمن لقِيه فليُخْبره أنّي قد عزلته، وعزله. فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً مما بلغك أنّي قلته قطّ، ولكنّي كنت امرءاً شاعراً، وجدت فضلاً من قول، فقلت فيما تقول الشعراء؛ فقال له عمر: وايْم الله، لا تعمل لي على عملٍ ما بقيتَ، وقد قلتَ ما قلت.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: سُلَيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر. وهو كان رسول رسول الله ﷺ إلى هَوْذة بن عليّ الحنفيّ باليمامة. رجل.

ومن بني الحارث بن فِهْر بن مالك: عثمان بن غَنْم بن زُهير بن أبي شدّاد؛ وسعد بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أميّة بن ظَرب بن الحارث بن فِهْر، وعِياض بن زُهير بن أبي شدّاد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلّف عن بدر، ولم يقدَم على رسول الله ﷺ مكة، ومن قدِم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشيّ في السفينتين، أربعة وثلاثون رجلاً.

الهالكون منهم: وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

من بني عبد شمس بن عبد مَناف، عُبيدالله بن جحش بن رئاب حليف بني أميّة، مات بها نصرانياً.

ومن بني أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ: عمرو بن أُميّة بن الحارث بن أسد.

---

(١) الدهاقين: رؤساء الأقاليم. تجذو: تبرك على ركبتيها. والمَنْسِم: في الأصل طرف خفّ البعير. فاستعاره هنا لطرف قدمها.

(٢) الجَوْسَق: الحصن.

ومن بني جُمَح: حاطب بن الحارث؛ وأخوه حطّاب بن الحارث.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدالله بن الحارث بن قيس.

ومن بني عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ: عُروة بن عبدالعُزَّى بن حُرثان بن عوف، وعدِيّ بن نضلة. سبعة نفر.

ومن أبنائهم، من بني تَيْم بن مُرّة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر. رجل.

مهاجرات الحبشة: وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قدِم منهنّ ومن هلك هنالك ستّ عشرة إمرأة، سوى بناتهنّ اللاتي وُلدن هنالك، من قدِم منهنّ ومن هلك هنالك، ومن خرج به معهنّ حين خرجن:

من قريش، من بني هاشم: رُقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بني أُميّة: امّ حبيبة بنت أبي سفيان، مع ابنتها حبيبة، خرجت بها من مكة، ورجعت بها معها.

ومن بني مخزوم: أم سَلَمة بنت أبي أُمَيّة، قدِمت معها بزينب ابنتها من أبي سَلَمة ولدتها هنالك.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: رَيْطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بالطريق. وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك: عائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، هلكن جميعاً، وأخوهنّ موسى بن الحارث، من ماء شربوه في الطريق، وقدِمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق من ولدها غيرها، يقال لها فاطمة.

ومن بني سهم بن عمرو: رَملة بنت أبي عوف بن ضُبيرة.

ومن بني عديّ بن كعب: ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سَودة بنت زَمعة بن قيس؛ وسهلة بنت سُهيل بن عمرو، وابنة المجلّل، وعَمرة بنت السعديّ بن وقدان، وأمّ كلثوم بنت سُهيل بن عمرو.

ومن غرائب العرب: أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخثعمية، وفاطمة بنت صفوان بن أُميَّة بن محرِّث الكِنانية، وفُكَيْهة بنت يَسار، وبركة بنت يَسار، وحَسَنَة، أمّ شُرَحْبيل بن حَسَنة.

من ولد من أبنائهم بالحبشة: وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة.

من بني هاشم: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

من بني عبد شمس: محمد بن أبي حُذيفة، وسعيد بن خالد بن سعيد، وأخته أمَةَ بنت خالد.

ومن بني مخزوم: زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد.

ومن بني زُهرة: عبدالله بن المُطَّلب بن أزهر.

ومن بن تَيْم: موسى بن الحارث بن خالد، وأُخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبدالله بن جعفر، ومحمد بن أبي حُذيفة، وسعيد بن خالد، وعبدالله بن عبدالمطَّلب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أَمة بنت خالد، وزينب بنت أبي سَلَمة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.


Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

١ ـ فهرس
أوائل الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء



فهرس أوائل الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس
قوافي الأشعار والأراجيز

القافية	القائل	الصفحة
دونها	حسّان	١٦٣
طَحونا	ضِرار بن الخطّاب	٢٠٣
هـ		
باديهْ	الحارث بن النضر	٣٧
حمزة	كعب بن مالك	١١٥
هامة	يزيد بن مفرّغ	١٣٠
ناجيهْ	ناجية بن جندب	٢٥٨
ي		
المطيّ	حسّان	٢١٥
الخزرجيّ	ربيعة بن أُميّة	٢١٥




Nafse Islam
نفس اسلام
WWW.NAFSEISLAM.COM

٤ ـ فهرس الأعلام

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ن

هـ

و

ي

٥ - فهرس الأماكن والبلدان

فهرست الجزء الثالث
من سيرة ابن هشام